المهدي الموعود

العلامة الشيخ نجم الدين الطبسي

المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف

سماحة العلامة

الشيخ نجم الدين الطبسي

مركز الدراسات التخصصية في المهدوية

سرشناسه : طبسی، نجم‌الدین، ۱۳۳۴ - Tabasi, Najm al-Din
عنوان و نام پدیدآور : المهدی الموعود (عج)/ سماحه نجم‌الدین الطبسی.
مشخصات نشر : قم: بنیاد فرهنگی حضرت مهدی موعود (عج)، ۱۴۴۲ ق.= ۱۴۰۱.
مشخصات ظاهری : ۲۴۰ ص.
شابک : 978-622-92606-2-3
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : زبان: عربی.
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : محمدبن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق -
موضوع : Muhammad ibn Hasan, Imam XII
موضوع : مهدویت -- انتظار
Mahdism -- *Waiting
رده بندی کنگره : BP۲۲۴/۴
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲
شماره کتابشناسی ملی : ۸۹۴۴۶۷۲
اطلاعات رکورد کتابشناسی : فیپا

المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف

• المؤلف: نجم الدين الطبسي
• الناشر: بنياد فرهنگی حضرت مهدی موعود عجل الله تعالى فرجه الشريف
• الطبعة: الطبعة الأولى /١٤٠١ ش/ ١٤٤٤ ق
• ردمك: ٣-٢-٩٢٦٠٦-٦٢٢-٩٧٨
• العدد: ٥٠٠ نسخة

بنیاد فرهنگی حضرت مهدی موعود
انتشارات

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

○ رقم الهاتف: ٠٥٩٠٠٠٨٨٩٢١٩٨+ و ٠٢٥٣٧٨٤١١٣٠+٩٨

○ www.mahdaviat.ir
○ info@mahdaviat.ir
○ Entesharatbonyad@chmail.ir

الفهرس

المقدمة..... ١٧

١. الإمامة مفهومها وموقعها..... ١٩

الحاجة إلى الإمام..... ٢٠

الإمام، مفسّر القرآن ومبيّن الأحكام..... ٢٠

الإمام، حارس الدين..... ٢١

قيادة المجتمع وإدارة شؤونه..... ٢٢

الإمام، النموذج الكامل ومربّي الناس..... ٢٣

صفات الإمام..... ٢٣

١. العلم..... ٢٤

٢. العصمة..... ٢٤

٣. الإدارة الاجتماعية..... ٢٥

٤. التحلّي بالفضائل الأخلاقية..... ٢٦

٥. التعيين الإلهي..... ٢٦

كلام جامع ورائع للإمام الرضا عليه السلام..... ٢٧

٢. نظرة إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٣١

ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٣١

الاسم، الكنية، الألقاب..... ٣٢

صفات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٣٣

١. البشارة بقدومه..... ٣٣

٢. خفيّ المولد..... ٣٣

٣. طول العمر..... ٣٥

الشمائل والأوصاف..... ٣٨
من ولادة الموعود إلى استشهاد الإمام العسكري عليه السلام..... ٣٩
فيمن رأى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من الشيعة..... ٣٩
١. فيمن رأى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من الخواصّ..... ٣٩
٢. سنّة العقيقة..... ٤٠
٣. المراسلات..... ٤١
٤. الردّ على الأسئلة..... ٤١
٥. استلام الهدايا العينية..... ٤٢
المعجزات والكرامات..... ٤٣
التربية والهداية..... ٤٤
الصلاة على جثمان الوالد..... ٤٥
٣. اللقاء..... ٤٧
لقاء الحسب..... ٤٧
أنواع اللقاءات..... ٤٨
سرد اللقاء؛ الآثار والنتائج..... ٤٨
الشرط الرئيسي للقاء..... ٤٩
٤. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرآن..... ٥١
إطلالة على آيات المهدوية..... ٥١
أساليب القرآن في التعريف بالأشخاص..... ٥٢
لماذا لم يذكر القرآن الكريم اسم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟..... ٥٢
آيات المهدوية: تفسيرها وتأويلها..... ٥٣
دراسة تحليلية للآيات المهدوية..... ٥٤
أولاً. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الوعد الإلهي الكبير المنجّز..... ٥٤
نتيجة تحليل الآية..... ٥٦
كلام نوراني في تفسير آية النور..... ٥٦
حكومة الصالحين، إرادة الله منذ الأزل..... ٥٦

ثانياً. المستضعفون أئمة الأرض وورثتها..... ٥٨
ثالثاً. الإمام المهدي ذخيرة الله الكبرى..... ٦٠
٥. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأحاديث والروايات..... ٦٣
نظرة سريعة على الأحاديث المهدوية..... ٦٤
خصوصيات روايات المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٦٦
أ. تنوّع الموضوعات..... ٦٦
ب. ورود المهدوية في كلام جميع المعصومين عليهم السلام..... ٦٦
ج. رواة الأحاديث المهدوية..... ٦٧
وثاقة روايات المهدوية..... ٦٧
الميادين الحديثية المشتركة للمسلمين..... ٦٨
١. عالمية حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وشمولية عدالته..... ٦٨
٢. نزول النبي عيسى عليه السلام من السماء..... ٦٩
٣. أرض البيداء تخسف بجيش السفياني..... ٦٩
٤. المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن نسل فاطمة عليها السلام..... ٧٠
٥. المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سمي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم..... ٧٠
٦. الأدعية والزيارات المهدوية..... ٧١
نظرة في الأدعية والزيارات المهدوية..... ٧٣
ملامح الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأدعية والزيارات..... ٧٥
أ. الصفات الفردية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٧٦
ب. خصوصيات شخصية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٧٦
١. ألقاب إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٧٧
٢. أوصاف إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٧٧
العَلَم المَنصُوب..... ٧٧
وارث علوم النبيين..... ٧٨
المعصوم والمنزّه من كل عيب..... ٧٨
مفزع الناس وملجأهم..... ٧٩

٣. مقامات ومنازل الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ٧٩
أ. خليفة الله، حجة الله..... ٧٩
ب. باب الله، سبيل الله..... ٧٩
ج. ميثاق الله، وعد الله..... ٨٠
د. عين الله النّاظرة..... ٨٠
آثار الدعاء والزيارة..... ٨١
١. مودّة أهل البيت وبخاصة إمام العصر عليه السلام..... ٨١
٢. الذكر والشكر..... ٨٢
٣. الإخلاص للإمام وشكره..... ٨٢
٤. عناية الإمام بالدّاعي..... ٨٣
كيف ندعو للإمام عليه السلام ؟..... ٨٥
بركات الأدعية والزيارات المأثورة..... ٨٥
١. الآثار المعرفية..... ٨٥
أ. جولة في العقائد الحقّة التي تشكّل هويتنا الدينية..... ٨٦
ب. جولة في وظائف الشيعة إزاء إمامهم..... ٨٦
ج. التعريف بالمنزلة الإلهية للإمام وأوصافه ومقاماته..... ٨٦
د. رسم معيار الحق والباطل..... ٨٧
هـ. رسم ملامح عالم ما بعد الظهور..... ٨٧
٢. الآثار العملية والسلوكية..... ٨٧
٣. الآثار العاطفية والقلبية..... ٨٨
٤. الآثار الاجتماعية..... ٨٩
خلاصة البحث..... ٩٠
٧. غيبة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وأسبابها..... ٩٣
الغيبة..... ٩٣
مفهوم الغيبة..... ٩٣
سابقة الغيبة..... ٩٤
الحكمة من الغيبة..... ٩٥

سرّ من أسرار الله..... ٩٥
المحافظة على حياة الإمام..... ٩٦
استقلاله وتحرّره من أيّ بيعة للآخرين..... ٩٧
امتحان الناس..... ٩٧
تأديب الناس..... ٩٧
مراحل الغيبة..... ٩٨
التوطئة للغيبة..... ٩٨
الغيبة الصغرى..... ٩٩
الغيبة الكبرى..... ١٠١
٨. فوائد الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٠٣
فوائد الإمام الغائب..... ١٠٣
الإمام قطب الوجود..... ١٠٤
إشاعة الأمل..... ١٠٥
ثبات الدين..... ١٠٦
تهذيب النفس..... ١٠٨
الملجأ العلمي والفكري..... ١٠٩
الهداية الباطنية والنفوذ الروحاني..... ١١١
الأمان من البلايا..... ١١١
إغاثة الشيعة والناس..... ١١٢
الانتفاع من دعائه واستغفاره عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١١٢
٩. الانتظار..... ١١٥
«انتظار الفرج» لغةً واصطلاحاً..... ١١٥
موقع الانتظار في الثقافة الشيعية..... ١١٦
١. انتظار الفرج بالمعنى العامّ..... ١١٧
١ـ١. العبادة والعبودية..... ١١٧
١ـ٢. أفضل العبادات..... ١١٧

١ـ٣. أفضل الأعمال..... ١١٧
١ـ٤. الفرج في الفرج..... ١١٨
١ـ٥. أفضل الجهاد..... ١١٨
٢. انتظار الفرج بالمعنى الخاص..... ١١٩
أنواع الانتظار..... ١١٩
١. الانتظار الصحيح والبنّاء..... ١٢٠
٢. الانتظار الخاطئ والمدمّر..... ١٢٠
البنى الرئيسية لظاهرة الانتظار..... ١٢١
أ. عدم الرضا بالوضع الراهن..... ١٢١
ب. الأمل في الوصول إلى الوضع المنشود..... ١٢٢
ج. الحركة والسعي للعبور من الوضع الراهن والوصول إلى الوضع المنشود..... ١٢٢
١. الوعي بعدم الحضور الظاهري للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٢٢
٢. الشعور بالحاجة إلى وجود الإمام الحاضر..... ١٢٣
٣. اليقين بظهور الإمام الغائب..... ١٢٣
٤. حبّ المؤمن لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٢٤
٥. الاعتقاد بقرب الظهور..... ١٢٤
الآثار التربوية الفردية والاجتماعية للانتظار..... ١٢٤
١. زيادة الآمال الحقيقية..... ١٢٤
٢. الديناميكية في الوصول إلى الهدف..... ١٢٥
٣. خلق الوحدة والتكاتف..... ١٢٥
٤. الإحساس بالحضور..... ١٢٦
فضائل المنتظرين وأفضليّتهم..... ١٢٦
١. المنتظرون الحقيقيون هم أفضل الناس في كل العصور..... ١٢٦
٢. كالحاضر في فسطاطه عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الظهور..... ١٢٧
٣. ثوابه كثواب من صلّى وصام..... ١٢٧
٤. أكرم الأمة ورفقاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم..... ١٢٧
٥. كالمجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الله..... ١٢٨

٦. ثواب كل منهم يعادل ألف شهيد من شهداء الإسلام.....١٢٨
١. الانتظار، حلقة الوصل بين الشيعة والإمام المعصوم عليه السلام.....١٢٨
٢. الانتظار، معيار القيم الإنسانية.....١٢٩
٣. الانتظار عامل حيوي وبنّاء في الفرد والمجتمع.....١٢٩
ينبغيات عصر الانتظار.....١٢٩
أ. الوظائف العامة.....١٢٩
١. معرفة الإمام في كل زمان.....١٣٠
٢. الثبات على محبة أهل البيت عليهم السلام.....١٣٢
٣. الالتزام بتقوى الله.....١٣٣
٤. طاعة أوامر الأئمة عليهم السلام.....١٣٣
٥. مد يدّ العون للضعفاء والفقراء.....١٣٤
ب. الوظائف الخاصة.....١٣٥
١. موالاة محبّي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعاداة أعدائه.....١٣٥
٢. الصبر على الشدائد في عصر الغيبة.....١٣٥
٣. الدعاء بتعجيل فرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.....١٣٦
٤. الاستعداد الدائم.....١٣٦
٥. تعظيم اسم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وذكره.....١٣٧
٦. المحافظة على الأواصر مع موقع الولاية.....١٣٨
١٠. شروط الظهور.....١٤١
أولاً. وجود برنامج وخطة جامعة ومتعالية.....١٤٣
ثانياً. وجود قائد وهادٍ جدير ومعصوم.....١٤٤
مواصفات القائد.....١٤٥
١. المواصفات العامة.....١٤٥
٢. المواصفات الخاصة.....١٤٦
ثالثاً. وجود جماعة من الناس أطهار وأوفياء.....١٤٧
رابعاً. شعور المجتمع العالمي بالحاجة.....١٥٠

١١. علائم الظهور..... ١٥٣

الظهور..... ١٥٣

توقيت الظهور..... ١٥٣

سر إخفاء توقيت الظهور..... ١٥٤

استمرار الأمل..... ١٥٤

التوطئة والتمهيد..... ١٥٥

علائم الظهور..... ١٥٥

الآثار والفوائد المترتّبة على معرفة علائم الظهور..... ١٥٥

أنواع علائم الظهور..... ١٥٦

العلائم الحتمية وغير الحتمية..... ١٥٦

١٢. علائم الظهور الحتمية..... ١٥٧

أ. خروج السفياني..... ١٥٨

ب. خَسْف البَيداء..... ١٥٨

ج. خروج اليماني..... ١٥٩

د. صيحة السماء..... ١٥٩

هـ . قتل النفس الزكيّة..... ١٦٠

العلائم غير الحتمية..... ١٦١

أ. خروج الخراساني..... ١٦١

ب. خروج الحسني..... ١٦١

ج. فتنة الدجّال..... ١٦٢

العالم على أعتاب الظهور..... ١٦٣

أوان الثورة..... ١٦٤

كيفية الثورة..... ١٦٥

١٣. برامج حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٦٩

أهداف الحكومة..... ١٦٩

الرشد المعنوي..... ١٧٠

نشر العدل..... ١٧١
برامج الحكومة..... ١٧٢
أ. البرنامج الثقافي..... ١٧٣
١. إحياء الكتاب والسنّة..... ١٧٣
٢. نشر المعرفة والأخلاق..... ١٧٤
٣. النهضة العلمية..... ١٧٥
٤. محاربة البدع..... ١٧٦
ب. البرنامج الاقتصادي..... ١٧٧
١. الانتفاع من مصادر الثروة الطبيعية..... ١٧٧
٢. التوزيع العادل للثروة..... ١٧٨
٣. العمران..... ١٧٩
ج. البرنامج الاجتماعي..... ١٧٩
١. إحياء ونشر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ١٧٩
٢. محاربة الفساد والرذائل الأخلاقية..... ١٨٠
٣. تطبيق الحدود الإلهية..... ١٨٠
٤. العدالة القضائية..... ١٨١
١٤. مكتسبات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٨٣
١. العدالة الشاملة..... ١٨٤
٢. الرشد الفكري والأخلاقي والإيماني..... ١٨٥
٣. الوحدة والألفة..... ١٨٦
٤. السلامة الجسمية والنفسية..... ١٨٦
٥. خيرٌ وبركات وفيرة..... ١٨٧
٦. اقتلاع جذور الفقر..... ١٨٨
٧. حاكمية الإسلام وزوال الكفر..... ١٨٩
٨. الأمن والاستقرار العام..... ١٩١
٩. توسعة العلم..... ١٩٢

١٥. خصوصيات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسيرته..... ١٩٥

خارطة الحكومة وعاصمتها..... ١٩٥

فترة حكومته..... ١٩٧

والذي يبدوا لنا أنّ حكمه باق الي اربعين يوما قبل القيامة و هذا ما أثبتناه خلال بحثنا الخارج و هو راي المفيد و الطبرسي و غيرهما، فراجع..... ١٩٩

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحكم..... ١٩٩

السيرة الجهادية والنضالية..... ٢٠٠

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في القضاء..... ٢٠١

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الإدارة..... ٢٠٢

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الاقتصاد..... ٢٠٢

السيرة الشخصية للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٢٠٣

القبول العام..... ٢٠٥

١٦. المحاربون للمهدي (أنواع أعداء المهدوية)..... ٢٠٧

أهداف المحاربين للمهدوية..... ٢٠٨

أنواع المحاربين للمهدوية..... ٢٠٩

١. الصهيونية المسيحية..... ٢٠٩

٢. الفرق المنحرفة..... ٢١١

٣. المنشقّون..... ٢١١

٤. المستشرقون..... ٢١٢

٥. مدّعو المهدوية..... ٢١٣

جذور محاربة المهدوية..... ٢١٤

١. الجهل..... ٢١٤

٢. اللهث وراء الدنيا والمصالح..... ٢١٤

٣. العصبية الباطلة..... ٢١٥

٤. الأنانية والاستكبار..... ٢١٥

١٧. المحاربون للمهدوية (أساليب محاربة المهدوية)..... ٢١٧

أدوات المحاربة..... ٢١٧
أساليب محاربة المهدويّة..... ٢١٩
١. الإنكار..... ٢١٩
٢. التشويه..... ٢٢٠
٣. التحريف..... ٢٢١
٤. عملية الاستبدال..... ٢٢٢
طرق مواجهة محاربي المهدوية..... ٢٢٣
١. زيادة المعرفة ومحاربة الجهل..... ٢٢٣
٢. فضح أساليب المحاربين للمهدوية..... ٢٢٤
٣. تثبيت الهوية الدينية والشيعية..... ٢٢٤
١٨. سيميولوجيا المباحث المهدوية..... ٢٢٧
التصورات الخاطئة..... ٢٢٨
استعجال الظهور..... ٢٢٩
توقيت الظهور..... ٢٢٩
مطابقة علائم الظهور على أمثلة خاصة..... ٢٣٠
طرح موضوعات عديمة الأهمية..... ٢٣٠
مدّعو المهدوية..... ٢٣١
أساليب المدّعين الأفّاقين..... ٢٣٢
١. استغلال التوجهات المعنوية للناس..... ٢٣٣
٢. الاستغلال المادي والمعنوي..... ٢٣٣
٣. تكفير الشخصيات..... ٢٣٤
٤. استغلال أسماء مراجع الدين والعلماء..... ٢٣٥
٥. عرض الحلول بشكل جذاب ظاهرياً وكلامياً..... ٢٣٥
٦. التظاهر بالقداسة والتظلّم..... ٢٣٦
٧. الاهتمام المفرط بالأحلام والمكاشفة..... ٢٣٦
٨. عرض أساليب تربوية وأخلاقية..... ٢٣٦
٩. تحديد واجبات للمريدين وتكليفهم بمهمات خاصة..... ٢٣٧

١٠. نشر الإباحية والفرار من المسؤولية..... ٢٣٧
١١. استحداث مختلف الشبكات والعصابات لأهداف خاصة سياسية واقتصادية وثقافية..... ٢٣٧
١٢. استغلال المشاعر والأحاسيس..... ٢٣٨
١٣. تصوير أفعاله وسلوكه على أنّها إيجابية..... ٢٣٨
١٤. تأليف القصص وصنع الشخصيات المزيفة..... ٢٣٨
١٥. الابتكار والبدعة في الخطب سبب شهرة جلساته..... ٢٣٩
١٦. النشاطات العرفانية المزيفة والديماغوجية..... ٢٣٩
١٧. الحؤول دون التفكّر وطرح الأسئلة والتحقيق في الموضوعات المطروحة..... ٢٤٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين و صلّى الله على محمد و آله الطاهرين سيّما حجة الله فى الارضين مهدي آل محمد

وأمّا بعد هذا الكتاب (المهدي الموعود) مقتبس و تلخيص من سلسلة الأبحاث التى طرحناها فى دروسنا الخارج في حوزة قم المقدسة و دوّنت في مجلدات متعددة و لازال مستمرا طبعها و نشرها. و لكن لأجل تدوين كتاب مختصر يفيد الدورات الثقافية و يدرس في تلك المجالات كمقدمة مختصرة للإطلاع على الأبحاث المفصلة، قدمنا هذا الكتاب الموجز.

كما نشكر ولدنا العزيز سماحة الشيخ محمد رضا النصورى المحترم حيث بذل جهدا واسعا في سبيل إنجاز هذه المجموعة. فشكر الله سعيه ووفّقه لمراضيه انّه سميع الدعاء.

نسأل الله عزوجل أن ينفع المسلمين و ان ينتفعوا بها في مجال التثقيف و التعليم و ننتفع بها في البرزخ و الآخرة يوم لاينفع مال و لابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نجم الدين الطبسي

قم المقدسة

٢١ ذى الحجة ١٤٤٣

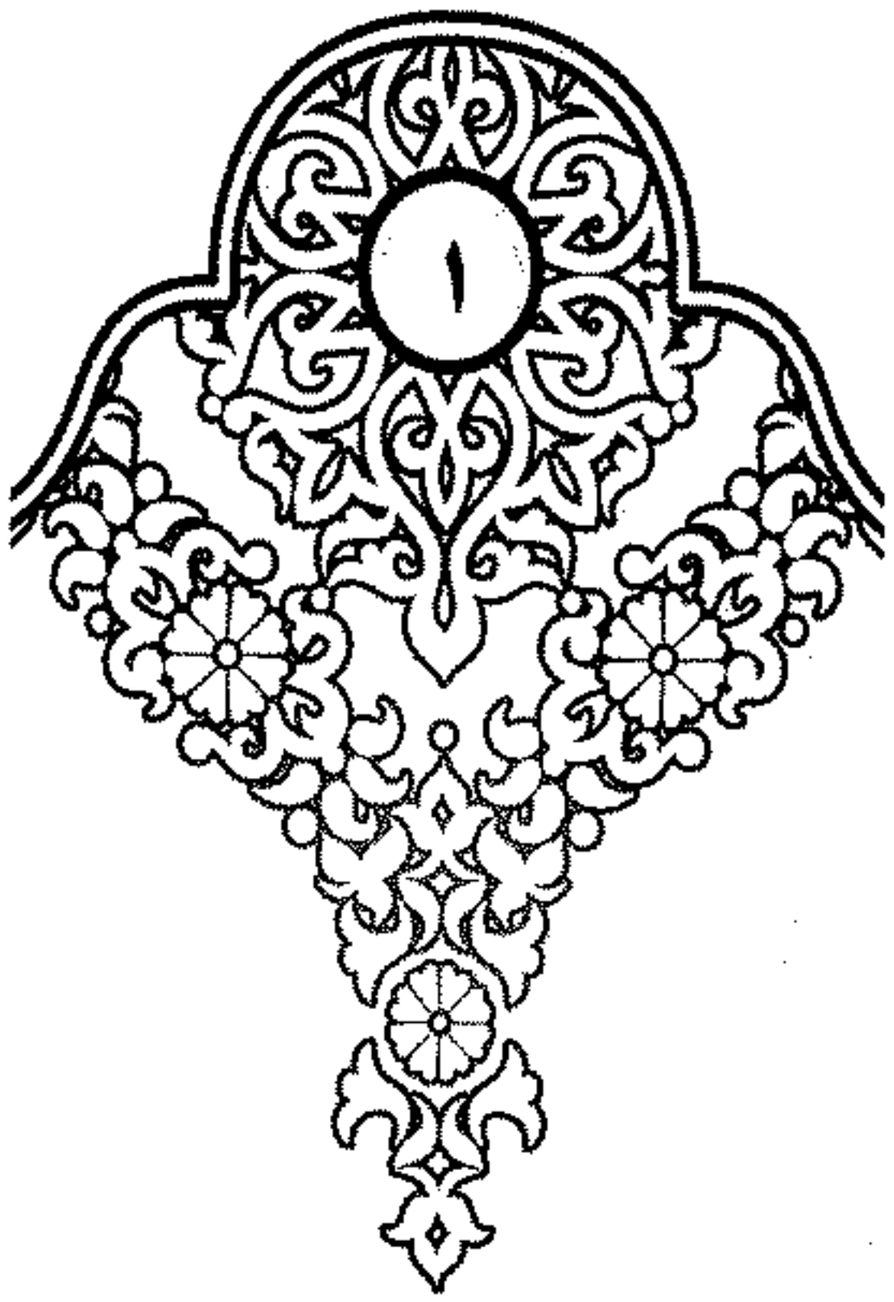

الإمامة مفهومها وموقعها

لا شكّ في أنّ موضوع خلافة النبي الأكرم ﷺ ووصايته كان أهم مبحث ظهر في المجتمع الإسلامي الفتيّ بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى. ففريق من الصحابة نصّب أبا بكر خليفة، وفريق آخر كان يؤمن بأنّ الإمام علي عليه السلام هو الخليفة الشرعي المعيّن من قبل النبي الأكرم ﷺ. عُرف الفريق الأول في الأزمنة التالية بالعامّة (أهل السنّة والجماعة)، والفريق الثاني بالخاصة (الشيعة).

والملاحظة الجديرة بالتأمّل هنا أنّ الخلاف بين الشيعة والسنّة لا ينحصر في خليفة النبي الأكرم ﷺ فحسب؛ وإنّما في نظرة كل منهما إلى «الإمام» الذي يحمل معنىً ومفهوماً خاصاً لديهما، ممّا يمايز أحدهما عن الآخر.

لإضاءة هذا الموضوع، نبدأ بالبحث في معنى الإمام والإمامة، لنتبيّن وجه التباين بين الرأيين.

«الإمامة» في اللغة تعني القيادة والزعامة، و«الإمام» هو الذي يتكفّل بقيادة جماعة على نهج معيّن. أمّا في اصطلاح علم الدين فقد طُرحت تفسيرات مختلفة للإمامة.

فأهل السنّة يرون في الإمامة حاكمية دنيوية (وليس منصباً إلهياً) يُدار من خلالها المجتمع الإسلامي. فكما أنّ كل مجموعة بحاجة إلى زعيم أو كبير يقودهم، كان على المجتمع الإسلامي أيضاً بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ أن يختار لنفسه إماماً وقائداً. ومن حيث أنّ الدين لم يقرّر آلية خاصة لهذا الاختيار، لذا، فهناك طرق شتّى لاختيار خليفة النبي ﷺ كالرجوع إلى آراء الأغلبية، أو آراء أهل الحلّ والعقد، أو النصّ من قبل الخليفة السابق، بل وحتى الانقلاب والغلبة بقوة السلاح.

بيد أنّ الشيعة يؤمنون بأنّ تنصيب «الإمام» هو تعيين إلهي يجري على لسان النبي الأكرم ﷺ أو الإمام السابق، لاعتقادهم أنّ الإمامة هي امتداد للنبوة، والإمام حجة الله في خلقه، وواسطة الفيض الإلهي إلى الخلائق. وهذه الفكرة نابعة من المقام الشامخ والرفيع للإمامة في الفكر الشيعي الذي يرى في الإمام ليس قائداً للمجتمع فقط، بل مبيّن أحكام الدين ومفسّر القرآن الكريم والقائد على طريق تحقيق سعادة المسلم.

الحاجة إلى الإمام

بعد بيان الآراء في الإمامة، من المناسب أن نجيب عن السؤال: ما حاجتنا للإمام والزعيم الديني - كما يعتقد الشيعة- مع وجود القرآن والسنّة النبوية المطهرة؟

الجواب هو، كما أسلفنا الإمامة، بحسب اعتقاد الشيعة، امتداد للرسالة والنبوة؛ بمعنى، أنّ الإمام ليس بنبيّ، لكنّه يقوم بواجبات النبي ويواصلها، الأمر الذي يفسّر ضرورة أن يحمل نفس خصوصيات ومواصفات النبي، عدا نزول الوحي عليه. وهذا يقودنا إلى البحث في شؤون الإمامة وواجباتها لتتّضح الحاجة لوجود الإمام بعد النبي.

الإمام، مفسّر القرآن ومبيّن الأحكام

السبب الذي يبيّن الحاجة إلى النبي هو نفسه الذي يوضّح الحاجة إلى «الإمام»؛ فلما كان الإسلام هو خاتم الأديان والنبي الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ آخر المبعوثين من عند الله؛ فهذا يحتّم أن يلبّي الإسلام جميع المتطلبات البشرية حتى قيام الساعة. ومن ناحية ثانية، فإنّ القرآن الكريم رسم الأصول العامة وكليات الأحكام والمعارف الإلهية، وأناط بالنبي الأكرم ﷺ شرحها

وتفسيرها[١]. وطبعاً قام النبي ﷺ، بوصفه قائد المسلمين، بتفسير آيات الله وفقاً لاحتياجات المجتمع الإسلامي وإمكاناته في ذلك العصر، لذا، ينبغي أن ينهض بالخلافة شخص جدير، كالنبي، متّصل بالعلم الإلهي الواسع، ليبيّن ما لم يتح للنبي تبيينه، ويلبّي متطلبات المجتمع المسلم في كل زمان.

في حديث شريف روي بطرق أهل السنّة والشيعة عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال:

«إِنِّي تارِكٌ فيكُمُ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوُا بَعْدي، كتاب الله و عترتي ـ أهل بيتي ـ ...»[٢].

إذن، بالاستناد إلى هذا الحديث لن تخلو الأرض أبداً من وجود عترة النبي الأكرم ﷺ إلى جانب القرآن الكريم.

الإمام، حارس الدين

بعد انقضاء عصر نبوة النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام، تعرّضت هاتان الشريعتان السماويتان للتحريف والتشويه بشكل كبير، بحيث لم يعد بالإمكان اليوم أن نعثر على دين خالص غير محرّف لا في عالم اليهودية ولا في عالم المسيحية.

ونفس هذا الخطر كان قائماً وما زال بالنسبة للشريعة الإسلامية السمحاء، حيث عمل أفراد وجماعات بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ إمّا جهلاً وإمّا عداوةً على تحريف معارف الإسلام، وإخراجها عن الجادة؛ وقد فعلوا ذلك، فجرى على الإسلام ما جرى؛ لكنّ الأئمة عليهم السلام عبر أقوالهم وتوعيتهم للناس هم الذين صانوا القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ المطهرة من التشويه والتحريف والأباطيل. ولولاهم لما تبقّى للأمة الإسلامية أيّ معيار واضح وصريح لفهم القرآن والسنّة فهماً صحيحاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ اللهَ لم يدعْ الأرضَ بغير عالم، و لولا ذلكَ لم يُعرف الحق من الباطل»[٣].

وقال عليه السلام في رواية أخرى:

---

١. يخاطب الله رسوله الكريم ﷺ بالقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية ٤٤).

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، ب ٢٢، ح ٥٣، ص ٤٤٦.

٣. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، باب «إنّ الأرض لا تخلو من حجّة»، ح ٥، ص ١٧٨.

«إنَّ الأرضَ لا تَخْلوا إلاّ وفيها إمامٌ كَيما إن زاد المؤمنُونَ شيئاً رَدّهُم و إن نَقَصُوا شيئاً أتَمَّهُ لَهُمْ»[1].

في ضوء إعلان النبي الأكرم ﷺ الصريح والقاطع الذي جعل الأئمة عليهم السلام عِدل القرآن، واتّباع القرآن والعترة معاً هو السبيل إلى النجاة، يؤمن الشيعة بمدرسة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وينهلون من معارف القرآن وسنّة النبي الأكرم ﷺ باعتبارهم حراس الدين وحفظته، ليأمنوا بذلك من الانحراف والتزوير.

قيادة المجتمع وإدارة شؤونه

الأمر البديهي هو عدم استغناء المجتمع والناس عن الحاكم والقائد والزعيم. ولا يشذّ الإسلام عن هذه القاعدة، فقد أولى أهمية كبرى لأمر الحكومة؛ ذلك أنّ الحاكم الإسلامي والديني يلعب دوراً مهماً للغاية في صلاح المجتمع. كما لا يتسنّى تطبيق الكثير من الأحكام الإسلامية إلّا في ظلّ الحكومة الإسلامية؛ مثل أحكام الحدود والديات، والجهاد وسائر الأحكام الاجتماعية.

إحدى وظائف النبي الأكرم ﷺ كانت إقامة الحكومة وإجراء أحكام الإسلام الاجتماعية. وكان من المفروض أن تنتقل هذه الوظيفة من بعده إلى خليفته المعصوم. لأنّ غياب الإمامة يعني وقوع الحكومة في أيدي أشخاص يفتقرون إلى العلم الكافي لإدارة المجتمع، وغير معصومين من الخطأ والسهو عند التطبيق. بناءً عليه، فالصيغة الأكمل لإدارة المجتمع أن يكون الحاكم الإسلامي إماماً معصوماً، لينساق الناس لطاعة الله بشكل أفضل وأكبر[2].

طبعاً من الواضح أنّ الظروف لم تكن مواتية في جميع العصور لإقامة الحكومة الإسلامية بقيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام، بل استولى على الحكم حكّام ظلمة وأئمة فجرة، فحرموهم من حقّ في إقامة حاكمية الله؛ غير أنّ هذا الأمر أضفى على أصل حاجة الناس إلى الحاكم الإلهي المعصوم طابعاً أكثر واقعية وموضوعية؛ بحيث أنّ عصر غيبة المعصوم أصبح عصر انتظار حكومة الإمام وحاكميته على العالم، وصار هذا الشأن من شؤون الإمامة الأكثر إلحاحاً شعبياً من سائر وظائفه.

---

١. *المصدر نفسه*، ح ٢.

٢. طبعاً في عصر غيبة الإمام المعصوم، أناط الإمام عليه السلام بالعلماء والفقهاء هذه المهمة، وهم المؤهلون لتأسيس الحكومة في حال توفّرت الشرائط المطلوبة لذلك، ليكونوا على رأس الحكومة الإسلامية.

الإمام، النموذج الكامل ومربّي الناس

«الإمام»، بوصفه الإنسان الكامل، يشكّل النموذج الجامع على جميع الصُعُد الإنسانية. فالبشرية بحاجة ماسة إلى هذا النموذج الفريد، لتنعم بفضل قيادته وهدايته بتربية ترقى إلى مرتبة الكمال الإنساني، وتكون مصانة من الانحرافات وشراك النفس الأمّارة وشياطين الخارج.

إذن، يتّضح لنا ممّا تقدّم أنّ حاجة الناس إلى الإمام عبارة عن حاجة حياتية. أمّا وظائف الإمام فنستعرض فيما يلي بعضاً منها:

- التفسير الصحيح للقرآن ولمعارف الدين وبيان الأحكام؛
- ـ قيادة المجتمع وإدارة شؤونه (تشكيل الحكومة)؛
- ـ صيانة الدين من التحريف؛
- ـ تزكية النفوس والهداية الروحية للناس[1].

صفات الإمام

إنّ خليفة النبي الأكرمﷺ الذي يعدّ الضمانة لديمومة حياة الدين وكذلك الاستجابة لحاجات البشر يجب أن يتّصف بصفات تتناسب مع الموقع الرفيع للإمامة، من أهمّها نذكر:

١. التقوى والورع وملكة العصمة بحيث لا تصدر منه أدنى معصية؛

٢. العلم والمعرفة اللذان استقاهما من النمير الصافي لعلم النبيﷺ والمتّصل بالعلم الإلهي؛ بما يعني أنّه يلبّي جميع الاحتياجات في جميع الميادين المادية والروحية، الدينية والدنيوية؛

٣. التحلّي بالفضائل الحميدة والسجايا الأخلاقية في أعلى مراتبها؛

٤. قدرته على إدارة المجتمع الإنساني الإدارة الصحيحة المستندة إلى التعاليم الدينية.

إذن، في ظلّ ما ذكرنا من صفات للإمام، يصبح من البديهي أنّ اختيار مثل هذا الشخص خارج عن دائرة قدرة الناس وعلمهم، ولا أحد سوى الله تعالى قادر على تعيين أئمة خلفاء النبيﷺ لعلمه المطلق اللانهائي. لذا، فمن أهمّ صفات الإمام أنّه معيّن من الله.

---

١. جدير بالذكر أنّ موضوع «تأسيس الحكومة» من قبل الإمام المعصوم مرتبط بالظروف والشرائط، أمّا بقية الواجبات الأخرى فهي قائمة ومستمرة حتى في عصر الغيبة، وإن كانت في عصر ظهور الإمام وحضوره العلني بين الناس تكون بشكل ملموس وعيني. النقطة الأخرى هي أنّ ما قيل في هذا الفصل عبارة عن حاجة الناس إلى الإمام في الحياة الروحية والمعنوية، أمّا حاجة منظومة العالم إلى «وجود الإمام» فسيأتيك في مبحث «فوائد الإمام الغائب».

ولأهمية هذه الصفات، فإنّه من الضروري توضيح كل صفة بإيجاز:

١. العلم

ينبغي للإمام الذي يتكفّل بقيادة الناس وإمامتهم، أن يحيط بجميع أطراف الدين وبأحكامه وقوانينه إحاطة تامة. كما يجب عليه أن يلمّ بتفسير آيات القرآن وبسنّة النبي الأكرم ﷺ إلماماً تاماً يؤهّله لتبيين معارف الدين، والإجابة عن أسئلة الناس وشبهاتهم في مختلف الموضوعات، وهدايتهم على أكمل وجه. ومن البديهي أنّ بمقدور هذه المرجعية العلمية أن تكون موضع ثقة الناس وملاذهم. ولا يمكن لهذا الظهير العلمي أن يوجد إلّا إذا كان علمه متّصلاً بالعلم الإلهي؛ لهذا السبب يعتقد الشيعة أنّ علم الأئمة، الورثة الحقيقيون للنبي ﷺ، مستلهم من العلم الإلهي المطلق.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أمارات الإمام الحقّ:

«الإمام أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه، وأمره ونهيه، جميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه»[1].

٢. العصمة

إحدى الصفات المهمة للإمام ومن الشروط الرئيسية للإمامة، وهي عبارة عن ملكة نابعة من العلم بالحقائق والإرادة القوية. وهما صفتان يمتلكهما الإمام فتمنعه من ارتكاب أيّ خطأ أو معصية. فالإمام معصوم من الخطأ في معرفة وتبيين المعارف الدينية، وكذلك في العمل بها، وفي تشخيص مصالح المجتمع الإسلامي ومفاسده.

ثمّة أدلة عقلية ونقلية (من القرآن والروايات) على عصمة الإمام، أهم الأدلة العقلية:

أ. صيانة الدين ونهج التديّن رهنٌ بعصمة الإمام؛ لأنّ مسؤولية الإمام المحافظة على الدين من أيّ تشويه أو تحريف، وهداية الناس دينياً، لا فقط كلامه يؤثّر في سلوك المجتمع، بل سلوكه وتقريره أو عدم تقريره لعمل الآخرين أيضاً؛ وهذا يتطلّب أن يكون فهمه للدين وتطبيقه له مصان من أيّ خطأ أو سهو، ليهدي أتباعه على نحوٍ قويم.

ب. من أسباب حاجة المجتمع للإمام، أنّ الناس غير معصومين من الخطأ في معرفة الدين

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٢٥، ح ٣٢، ص ١٦٥.

وتطبيقه. فما العمل إذا كان إمامهم أيضاً غير معصوم، وكيف له أن يكون موضع ثقتهم التامة؟ بعبارة أخرى، إذا لم يكن الإمام معصوماً، ستكون طاعة الناس لأوامره موضع شكّ وترديد[١].

ويمكن الاستدلال بآيات من القرآن على وجوب عصمة الإمام، منها، مثلاً، الآية ١٢٤ من سورة البقرة[٢]، حيث تذكر أنّ الله تبارك وتعالى منّ على النبي إبراهيم عليه السلام بمقام الإمامة الرفيع، بعد مقام النبوة. كان النبي إبراهيم عليه السلام يسأل ربّه أحياناً أن يمنّ على ذريّته بهذا المقام، فقال عزّ وجلّ: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

والحال أنّ الشرك بالله ظلمٌ عظيم كما يقول القرآن الكريم، وكذلك أيّ اعتداء على أحكام الله (المعاصي) ظلم للنفس، فكل من يرتكب معصية في أيّ لحظة من حياته فهو تجسيد للظالم، ولا يستحقّ أن يتبوّأ منصب الإمامة.

بعبارة ثانية، إنّ النبي إبراهيم عليه السلام أجلّ شأناً من أن يسأل الله تعالى «الإمامة» لمن كان ظالماً وعاصياً في جميع عمره، أو لمن كان في بداية أمره صالحاً ثم انقلب وصار عاصياً فيما بعد. فبقي قسمان:

١. الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره، فيقدّم التوبة بين يدي الله ويصبح من الصالحين.

٢. الذي لم يرتكب في عمره أيّ معصية قط.

وقد استثنى الله تعالى في خطابه الفريق الأول، لتكون النتيجة جعل مقام «الإمامة» في الفريق الثاني حصراً[٣].

٣. الإدارة الاجتماعية

الإنسان كائن اجتماعي، ومعلوم كم هو كبير تأثير المجتمع على روحه وسلوكه، لذلك، فالتربية الصحيحة لهذا الإنسان وإعداده وتنشئته النشأة التي تقرّبه إلى الله تحتاج إلى خلق مقومات اجتماعية مناسبة، ولا يتسنّى ذلك إلّا في ظلّ حكومة إلهية. من هنا، ينبغي لإمام الناس أن يمتلك

---

١. بالإضافة إلى ذلك، إذا لم يكن الإمام معصوماً من الخطأ، فستظهر الحاجة للبحث عن إمام آخر ليرفع حاجات الناس، وإذا كان الإمام الثاني أيضاً غير معصوم، فستكون هناك حاجة إلى إمام آخر وهكذا سوف تستمر هذه السلسلة إلى ما لانهاية، وهو أمر باطل من وجهة نظر الفلسفة.

٢. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

٣. *عيون أخبار الرضا عليه السلام*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب «في علامات الإمام»، ح ١، ص ١٩٢.

القدرة على إدارة شؤون المجتمع، وأن يقيم حكومة إسلامية بالاستناد إلى تعاليم القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم ﷺ المطهرة وتوظيف كل العناصر الفاعلة في هذا المجال.

٤. التحلّي بالفضائل الأخلاقية

إنّ موقع الإمام كقائد للمجتمع يحتّم عليه أن يكون بعيداً عن جميع الشرور والرذائل الأخلاقية، وفي المقابل، أن يتحلّى بالفضائل الأخلاقية في أعلى مستوياتها، لكونه يشكّل القدوة المثلى لأتباعه بوصفه الإنسان الكامل. وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«للإمام علامات، يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس»[١].

كما أنّه يقوم من موقعه كخليفة لرسول الله ﷺ، بتربية الناس وتعليمهم، ولزوم ذلك أن يكون هو نفسه أسبق الناس إلى الأخلاق الإلهية وأكثرهم تمسّكاً بها.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«من نصّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم»[٢].

٥. التعيين الإلهي

يعتقد الشيعة أنّ منصب الإمام وخليفة النبي هو تعيين حصري من الله واصطفاء منه، وإنّ النبي يعلن عن الإمام الذي يخلفه. لذا، ليس لأحد أو جماعة حقّ التدخّل في هذا الأمر. وثمّة أسباب لضرورة التعيين الإلهي للإمام نورد منها:

أ. إنّ الله تعالى هو الحاكم المطلق بحسب ما جاء في القرآن الكريم، وطاعته حصراً واجبة على الجميع. وبطبيعة الحال، فإنّ الله تعالى يفوّض هذه الحاكمية لمن هو أهلٌ لها. وكما أنّ النبي مصطفى من الله، فالإمام أيضاً له الولاية على الناس بتعيين إلهي.

ب. عرفنا فيما سبق بعض صفات الإمامة كالعصمة والعلم ..إلخ، ولا شكّ في أنّ العثور على شخص بهذه المواصفات –بل في أعلى مراتبها- لا يتيسّر إلّا لله وحده العليم بالسرّ والعلن. وهو ما

---

١. *تفسير الميزان*، محمد حسين الطباطبائي، سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٢. *نهج البلاغة*، الحكمة ٧٣.

يتّضح من مخاطبة الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[١].

لقد بيّن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّ الإمامة هي تعيين من الله، يصطفي من يشاء لهذا المنصب، ومن خلال مراجعتنا للسيرة النبوية الشريفة يتّضح لنا هذا الكلام جليّاً دون لبس. فمثلاً جاء في سيرة ابن هشام:

أنّه صلى الله عليه وآله أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه، فقال رجلٌ منهم يقال له بيحرة بن فراس: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال [رسول الله]: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه[٢].

كلام جامع ورائع للإمام الرضا عليه السلام

ربما من المناسب أن نختم هذه الفقرة بكلام جامع للإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام في فضل الإمام وصفاته:

أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللهُ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَ ذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ خَوْضَ النَّاسِ فِيهِ فَتَبَسَّمَ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: «يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، جَهِلَ الْقَوْمُ وَ خُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ وَ الْحَرَامَ، وَ الْحُدُودَ وَ الْأَحْكَامَ، وَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًا، فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ- ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣]، وَ أَنْزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَ هِيَ آخِرُ عُمُرِهِ صلى الله عليه وآله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾[٤]. وَ أَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، وَ لَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَ أَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَ تَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَ أَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عليه السلام عَلَماً وَ

---

١. سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٢. ***سيرة ابن هشام***، ابن هشام، ج ٢، ص ١٣٢؛ ***تاريخ الطبري***، محمد بن جرير الطبري، ج ٢، ص ٨٤؛ ***سيرة ابن كثير***، إسماعيل بن كثير، ج ٢، ص ١٥٨.

٣. سورة الأنعام: الآية ٣٨.

٤. سورة المائدة: الآية ٣.

إِماماً، وَ مَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ، فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ، وَ مَنْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ. هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَ مَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ، فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً، وَ أَعْظَمُ شَأْناً، وَ أَعْلَى مَكَاناً، وَ أَمْنَعُ جَانِباً، وَ أَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِماماً بِاخْتِيَارِهِمْ. إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَ الْخُلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً، وَ فَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا، وَ أَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَالَ[1] ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾[2]، فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُرُوراً بِهَا- ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ صَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ، ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَ الطَّهَارَةِ، فَقَالَ ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ. وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾[3]. فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ، يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى وَرَّثَهَا اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ جَلَّ وَ تَعَالَى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[5] فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عليه السلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ، إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَ إِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللهِ وَ خِلَافَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَ مَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَ مِيرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَ صَلَاحُ الدُّنْيَا، وَ عِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَ فَرْعُهُ السَّامِي، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ، وَ الصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ، وَ تَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَ الصَّدَقَاتِ، وَ إِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَ الْأَحْكَامِ، وَ مَنْعُ الثُّغُورِ وَ الْأَطْرَافِ، الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللهِ، وَ يُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ، وَ يُقِيمُ حُدُودَ اللهِ، وَ يَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ، وَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، وَ هِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا

---

١. الإشادة: رفع الصوت بالشيء.

٢. سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٣. سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

٤. سورة آل عمران: الآية ٦٨.

٥. سورة الروم: الآية ٥٦

تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارُ، الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ، وَ السِّرَاجُ الزَّاهِرُ، وَ النُّورُ السَّاطِعُ، وَ النَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى[١]، وَ أَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَ الْقِفَارِ، وَ لُجَجِ الْبِحَارِ، الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ، وَ الدَّالُّ عَلَى الْهُدَى، وَ الْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى، الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ[٢] الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ، وَ الدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ، الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَ الْغَيْثُ الْهَاطِلُ[٣]، وَ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَ السَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ، وَ الْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَ الْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَ الْغَدِيرُ وَ الرَّوْضَةُ، الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ، وَ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَ الْأَخُ الشَّقِيقُ، وَ الْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ، وَ مَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ[٤]، الْإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَ خَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَ الدَّاعِي إِلَى اللهِ، وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ، الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ، الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ وَ عِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَ غَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَ بَوَارُ الْكَافِرِينَ، الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ وَ لَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَ لَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَ لَا لَهُ مِثْلٌ وَ لَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ، مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَ لَا اكْتِسَابٍ، بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ، أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَ تَاهَتِ الْحُلُومُ، وَ حَارَتِ الْأَلْبَابُ، وَ خَسَأَتِ الْعُيُونُ[٥]، وَ تَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ، وَ تَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ، وَ تَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ، وَ حَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَ جَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ، وَ كَلَّتِ الشُّعَرَاءُ، وَ عَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ، وَ عَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَ أَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَ التَّقْصِيرِ، وَ كَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ، أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَ يُغْنِي غِنَاهُ، لَا كَيْفَ وَ أَنَّى، وَ هُوَ بِحَيْثُ النَّجْمُ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ وَ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الِاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا، وَ أَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا، وَ أَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا، أَ تَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَذَبَتْهُمْ وَ اللهِ أَنْفُسُهُمْ، وَ مَنَّتْهُمُ الْأَبَاطِيلَ[٦]، فَارْتَقَوْا مُرْتَقًى صَعْباً دَحْضاً، تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ، وَ آرَاءٍ مُضِلَّةٍ، فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلَّا بُعْداً، ﴿قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٧]، وَ لَقَدْ

---

١. الغيهب: الظلمة وشدّة السواد، و أجواز: جمع الجوز و هو من كل شيء وسطه.

٢. اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

٣. الهاطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

٤. الداهية: الأمر العظيم، والنآد كسحاب بمعناها.

٥. الحلوم كالألباب: العقول، وضلّت وتاهت وحارت متقاربة المعاني، وخسئت أي كلّت.

٦. أوقعت في أنفسهم الأماني الباطلة أو أضعفهم.

٧. هذا على رواية الصفواني كما أشار إليه المجلسيّ.

رَامُوا صَعْباً، وَ قَالُوا إِفْكاً، وَ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً، وَ وَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ، إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ، وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللهِ وَ اخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ، وَ الْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَ ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2] وَ قَالَ ﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾»[3].

---

١. سورة القصص: الآية ٦٨.

٢. سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

٣. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، كتاب الحجة، باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته، ح ١، ص ١٩٨.

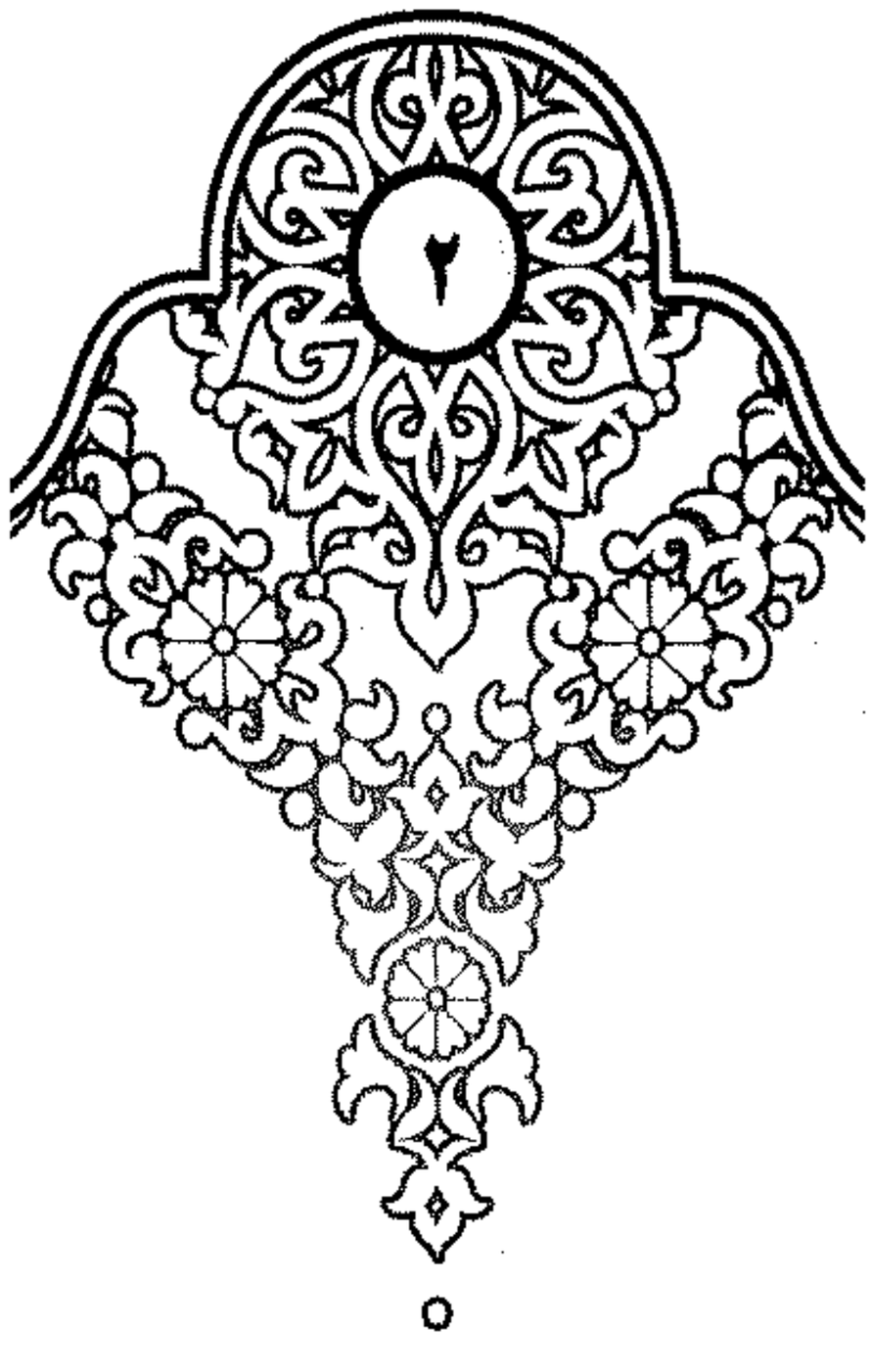

نظرة إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

وُلد آخر أئمة الشيعة والخليفة الثاني عشر لرسول الله ﷺ في فجر الجمعة النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ [٨٦٨م] في مدينة سامراء، إحدى مدن العراق.

والده المكرّم هو الحسن العسكري عليه السلام الإمام الحادي عشر، والدته المكرّمة سيدة الفضل والعفّة السيدة «نرجس»، وقد اختلفت الروايات في موطنها، فبعض الروايات يتحدّث عن كونها مُلَيْكَةُ بِنْتُ يَشُوعَاز بْنِ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ وَ أمّها مِنْ وُلْدِ الْحَوَارِيِّينَ تُنْسَبُ إِلَى وَصِيِّ الْمَسِيحِ شَمْعُون. وطبقاً لهذه الرواية، فقد رأت السيدة نرجس في منامها أنّها اعتنقت الإسلام، وبفضل هداية الإمام العسكري عليه السلام أقحمت نفسها في جيش الروم الذي كان متوجهاً لقتال المسلمين، فتقع مع آخرين في أسر جند الإسلام. وهناك أنفذ الإمام الهادي عليه السلام أحد أصحابه المخلصين إلى

بغداد ليبتاعها ويأت بها إلى سامراء[١].

طبعاً ثمّة روايات أخرى أيضاً في هذا الصدد[٢]؛ غير أنّ الأمر المهم والجدير بالاهتمام أنّ السيدة نرجس عليها السلام بقيت فترة تحت رعاية وتربية السيدة حكيمة خاتون عليها السلام ـ إحدى أخوات الإمام الهمام علي الهادي عليه السلام ـ وحظيت في بيتها بوافر احترامها وتكريمها.

وقبل سنوات من هذا التاريخ ورد تكريم السيدة نرجس عليها السلام في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٣]، والإمام الصادق عليه السلام[٤]، حيث وُصفت بسيّدة الإماء.

هذا، وقد ذُكرت أسماء عديدة لوالدة مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مثل سوسن، ريحانة، مليكة و صيقل (صقيل).

الاسم، الكنية، الألقاب

اسم وكنية إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف نفس اسم وكنية جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ورد في بعض الروايات النهي عن ذكر اسمه حتى ظهوره.

أمّا الألقاب التي اشتهر بها فهي: المهدي، القائم، المنتظَر، بقية الله، الحجّة، الخلف الصالح، المنصور، صاحب الأمر، صاحب الزمان، وولي العصر، وأشهرها «المهدي» عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كل واحد من هذه الألقاب ينطوي على رسالة خاصة لإمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إطلاق لقب «المهدي» على إمام الفضائل لكونه المهديّ الذي يدعو الناس إلى الحقّ. ولقب «القائم» لأنّه سيقوم بالحقّ. و«المنتظَر» لأنّ الجميع ينتظر قدومه. وهو «بقية الله» لكونه البقية الباقية من حجج الله وآخر الذخائر الإلهية.

«الحجّة» أي حجة الله على الخلق، و«الخلف الصالح» هو الوريث والخليفة الجدير لأولياء الله. و«المنصور» لأنّه المسدّد من الله والمؤيّد، و«صاحب الأمر» لأنّه سوف يتكفّل بأمر تأسيس حكومة العدل الإلهي. و«صاحب الزمان وولي العصر» أيضاً بمعنى حاكم عصره الفريد.

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤١، ح ١، ص ١٣٢.

٢. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥، ح ٢٩، ص ٢٢، وح ١٤، ص ١١.

٣. ***كتاب الغيبة***، الشيخ الطوسي، ح ٤٧٨، ص ٤٧٠.

٤. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٣٣، ح ٣١، ص ٢١.

صفات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

تتّصف شخصية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسيرته ببعض الصفات لتمايزه عن بقية الأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد ذُكرت هذه الصفات والخصال في أحاديث شريفة كثيرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى عليهم السلام، نأتي هنا على استعراض بعضها:

١. البشارة بقدومه

من الخصوصيات التي تميّز بها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كثرة البشارات بشأن ولادته وظهوره، والتي وردت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام. ورويت هذه الأحاديث في مصادر الشيعة وأهل السنّة أيضاً[١]، نكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة لتلك الأحاديث:

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

> «أبشّركم بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يُبعث في أمّتي على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجورا...»[٢].

قال الإمام الحسين عليه السلام:

> «قائم هذه الأمة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يقسّم ميراثه وهو حيّ»[٣].

وقيل للإمام الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟:

> قال عليه السلام: «الرابع من ولدي ابن سيّدة الإماء، يُطهّر الله به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم. وهو الذي يشكّ الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة قبل خروجه...»[٤].

٢. خفيّ المولد

جاء في روايات كثيرة نقلاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّ رجلاً من آل بيته اسمه «المهدي» سيقوم ليهدم أساس الظلم. وهو ما دفع حكام بني العباس بعد سماعهم بهذه الرواية إلى بذل محاولات حثيثة لاقتفاء أثر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منذ ولادته وقتله. وهو ما يفسّر زيادة قيودهم على الأئمة

---

١. انظر: ***منتخب الأثر***، لطف الله الصافي الكلبايكاني، الفصل الثاني (ص ٢٣٢ـ١٩١).
٢. ***كتاب الغيبة***، الشيخ الطوسي، ح ١٣٦، ص ١٧٨؛ ***مسند أحمد***، ج ٣، مسند أبو سعيد الخدري، ص ٣٧.
٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٠، ح ١، ص ٥٨٣.
٤. ***المصدر نفسه***، ج ٢، باب ٣٥، ح ٥، ص ٦٠.

المعصومين عليهم السلام والتضييق عليهم ابتداءً من عصر الإمام الجواد عليه السلام، والتي وصلت ذروتها في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ فكانت كل تحرّكاته وتوافد الزائرين على بيته مرصودة من قبل جهاز الحكم الجائر. وفي ظلّ هذه الظروف، من الطبيعي أن تحاط ظروف ولادة آخر حجج الحق والموعود الإلهي بسريّة تامة، وبعيداً عن أعين الآخرين. ولهذا السبب لم يعلم حتى المقرّبين من الإمام الحادي عشر بولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما لم تظهر علائم الولادة على السيدة نرجس خاتون، الوالدة المكرّمة للإمام الثاني، حتى ساعات قليلة من الولادة.

تسرد السيدة حكيمة خاتون عليها السلام كريمة الإمام الجواد عليه السلام، قصة الولادة على النحو التالي:

بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام فقال: «**يا عمّة، اجعلي افطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة، وهو حجّته في أرضه**». قالت: فقلت له: ومن أمّه، قال لي: «**نرجس**»، قلتُ له: جعلني الله فداك، ما بها أثر، فقال: «**هو ما أقول لك**»، قالت: فجئتُ، فلمّا سلّمتُ وجلستُ، جاءت تنزع خُفّيّ وقالت لي: يا سيّدتي وسيّدة أهلي، كيف أمسيتِ؟ فقلت: بل أنتِ سيّدتي وسيّدة أهلي، قالت فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة. قالت: فقلت لها يا بنيّة، إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة،، قالت: فخجلتُ واستحييتُ. فلما أن فرغتُ من صلاة العشاء الآخرة أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدتُ، فلمّا أن كان في جوف الليل، قمتُ إلى الصلاة، ففزعتُ من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثمّ جلستُ معقّبة ثم اضطجعتُ ثم انتبهتُ فزعةً وهي راقدة، ثمّ قامت فصلّت ونامت.

وقالت السيدة حكيمة خاتون: وخرجتُ أتفقّد الفجر، فإذا أنا بالفجر الأول كذئب السّرحان وهي نائمة، فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: «**لا تعجلي يا عمّة، فهاك الأمر قد قَرُبَ**»، قالت: فجلستُ وقرأتُ ألم السجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذ انتبهتُ فزعة فوثبتُ إليها فقلت اسم الله عليك، ثم قلتُ لها: أتحسّين شيئاً، قالت: نعم يا عمّة، فقلتُ لها: أجمعي نفسك، وأجمعي قلبك، فهو ما قلتُ لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهتُ بحسّ سيدي، فكشفت الثوب عنه، فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقّى الأرض بمساجده، فضممته إليّ، فإذا أنا به نظيف متنظّف، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «**هلمّي إليّ ابني يا عمّة**»، فجئتُ به إليه، فوضع يديه تحت أليتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على

عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: «تكلّم يا بنيّ فقال أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، ثمّ صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة (عليهم السلام)، إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم، ثم قال أبو محمد عليه السلام: «يا عمّة إذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها، وأتيني به»، فذهبتُ به فسلّم عليها، ورددتهُ فوضعته في المجلس...[1].

٣. طول العمر

من خصوصيات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف طول عمره الشريف، حيث مضى على ولادته حتى الآن حوالي اثنا عشر قرناً. ويعزى طول عمره الشريف إلى أنّه وطبقاً للمشيئة الإلهية آخر حجج الله، وذخيرة الله لتحقيق أهداف الأنبياء، ومن الواضح أنّه يجب أن يطول عمره الشريف حتى تتهيّأ ظروف العصر لقيامه العالمي. وقد ورد توضيح هذه الحقيقة في العديد من الروايات.

طبعاً، قد يخطر ببال البعض هذا السؤال: كيف يمكن لإنسان أن يعمّر كل هذه السنين؟ وللإجابة عنه ينبغي لنا أن نتأمّل قليلاً مسألة طول العمر:

يعود أصل هذا السؤال وسبب طرحه إلى أنّ المتداول والمعروف في عالمنا اليوم أن تكون أعمار الإنسان محدودة قد لا تتجاوز في العادة المئة سنة؛ من هنا[2] لا يتسنّى للبعض أن يتصوّر أو يصدّق أن يطول العمر ويمتدّ لأكثر من هذه الحدود؛ في حين أنّ طول العمر ليس مستحيلاً من منظار العقل والعلم البشري. فقد أثبت العلماء أنّ بمقدور الإنسان أن يحيى لسنوات طويلة جداً وذلك من خلال دراسة تركيبة جسم الإنسان، بل بمقدوره أن لا يشيخ ولا تظهر عليه علامات الشيب والتجاعيد.

بناءً عليه، فإنّ جهود العلماء في تحرّي الطرق والأساليب الكفيلة بالتغلّب على الشيخوخة والتمتّع بحياة طويلة تشي بإمكان حصول مثل هذه الظاهرة؛ وقد تمّ تحقيق خطوات ناجحة في هذا الطريق، وهناك الكثير من المعمّرين يعيشون في زوايا هذا العالم وهم في سنّ المئة والخمسين سنة أو أكثر بفضل الظروف المثالية من مناخ وتغذية مناسبة والمواظبة على ممارسة النشاطات البدنية والفكرية وعوامل أخرى غيرها. الأهم من هذا أنّه توجد أمثلة كثيرة على طول

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٢، ح ١، ص ١٤٣.

٢. طبعاً، في عصرنا الحالي أيضاً يمكن أن نجد أشخاصاً معمّرين قد جاوزوا المئة سنة ولكن بنسبة قليلة.

عمر الإنسان في التاريخ القديم. وقد ذكرت الكتب السماوية والتاريخية شخصيات كثيرة بالاسم والمواصفات ممّن عمّروا أعماراً طويلة أطول بكثير من عمر البشر في العصر الحاضر. لمزيد من التوضيح نستعرض هنا بعض الأمثلة:

١. توجد آية في القرآن الكريم لا تتحدّث عن إمكان أن يحيى الإنسان سنوات طويلة فحسب، بل أن يظلّ حيّاً إلى يوم البعث، وهذه الآية تخاطب النبي يونس عليه السلام بقولها: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

إذن، فالعمر الطويل جداً (من عصر يونس عليه السلام إلى يوم البعث) والذي يصطلح عليه علماء الأحياء عمراً خالداً بالنسبة للبشر والحيتان، أمرٌ ممكن من منظار القرآن الكريم.

٢. يقول القرآن الكريم عن النبي نوح عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾[٢].

هذه الآية الشريفة تذكر فترة نبوة النبي نوح عليه السلام، أمّا عمره فقد كان، بالاستناد إلى بعض الروايات، ٢٤٥٠ سنة[٣].

وثمّة رواية جديرة بالاهتمام تنقل عن الإمام السجاد عليه السلام قوله:

«في القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف سنّة من نوح عليه السلام وهو طول العمر»[٤].

٣. وتلا عليه السلام الآية الكريمة في النبي عيسى عليه السلام :

... ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[٥].

فالمسلمون جميعاً يؤمنون بالاستناد إلى القرآن الكريم وجمهرة من الأحاديث الشريفة أنّ النبي عيسى عليه السلام حي يرزق في السماء، وأنّه سوف ينزل مع ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وينصره.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

---

١. سورة الصافات: الآية ١٤٤.

٢. سورة العنكبوت: الآية ١٤.

٣. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٦، ح ٣، ص ٣٠٩.

٤. *المصدر نفسه*، ج ١، باب ٢١، ح ٤، ص ٥٩١.

٥. سورة النساء: الآية ١٥٧.

«في صاحب هذا الأمر [المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] أربع سنن من أربعة أنبياء عليهم السلام ... وأمّا من عيسى عليه السلام فيقال أنّها مات، ولم يمت»[١].

لم تُذكر مسألة طول العمر في القرآن الكريم فقط، فالتوراة والإنجيل أيضاً أتيا على ذكر هذه المسألة، يقول التوراة:

... فكانت كلّ أيّام «آدم» التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة، ومات ... فكانت كلّ أيّام «أنوش» تسع مئة وخمس سنين ومات ... فكانت كلّ أيّام «قينان» تسع مئة وعشر سنين، ومات ... فكانت كلّ أيّام «متوشالح» تسع مئة وستين سنة، ومات ...[٢].

إذن، نلاحظ أنّ التوراة يذكر صراحة المعمّرين من الأنبياء الذين عمّروا أكثر من ٩٠٠ سنة.

وفي الإنجيل أيضاً نجد بعض العبارات التي تشير إلى قيامة النبي عيسى عليه السلام أي بعثه بعد الصلب ورفعه إلى السماء[٣]، وأنّه سوف ينزل في يوم ما. والأمر الأكيد هو أن يكون عمره الآن أزيد من ألفي سنة.

يتّضح لنا في ضوء هذا البيان أنّ عقيدة طول العمر هي من المعتقدات التي ينبغي لأتباع الديانتين اليهودية والمسيحية أن يؤمنوا بها طبقاً لما ورد في كتبهم المقدسة.

إذا ما تجاوزنا مسألة إثبات طول العمر من الناحية والعقلية، والشواهد التاريخية العديدة التي تؤكّد حصولها، فإنّه يمكن البرهنة عليها من زاوية قدرة الله المطلقة. فالمؤمنون من كل الأديان السماوية يعتقدون أنّ كل ذرة في هذا الكون هي في قبضة الله وقدرته، وأنّ جميع العلل والأسباب رهن مشيئته وإرادته. فإذا لم يشأ، تعطّل تأثير الأسباب، كما أنّه تعالى قادر على خلق العلل والأسباب. فهو القادر على إخراج الناقة من بطن الجبل، وأن يجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وأن يفلق البحر لموسى وقومه ليمرّوا عبر جدارين عظيمين بسلام[٤]. فهل يعجز هذا الإله [والعياذ بالله] أن يطيل في عمر خلاصة الأنبياء والأولياء وآخر الذخائر الإلهية وغاية آمال الصالحين، ومصداق الوعد القرآني العظيم؟!

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ص ٢١٧.

٢. *التوراة*، سفر التكوين، الإصحاح ٥، الآيات ٥ – ٣٢.

٣. *العهد الجديد*، سفر أعمال الرسل، الإصحاح الأول، الآيات ١ – ١٢.

٤. هذه حقائق ورد ذكرها في القرآن الكريم: سورة الأنبياء: الآية ٦٩؛ سورة الشعراء: الآية ٦٣.

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«... إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين عليه السلام ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره [المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير»[1].

لذا، فمسألة طول عمر الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف ممكنة ومقبولة من مختلف النواحي العقلية والعلمية والتاريخية، وقبل هذا وذاك، فإنّها من مظاهر مشيئة الله القادر المقتدر.

الشمائل والأوصاف

وردت في الأحاديث النبوية الشريفة وروايات أهل البيت عليهم السلام شمائل وأوصاف مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نشير هاهنا إلى بعضٍ منها:

كان أبيض مشرباً حمرة، أجلى الجبين، أقنى الأنف، غائر العينين، مشرف الحاجبين، له نور ساطع، يغلب سواد لحيته ورأسه، وعلى رأسه فرق بين وفرتين كأنه ألف بين واوين، أفلج الثنايا، برأسه جزاز، أي في أخر شعره مثل العُقد، عريض ما بين المنكبين، أسود العينين، ساقه كساق جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وبطنه كبطنه، ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة، مدور الهامة، سهل الخدين، على خدّه الأيمن خال، بظهره شأمة على شبه شأمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن صفاته الشريفة التي وردت في روايات المعصومين عليهم السلام نذكر:

إنّه من أهل العبادة والتهجّد، والزهد وبساطة العيش، والصبر والحلم، والعدالة والإحسان. يسبق الجميع في العلم والمعرفة، ووجوده الطاهر ينبوع البركة والطهارة. إنّه من أهل القيام والجهاد، قائد العالمين، والثائر الكبير، المنجي الأخير والمصلح، موعود البشرية. هذا الإمام النوراني من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن وِلد فاطمة الزهراء عليها السلام وتاسع ولد سيد الشهداء عليه السلام، وعند ظهوره يسند ظهره إلى الكعبة، ويحمل لواء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ويحيي دين الله بقيامه، ويجري أحكام الله في أرجاء المعمورة كافة، ويملأ العالم رأفة وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ص ١٠٩.

وجوراً[١].

من ولادة الموعود إلى استشهاد الإمام العسكري عليه السلام

حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منذ ولادته حتى استشهاد والده المكرّم الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتي لا تتجاوز خمس سنوات وبضعة أَشهر، شهدت مسائل مهمة. في هذه الفترة دأب الإمام العسكري عليه السلام على إراءة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لشيعته، حتى لا يضلّوا في معرفة آخر أئمتهم. كما كانت تظهر العديد من المعجزات والكرامات من الموعود، وكلّها شواهد وبيّنات ناطقة على إمامته وحجيّته. فيما يلي نسلّط الضوء على بعض وقائع هذه الفترة:

فيمن رأى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من الشيعة

شكّلت السنوات الأولى من حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فترة حسّاسة وخطيرة للغاية، فمن جهة، كانت عيون الأعداء ترصد ولادة ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليقتلوه، ومن جهة ثانية كان الشيعة ومحبّي المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يتلهّفون لمعرفة إمامهم الثاني عشر، لئلا يسيروا في طريق التيه والضلال؛ لذا كان على الإمام العسكري عليه السلام أن يوازن بين مسألتين، أن يبقى على حذر شديد لئلا يتناهى خبر ولادة ابنه إلى أسماع السلطة الحاكمة، عبر التمويه على هذه الولادة وإخفاؤها، وفي نفس الوقت، كان عليه اطلاع الشيعة بولادة إمامهم الثاني عشر وخليفته بالحقّ لئلا يضلّوا من بعده عن طريق الإمامة والقيادة. ولذلك أقدم عليه السلام على بعض الخطوات منها:

١. فيمن رأى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من الخواصّ

يقول أحمد بن إسحاق، من كبار الشيعة وخواص الإمام الحادي عشر عليه السلام:

> دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ العسكري عليه السلام وَ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْخَلَفِ مِنْ بَعْدِهِ فَقَالَ لِي مُبْتَدِئاً: «يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يُخَلِّ الْأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام، وَ لَا يُخَلِّيهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ للهِ عَلَى خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَ بِهِ (يُنَزِّلُ الْغَيْثَ)، وَ بِهِ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ». قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ فَمَنِ الْإِمَامُ وَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَكَ؟ فَنَهَضَ عليه السلام مُسْرِعاً فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ خَرَجَ وَ عَلَى عَاتِقِهِ غُلَامٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، مِنْ أَبْنَاءِ الثَّلَاثِ سِنِينَ فَقَالَ: «يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ لَوْلَا كَرَامَتُكَ عَلَى

---

١. *منتخب الأثر*، لطف الله الصافي الكلبايكاني، الفصل الثاني، ص ٢٣٩ ـ ٣٨٣.

اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَلَى حُجَجِهِ، مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ كَنِيُّهُ، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَ ظُلْماً. يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ الْخَضِرِ عليه السلام، وَ مَثَلُهُ مَثَلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَ اللهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ، وَ وَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ». فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ فَهَلْ مِنْ عَلَامَةٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا قَلْبِي. فَنَطَقَ الْغُلَامُ عليه السلام بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ فَقَالَ: «أَنَا بَقِيَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَ الْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلَا تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ». فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجْتُ مَسْرُوراً فَرِحاً..[1].

وكذلك روى محمد بن عثمان[2] وبعض كبار الأصحاب الشيعة ما يلي:

عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلاً فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا»[3].

٢. سنّة العقيقة

العقيقة سنّة دينية مؤكّدة في الإسلام، وهي أن يولم الأب عن مولوده في اليوم السابع، بأن تُذبح العقيقة ويُدعى عليها جماعة من المؤمنين والأفضل أن يكون عددهم عشرة فما زاد، يأكلون منها ويدعون للولد بالسلامة وطول العمر، وهي مؤثّرة جداً. وقد عقّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مراراً عن مولوده[4] عملاً بهذه السنّة النبوية المباركة، وفي الوقت نفسه ليُعلم مجاميع كثيرة من الشيعة بولادة إمامهم الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال محمد بن إبراهيم: إنّ أبا محمد[الحسن العسكري] عليه السلام بعث إلى من بعض من سمّاه لي بشاة مذبوحة، وقال: «**هذه من عقيقة إبني محمد**»[5].

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٣٨، ح ١، ص ٨٠.

٢. إنّه النائب الخاص الثاني للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغيبة الصغرى.

٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٣، ح ٢، ص ١٦٢.

٤. ***المصدر نفسه***، ج ٢، باب ٤٢.

٥. ***المصدر نفسه***، ح ١٠، ص ١٥٨.

٣. المراسلات

قال أحد أحفاد أحمد بن إسحاق القمي وهو من أعاظم الشيعة ومن أصحاب الأئمة: لمّا وُلد مولانا الخلف الصالح عجل الله تعالى فرجه الشريف ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدّي أحمد بن إسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه، وفيه «ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلّا الأقرب لقرابته، والوليّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به، مثل ما سرّنا به، والسلام»[1].

٤. الردّ على الأسئلة

من بين مهام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في فترة طفولته الردّ على الأسئلة. وكان يشكّل طريقاً آخر لمعرفة الإمام وآخر الحجج الذي عزّز عقيدة الشيعة، ومنحهم الدفء وطيب الخاطر. على سبيل المثال، روى سعد بن عبد الله القمّي قصة لقائه بالإمام الحسن العسكري عليه السلام بصحبة أحمد بن إسحاق كما يلي:

كنتُ قد اتّخذتُ طوماراً، وأثبتُّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خبير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمد عليه السلام فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بسرّ من رأى، فلحقته في بعض المنازل، فلما تصافحنا قال: بخير لحاقك بي، قلت الشوق ثم العادة في الأسولة.. فوردنا سرّ من رأى فانتهينا منها إلى باب سيدنا فاستأذنّا، فخرج علينا الآذن بالدخول عليه.. نظر إليّ مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: «ما جاء بك يا سعد؟»، فقلت: قال شوّقني أحمد بن إسحاق على لقاء مولانا، قال: «والمسائل التي أردتَ أن تسأله عنها؟»، قلت: على حالها يا مولاي، قال: «فسل قرّة عيني – وأومأ إلى الغلام –»، فقال لي الغلام: «سل عمّا بدا لك منها»، فقلت له: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل «كهيعص»، قال: «هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم».

وذلك أنّ زكريا عليه السلام سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة [أهل الكساء]، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام سُرّي عنه

---

١. *المصدر نفسه*، ح ١٦، ص ١٦٠.

همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: «يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيتُ بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرتُ الحسين عليه السلام تدمع عيني وتشور زفرتي»، فأنبأه الله تعالى عن قصّته، وقال: «كهيعص» «فالكاف» **اسم كربلاء، و«الهاء» هلاك العترة، و«الياء» يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، و«العين» عطشه، و«الصاد» صبره** ....»

قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: «**مصلحٌ أو مفسد؟**»، قال: مصلح، قال: «**فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد، بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟**»، قلت: بلى، قال: «**فهي العلّة .**»[1و2].

هذا، وتستمر الرواية فيورد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف علّة أخرى، ثم يجيب عن أسئلة أخرى، ونكتفي بما سردناه تحاشياً للإطناب.

٥. استلام الهدايا العينية

من الطقوس الشيعية التي كانت متداولة في ذلك الزمان إرسال الهدايا العينية والصُّرر إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام ليقوموا بعد قبول تلك الهدايا برفع حوائج فقراء المجتمع الإسلامي.

يسرد سعد بن عبد الله القمّي قصة تشرّفه مع أحمد ابن إسحاق أحد وكلاء الحسن العسكري عليه السلام بزيارة الإمام:

> فوردنا سرّ من رأى فانتهينا منها إلى باب سيّدنا فاستأذنّا فخرج علينا الآذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبري فيه مائة وستّون صرّة من الدنانير والدراهم على كلّ صرّ منها ختم صاحبها. قال سعد: فما شبّهت وجه مولانا أبي محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلّا ببدر قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر ... أخرج أحمد ابن إسحاق جرابه من طيّ كسائه فوضعه بين يديه، فنظر الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى الغلام وقال له: «**يا بنيّ فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك**»، فقال: يا مولاي، أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها؟ فقال مولاي: «**يا ابن إسحاق استخرج ما في**

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٢، باب ٤٣، ح ٢١، ص ١٩٠.

٢. تقدّم شرح هذا الكلام في الفصل الأول في فقرة تنصيب الإمام من قبل الله.

الجراب ليميّز ما بين الحلال والحرام منها»، فأوّل صرّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: «هذه لفلان بن فلان، من محلّة كذا بقم، يشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها، وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير»، فقال مولانا: «صدقت يا بنيّ، دلّ الرجل على الحرام منها»، فقال عليه السلام: «فتّش عن دينار رازي السكّة، تاريخه سنة كذا، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه..» ثمّ أخرج صرّة أخرى فقال الغلام: «هذه لفلان بن فلان، من محلة كذا بقم، تشتمل على خمسين ديناراً لا يحلّ لنا لمسها»، قال: «وكيف ذلك؟»، قال: «لأنّها من ثمن حنطة حاف صاحبها على أكّاره في المقاسمة، وذلك أنّه قبض حصّته منها بكيل واف، وكان ما حصّ الأكّار بكيل بخس»، فقال مولانا: «صدقت يا بنيّ». ثم قال: «يا أحمد بن إسحاق احملها بأجمعها لتردّها أو توصي بردّها على أربابها، فلا حاجة لنا في شيء منها، وائتنا بثوب العجوز». قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته[1].

المعجزات والكرامات

شكّلت المعجزات والكرامات فصلاً مثيراً في حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في السنوات الأولى من ولادته وقبيل غيبته، وعادةً ما يتم تجاهل هذا الفصل من حياة هذه الآية الإلهية الكبرى. ولذلك نذكر هاهنا مثالاً واحداً من تلك المعجزات:

قال إبراهيم بن أحمد النيسابوري:

> لمّا همّ الوالي عمرو بن عوف [وكان والياً ظالماً، مهووساً بقتل الشيعة] غلب عليّ خوف عظيم، فودّعت أهلي وتوجّهت إلى دار أبي محمد عليه السلام لأودّعه وكنتُ أردتُ الهرب، فلما دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً في جنبه، وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه، وكاد ينسيني ما كنت فيه، فقال: «**يا إبراهيم لا تهرب فإنّ الله سيكفيك شرّه**»، فازداد تحيّري، فقلتُ لأبي محمد عليه السلام: يا سيدي يا ابن رسول الله من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ قال: «**هو ابني وخليفتي من بعدي**» «الحديث»، وفي آخره أنّه لما خرج أخبره عمه بأنّ المعتمد قد أرسل أخاه وأمره بقتل عمرو بن عوف[2].

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٣، ح ٢١، ص ١٩٠.

٢. *إثبات الهداة*، الحرّ العاملي، ج ٣، فصل ٧، ص ٧٠٠.

وعن السيدة حكيمة خاتون عمّة الإمام الهمام الحسن العسكري عليه السلام أنّها روت مشاهداتها عن ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما يلي:

فلما كان في اليوم السابع جئت فسلّمت وجلست فقال: «هلمّي إليّ ابني»، فجئتُ بسيّدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنّه يغذّيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: «تكلّم يا بنيّ»، فقال: «أشهد أن لا إله إلّا الله»، وثنّى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ نُرِيدُ اَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْاَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ اَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ[1]﴾[2].

التربية والهداية

هداية الأفراد من أهم مشاريع الإمام حتى عندما كان طفلاً صغيراً، كان يقوم بهذا الدور. نقل الشيخ الصدوق رحمه الله: حدثني طريف أبو نصر [خادم الإمام الحسن العسكري عليه السلام] قال: دخلتُ على صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ثم قال: «أتعرفني؟» قلت: نعم، فقال: «من أنا؟» فقلتُ: أنت سيّدي وابن سيّدي، فقال: «ليس عن هذا سألتك»، قال طريف: فقلت: جعلني الله فداك فبيّن لي، قال: «أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله عزّ وجلّ البلاء عن أهلي وشيعتي»[3].

على الرغم من أنّ أبا نصر في هذه الرواية، يجيب عن سؤال الإمام، بيد أنّ الإمام عليه السلام يهديه ويزيده معرفة وبصيرة أعمق، وهي معرفة منزلة الإمام وآثار وجوده. من البديهي أنّ معرفة الإمام بوصفه خاتم الأوصياء تعني الطاعة والتسليم التام له.

من الجدير بالذكر أنّ الهداية وتربية البشرية تجلّت في جميع تصرّفات الإمام وسلوكه، وستأتيك أمثلة أخرى عن هذا السلوك في فصل «أسئلة وردود».

---

١. سورة القصص: الآيتان ٥ و٦.

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٢، ح ١، ص ١٤٣.

٣. *المصدر نفسه*، ج٢، باب ٤٣، ح ١٢، ص ١٧١.

الصلاة على جثمان الوالد

آخر مشهد في حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في مرحلة الاستتار وقبل غيبته كان الصلاة على الجثمان الطاهر لوالده المكرّم. فقد تحدّث أبو الأدْيان خادم الإمام الحادي عشر عليه السلام عن هذه الواقعة فقال:

كنت أخدم الحسن العسكري عليه السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار فدخلتُ عليه في علّته التي توفّي فيها صلوات الله عليه، فكتب معي كتاباً وقال: «امضِ به إلى المدائن فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل». قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمن؟ قال: «من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي»، فقلت: زدني، فقال: «من يصلّي عليّ فهو القائم من بعدي»، فقلتُ: زدني، فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم من بعدي»، ثم منعتني هيبته أن أسأله عمّا في الهميان.

وخرجتُ بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلتُ سرّ من رأى يوم الخامس عشر كما ذكر لي عليه السلام فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي بباب الدار والشيعة من حوله يعزّونه ويهنّونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأنّي كنت أعرفه يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدّمتُ فعزّيتُ وهنّيتُ فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفّن أخوك، فقم وصلّ عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمّان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة. فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً فتقدّم جعفر بن علي ليصلّي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ برداء جعفر بن علي وقال: «تأخّر يا عمّ فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»، فتأخّر جعفر، وقد اربدّ وجهه أصفر. فتقدّم الصبيّ وصلّى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه عليهما السلام. ثم قال: «يا بصريّ هات جوابات الكتب التي معك»، فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيّنتان، بقي الهميان. ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجّة عليه؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه.

فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن

[نعزّي]؟ فأشار الناس إلى جعفر بن عليّ، فسلّموا عليه وعزّوه وهنّوه وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منّا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان [وفلان] وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطليّة، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام[1].

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٢، باب ٤٣، ح ٢، ص ٢٢٣.

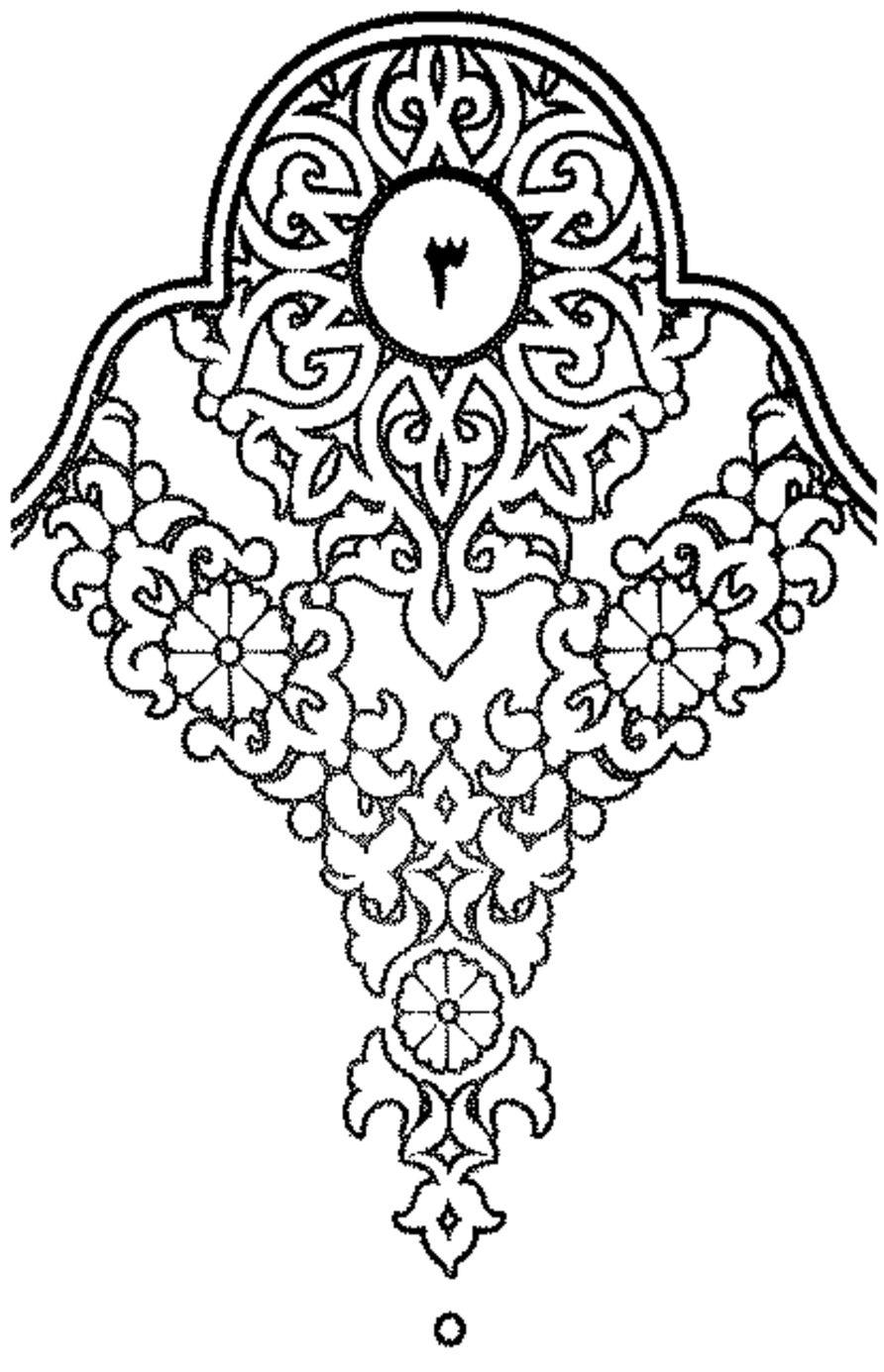

٣

اللقاء

لقاء الحبيب

ماذا أقول عن فترة الغيبة وما تنطوي عليه من شدائد ومرارة، وعن فراق الشيعة لمولاهم، وحرمانهم من رؤية جمال ذلك اليوسف الذي لا مثيل له. مع بداية عصر الغيبة، ما فتأت حسرات منتظري الظهور تتّقد لرؤية دوحة الفضيلة السامقة، وتتصاعد زفرات الفراق من القلب.

«عزيزٌ عليّ أن أرى الخلق و لا تُرى»[1].

في عصر الغيبة الصغرى، كان للشيعة تواصل مع إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف عبر نوابه الخواص، وقد تشرّف بعضهم بلقاء ذلك العظيم؛ بدلالة ما ورد من منقولات كثيرة في هذا الصدد؛ بيد أنّ هذه

---

١. *مفاتيح الجنان*، الشيخ عباس القمي، دعاء الندبة.

الرابطة قد انقطعت خلال فترة الغيبة الكبرى التي تجسّد غيبة تامة للإمام، وانتفت إمكانية التشرّف بلقاء الإمام بصورة عادية أو عبر أشخاص معينين.

مع ذلك، يعتقد الكثير من العلماء أنّ اللقاء بالإمام، ذلك البدر المنير، في هذا العصر أيضاً متاح، وقد حدث ذلك مرات عديدة. فهناك قصص مشهورة عن تشرّف العديد من العلماء بلقائه عجل الله تعالى فرجه الشريف كالعلامة بحر العلوم، والمقدس الأردبيلي، والسيد ابن طاووس، وأمثال هؤلاء، وقد تناقلتها مصادر مشاهير العلماء[1].

أنواع اللقاءات

تارة حدث التشرّف بلقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في ظروف الاضطرار والنوائب التي تمرّ بالأفراد، وتارة أخرى في الظروف العادية من دون أيّ اضطرار. أو بعبارة أوضح، أحياناً ظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف لمساعدة بعض الأفراد الذين واجهوا حالات الضيق والشدائد، والشعور بالوحدة والاغتراب؛ كما في اللقاءات التي جرت للعديد من الأفراد الذين ضلّوا طريقهم في العديد من الأماكن والطرق كأن يكونوا في رحلة الحج، فالتقوا بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أو أحد أصحابه، فقام بإنقاذهم من محنتهم وحيرتهم. معظم هذه اللقاءات من هذا القبيل.

ولكن أحياناً حدثت بعض اللقاءات في ظروف عادية وفي غير حالات الاستثناء أو الاضطرار، وأن الفرد نال توفيق التشرّف بلقاء الإمام بسبب شرف منزلته المعنوية. من الواضح أنّ نقاء الروح وصفاء النفس هو شرط اللقاء بالإمام، وأنّ العين التي تريد أن تتنوّر برؤية مظهر الجمال الإلهي، يجب أن تكون طاهرة ومنزّهة.

سرد اللقاء؛ الآثار والنتائج

ينبغي أن نعلم أنّ سيرة عظمائنا والمحظوظين الذين سُعدوا بالتشرّف بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هي كتمان هذا التوفيق، وعدم نشر تفاصيله إلى الآخرين. طبعاً ربما اطلع بعض مقرّبيهم على تفاصيل هذه اللقاءات وذلك لقرابتهم وكونهم حفظة أسرارهم، فنقلوها إلى الآخرين، لكنّ هذا النشر كان، عادةً، بعد وفاة أولئك المتشرّفين باللقاءات؛ كما ذكرنا في نقل قصة تشرّف المقدّس الأردبيلي باللقاء.

---

١. انظر: *جنّة المأوى و النّجم الثاقب*، المحدّث النوري.

ملاحظة مهمة وهي، إنّ نشر الآخرين لقصة تشرّف العلماء والصالحين بلقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تترتّب عليها بركات وآثار طيّبة مثل تعزيز العقيدة بوجود الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف وتشديد المحبة له وتقوية الصلات الروحية والتوسّل بهذا الحبيب؛ وهو السبب الذي دفع العلماء إلى المبادرة بنشر قصص تشرّفهم بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأُلّفت كتب مستقلّة في هذا الشأن، ولكن مع ذلك لا ينبغي لشخص المتشرّف باللقاء، كما ذكرنا، أن يقوم بنشر هذه القصص؛ لما يحمله هذا التصرّف من نتائج سلبية على الصعيد العام.

ونلاحظ أنّه طوال فترة الغيبة الكبرى، ولا سيّما في عصرنا الراهن، راح البعض يدّعي تشرّفه بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وذلك لحشد الأتباع والأنصار، وكسب الشهرة والمجد والارتزاق من وراء هذه الادّعاءات الباطلة، فضلّ وأضلّ كثيراً من الناس، وانجرّوا إلى الانحراف في العقيدة والعمل. وكان هؤلاء المدّعون يوصون الناس بتلاوة بعض الأدعية وممارسة بعض الطقوس التي ما أنزل الله بها من سلطان، ودعوة الوالهين المشتاقين للتشرّف بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى المشاركة في بعض الاجتماعات ذات المضامين المرفوضة، ويعدونهم ويمنّوهم بالتشرّف بلقاء الإمام، وعلى هذا المنوال يستسهلون مسألة التشرّف بلقاء الإمام الغائب، فيصوّرونها على أنّها متاحة لكل من هبّ ودبّ؛ بينما الأمر المسلّم به هو أنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في غيبة تامة طبقاً لمشيئة إلهية، ولا يتسنّى لقاؤه إلّا لقلّة قليلة.

الشرط الرئيسي للقاء

إنّ اللقاء بإمام الفضائل عجل الله تعالى فرجه الشريف عبارة عن دعوة خالصة يرفعها كل المشتاقين إلى الله الحكيم الرحيم، ولا يُستجاب لهذه الدعوة إلّا إذا تطابقت الاستجابة مع مقتضيات الحكمة والمصلحة؛ لذا، ينبغي أن لا يصاب المحبّ باليأس والإحباط عندما لا يحصل على مبتغاه في التشرّف على الرغم من توفّره على مقومات الحماس والشوق والسعي الوافر لحصوله، وأن لا يحمل ذلك على عدم عناية الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وانقطاع لطفه عنه؛ بل يجب أن يشكّل ذلك حافزاً له لينهل من ينبوع فضائل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف عبر مزيد من التوسّل به عجل الله تعالى فرجه الشريف وتقوية صلته الروحية، وهذا الباب مفتوح أمام الجميع وفي كل زمان.

روى أحمد بن إبراهيم النوبختي، أنّه قال لوالد زوجته محمد بن عثمان، ثاني سفراء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: لقد اشتاقت روحي للقاء الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. فقال محمد بن عثمان:

بهذا الشوق تريد رؤيته؟، فقال أحمد بن إبراهيم: بلى. فقال محمد: جزاك الله على شوقك، وأراك وجه صاحب الأمر وهو في حال العافية. ثم قال: في أيّام الغيبة اشتق للإمام ولكن لا تطلب لقاءه، لأنّها من الأمور المرتبطة بإرادة الله ومشيئته، والأفضل التسليم لها. ولكن توجّه إلى الإمام بتلاوة الزيارة.

وخلاصة الكلام، إنّ التشرّف برؤية الجمال النوراني للإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والتحدّث إلى حبيب القلوب سعادة ما بعدها سعادة، إلّا أنّ أئمّتنا وبخاصة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لم يطلبوا منّا أن نسعى إلى لقائه بأن نعتكف أربعين يوماً أو نهيم في البراري؛ وإنّما أوصى الأئمة المعصومون عليهم السلام أن لا يغفل الشيعة عن ذكره عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن يواظبوا على الدعاء له بالفرج؛ وأن يعملوا على كسب رضاه في القول والعمل، وأن يعملوا على طريق تحقيق أهدافه الكبرى، ليوطّئوا لظهور أمل البشر بأسرع وقت، لينعم العالم بفيض وجوده المباشر. فالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يوصي شيعته أن:

«أَكْثِرُوا الدُّعاء بِتَعْجيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذلِكَ فَرَجُكُم»[1].

كما يطلب عجل الله تعالى فرجه الشريف منهم:

«فليعمل كل امرء منكم بما يقرب به من محبتنا و يتجنب عما يدنيه من كراهيتنا و سخطنا»[2].

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٥، ح ٤، ص ٢٣٩.
٢. *الاحتجاج*، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٥.

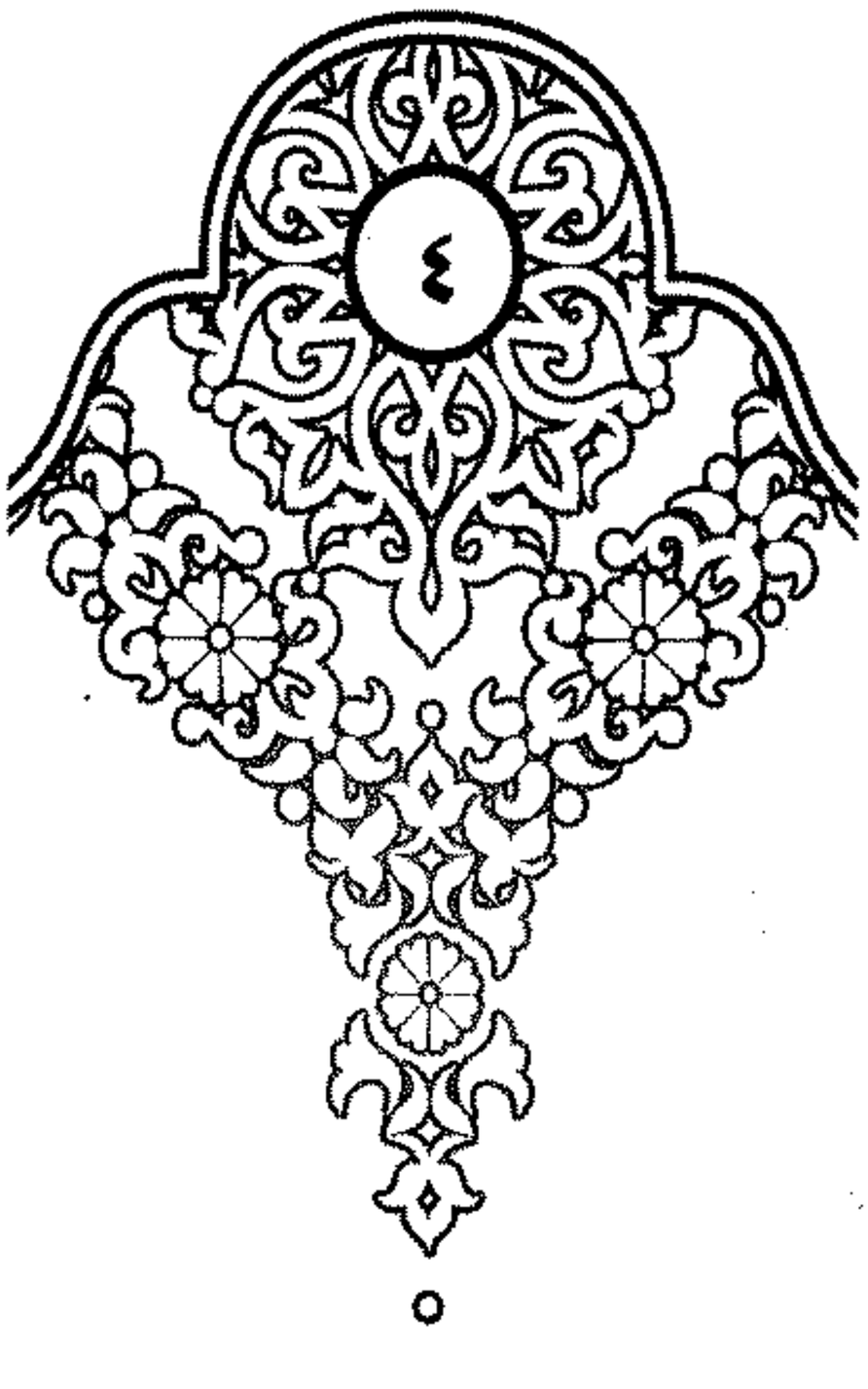

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرآن

القرآن الكريم هو النبع الصافي الذي يفيض بالمعارف الإلهية، والمنشور الخالد الذي يتضمّن الحِكَم والعلوم التي تحتاجها البشرية؛ كتاب لا يضمّ بين الدفتين سوى كل ما هو صدق وصحيح، وفيه أخبار الماضين والآتين، ولم يغفل عن ذكر أيّ حقيقة. إنّ ثورة آخر سفراء السماء، هي الحقيقة الكبرى في العالم التي بشّر بها كتاب الله بوصفها حسن العاقبة للصالحين.

إطلالة على آيات المهدوية

لقد ورد موضوع المهدوية وحكومة الصالحين العالمية في الكثير من آيات القرآن الكريم. ولقدأحصينا في كتابنا معجم احاديث الإمام المهدي ما يقرب من ٣٥٠ آية نزلت في هذا الشأن، حيث تتنوع الموضوعات في هذه الجمهرة من الآيات؛ فبعضها يتحدّث عن شخص الإمام،

وبعضها الآخر يتناول موضوع غيبته وحكومته العالمية، وكذلك مواصفات أصحابه وأعوانه. إليك بعض الأمثلة المأخوذة من تلك الآيات.

أساليب القرآن في التعريف بالاشخاص

لو تأمّلنا آيات القرآن الكريم بدقّة لوجدنا أنّ هذا الكتاب السماوي يطرح معارفه بطريقين:

أ. التسمية

ب. بيان الخصوصيات والصفات

المقصود هو أنّ القرآن الكريم يصرّح أحياناً باسم حقيقة ما ويقوم بشرحها، وفي أحيان أخرى، يعرض عن التصريح باسمها لأسباب معينة، ويلجأ بدلاً من ذلك إلى بيان خصوصياتها، ومن هذا الطريق يعرّفها للناس، على سبيل المثال، يصرّح القرآن مراراً بذكر النبي الأكرم ﷺ بينما يتحدّث عن أصحابه بصفاتهم. منها هذه الآية الكريمة:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَي الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود﴾[1].

وكذلك في الآية التي تصف أولياء أمر المؤمنين، فهي تذكر الله تعالى ونبيّه الأكرم ﷺ صراحةً، بينما تستعرض صفات وخصائص الوليّ بعد النبي، كما في الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾[2].

بناءً عليه، فإنّ أدبيات القرآن الكريم وأساليبه في بيان الحقائق ليست على نمط واحد، ولا ينبغي أن نتوقّع أن يذكر القرآن كل حقيقة بشكل صريح، ولهذا لم يذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ولكن كما أسلفنا، ثمّة آيات عديدة تبشّر بحكومته العالمية، وتشير إلى الإمام وغيبته.

لماذا لم يذكر القرآن الكريم اسم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

لم يذكر القرآن الكريم اسم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في جميع الآيات التي تتعلّق بالعقيدة المهدوية؛ كما أنّه لم يذكر أسماء بقية الأئمة وخاصة أول خليفة للرسول الأكرم ﷺ أعني الإمام

---

١. سورة الفتح: الآية ٢٨.

٢. سورة المائدة: الآية ٥٥.

علي عليه السلام، فما السبب يا ترى؟

أولاً، كما ذكرنا، إنّ للقرآن أسلوبين في التعريف، وأسلوب التعريف بواسطة الخصائص والصفات يغني المتكلم أحياناً عن التصريح؛ وخاصةً في موضوع الإمامة، إذ إنّ الحديث عن الخصائص الشخصية للإمام ترسم ملامح قدراته ومؤهلاته لتبوّء منصب الإمامة[1].

ثانياً، أحياناً قد يترتّب على التصريح موانع من قبيل خطر التزوير والتحريف؛ كما حصل مع تحديد شخصية الإمام والتصريح باسمه، بمعنى، لو أنّ القرآن الكريم صرّح باسم الإمام علي عليه السلام لانبرى الأعداء الحاقدين والمنافقون إلى حذف الاسم من القرآن أو تحريفه بالزيادة أو النقصان، ولخدشوا في اعتبار هذه الوثيقة الإلهية الخالدة وآخر الكتب السماوية.

ثالثاً، لقد ذكر الله تعالى الصلاة والزكاة والحج في القرآن الكريم؛ وترك للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بيان حدودها وأحكامها، وبالنسبة للإمامة بيّن تعالى وجوب طاعة الإمام المعصوم؛ وفوّض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين المصاديق والأشخاص. ومن الواضح أنّ هذه المهمة بمثابة تفويض إلهي للنبي الأكرم حيث يقول تبارك وتعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2].

وفي حديث الثقلين، جعل عترته عِدل القرآن، وأمر باتباعهم، ليبيّن للمسلمين أنّهم المفسّرون الحقيقيون للقرآن من بعده.

وبناءً عليه، فإذا كان كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير القرآن حجّة على جميع المسلمين، فكلام الأئمة المعصومين عليهم السلام أيضاً حجّة في شرح ظواهر آيات القرآن وبواطنها.

آيات المهدوية: تفسيرها وتأويلها

لو طُرح سؤال: كيف يمكن أن نعثر على خصوصيات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وحكومته العالمية في آيات القرآن؟ وكيف نعرف أنّ هذه الآية تتحدّث عن تلك الحقيقة الكبرى؟ لأوجزنا الإجابة في أنّ آيات القرآن تنظر إلى العقيدة المهدوية من زاويتين: التفسير والتأويل.

---

١. عندما تشرح آية الولاية (سورة المائدة: الآية ٥٥) خصال الإمام علي عليه السلام في الإيمان والصلاة والزكاة أثناء الركوع، فهي تعدّه مثال العبد الصالح الذي جمع بين عبادة الله والإنفاق على المحتاجين، وصار قدوة للآخرين؛ وقد اعترف مشاهير علماء أهل السنّة بهذا الحدث مثل الزمخشري في ***تفسير الكشاف***.

٢. سورة النحل: الآية ٤٤.

هناك آيات تتحدّث عن مستقبل العالم وحكومة الصالحين بنحوٍ ينطبق تفسيرها بوضوح على قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا شيء غير ذلك؛ بيد أنّ معظم آيات المهدوية ذات رؤية تأويلية إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وحكومته؛ بمعنى، إنّنا لا نجد في ظواهرها ما ينطبق مع فهمنا السطحي عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ولكن لو نظرنا إليها من زاوية أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام ـ المفسّرين الحقيقيين للقرآن ـ ستتجلّى أمامنا البشارات بشأن ظهور مهدي آل محمد عليهم السلام.

أو بعبارة أخرى، إنّ لآيات القرآن الكريم ظاهر وباطن. بعض الظاهر يعبّر عن بعض الحقائق والمعارف القرآنية، ويتكفّل التفسير بتوضيح هذا القسم من الآيات؛ وهناك بعضٌ آخر من الحقائق مكنون في ثنايا الآيات عصيّ على فهم وإدراك الأشخاص العاديين، ووحدهم المعصومون عليهم السلام عِدل القرآن، القادرون على بيان هذا القسم من الآيات، وهو ما نطلق عليه تأويل القرآن.

دراسة تحليلية للآيات المهدوية

هناك نقاش في كتب التفسير الشيعية والسنية حول الآيات ذات الصلة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. فبعض العلماء قام بجمع هذه الآيات في كتب مستقلة وقام بتوضيحها بالاستعانة بأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام[1]. نستعرض في هذا القسم بعض الأمثلة للآيات المهدوية مع شرح تفسيري موجز لكل منها.

أولاً. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الوعد الإلهي الكبير المنجّز

يقول القرآن الكريم:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

في شرحنا لهذه الآية الكريمة تبرز أمامنا عدّة ملاحظات:

---

١. للمثال انظر: ***معجم أحاديث الإمام المهدي***، تأليف: نخبة من الباحثين، ج ٧؛ ***المحجة فيما نزل في القائم الحجة***، تأليف العلامة السيد هاشم البحراني.

٢. سورة النور: الآية ٥٥.

أ. بالاستناد إلى الآية، لقد وعد الله الذين آمنوا أن يهيّئ لهم مجتمعاً يتميّز بثلاث خصوصيات:

١. أن تكون الحكومة بيد المؤمنين؛

٢. أن يشهد الدين الإسلامي استقراراً تاماً ويظهر على جميع الأديان؛

٣. أن ينعم المؤمنون بالأمن التام، ويأمنون الخوف والفزع.

ب. تتضمّن الآية الكريمة تأكيدات متتالية ووعد إلهي للمؤمنين، ومن البديهي أنّ وعد الله ناجز لا محالة لأنّه لا يخلف وعده؛ وهو تبارك وتعالى القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.[1]

ج. جاء في بداية الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ بمعنى، إنّ هذا الوعد الإلهي خاص بالمؤمنين الذين يعملون الصالحات، ويريد الله أن يؤسّس لهذه الفئة المجتمع المنشود. بما يعني أنّ شرط تأسيس المجتمع الصالح واللائق وجود أفراد مؤمنين ومتّقين.

د. يضمّ الجزء الأول من الوعد الإلهي البشارة باستخلاف المؤمنين في الأرض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ولكي لا يتصوّر المخاطب أنّ هذه البشارة بعيدة، يذكّر سبحانه وتعالى بأنّ ذلك قد حدث في الأقوام التي سبقتكم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[2].

ه. في الجزء الثاني من الوعد الإلهي، يبشّر عزّ وجلّ المؤمنين بظهور الدين الإسلامي، وهو الدين المرضيّ عند الله، على سائر الأديان، بمعنى غلبة الإسلام على الأديان كلّها[3]، ويصبح الدين الإسلامي في ذلك الزمان ديناً عالمياً، ولن يتهدّده أيّ خطر.

و. في الجزء الثالث من الوعد الإلهي، يبشّر الله تعالى المؤمنين بأن ينعم عليهم بحياة ملؤها الأمن والسلام، وخالية من أيّ خوف أو قلق، بعد أن عاشوا مرحلة مشوبة بالتهديد والاضطراب تسبّب بها أعداء الداخل والخارج.

ز. وتختتم الآية الكريمة بتبيين عاقبة المجتمع الذي يضمّ الخصوصيات الثلاث: خلافة الصالحين، واستقرار الدين الإسلامي، واستتباب الأمن الشامل وهو العبودية الخالصة لله التي لا يشوبها أيّ شرك. ومن المعلوم أنّ هذا هو الهدف الأسمى من الخلق حيث يقول عزّ من قائل في إحدى آيات

---

١. سورة آل عمران: الآية ٩.

٢. سورة النور: الآية ٥٥. طبعاً ليس من الضروري أن تكون جميع الأمم الصالحة في العصور السالفة قد حكمت كلّ الأرض، إذ لربما شبّهت الآية الكريمة أصل الخلافة بخلافة الماضين وليس نطاق الحكم.

٣. لقد صرّح المفسّر الشيعي الشهير المرحوم الطبرسي بهذه النقطة في ***تفسير مجمع البيان***.

القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[1]

نتيجة تحليل الآية

لقد تضاربت آراء المفسّرين حول مقصود الآية، ولكن لو تأمّلنا بدقّة كلماتها لاتّضح لنا هذا المعنى جلياً وهو أنّ المجتمع الموعود في هذه الآية مجتمع مثالي، وهو ما لم يتحقّق في سابق التاريخ الإسلامي، بل إنّ الدين الإسلامي والمسلمين والمؤمنين كانوا يعيشون في خطر دائم، ولما كان مضمون الآية عبارة عن وعد إلهي، فلا بدّ إذن من قيام مثل هذا المجتمع في مستقبل العالم.

يقول العلامة الطباطبائي، المفسّر القرآني الفذّ، في تفسيره لهذه الآية:

و هذا المجتمع الطيب الطاهر على ما له من صفات الفضيلة و القداسة لم يتحقق ولم ينعقد منذ بعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا، و إن انطبق فلينطبق على زمن ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على ما ورد من صفته في الأخبار المتواترة عن النبي ﷺ و أئمة أهل البيت عليهم السلام لكن على أن يكون الخطاب للمجتمع الصالح لا له عليه السلام وحده[2].

كلام نوراني في تفسير آية النور

إذن، كما يدلّل ظاهر الآية ٥٥ من سورة النور، ويؤكّده تفسير العلامة الطباطبائي، فإنّ تفسيرها ينطبق على فكرة الحكومة المهدوية العالمية. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام توضّح هذه الحقيقة الكبرى بشكل صريح. ففي رواية أنّ الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام بعد تلاوته هذه الآية قال:

«هم والله شيعتنا أهل البيت عليهم السلام. يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة الذي قال رسول الله ﷺ فيه: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يأتي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»[3].

حكومة الصالحين، إرادة الله منذ الأزل

يقول القرآن الكريم:

---

١. سورة الذاريات: الآية ٥٦.

٢. *تفسير الميزان*، محمد حسين الطباطبائي، ج ١٥، سورة النور: الآية ٥٥.

٣. وقد روي أيضاً حديث مشابه عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١].

في تفسير هذه الآية الكريمة نستعرض بعض النقاط لنبيّن وجه ارتباط الآية بالعقيدة المهدوية:

أ. المراد بكلة (كتبنا) حتمية وقوع فعل ما، وكلمة «الارض» جاءت بدون قيد وتطلق على مجموع الكرة الأرضية، وتشمل أنحاء العالم كافة، إلّا أن تكون هناك قرينة خاصة في الأمر. ولفظ «الإرث» يعني انتقال الشيء إلى شخص بدون معاملة وأخذ وعطاء، وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم أحياناً بمعنى تسلّط وانتصار قوم صالحين على قوم طالحين، والسيطرة على مواهبهم وإمكانياتهم[٢]. وعليه، فالآية إخبار عن النصر القطعي للصالحين.

ب. وحول معنى الزبور والذكر، طُرحت احتمالات شتى. فالزبور هو الكتاب الذي نزل على النبي داوود عليه السلام؛ بالرغم من أنّ «الزبور» في الأصل يعني كل كتاب ومقال؛ واحتمل هنا بعض المفسّرين أن يكون المراد من الزبور هنا كلّ كتب الأنبياء السابقين.

و«الذكر» في الأصل يعني التذكير أو ما يسبّب التذكير والتذكّر، واستُعملت هذه الكلمة في القرآن بهذا المعنى، وأطلقت أحياناً على كتاب موسى السماوي «***التوراة***»[٣]، واستعملت أحياناً في شأن القرآن[٤]؛ ولذلك قال البعض: إنّ المراد من الذكر – في الآية مورد البحث – هو القرآن، والزبور وكل كتب الأنبياء السابقين، أي إنّنا كتبنا في كل كتب الأنبياء السابقين إضافةً إلى القرآن، بأنّ الصالحين سيرثون الأرض جميعاً.

من بين هذه الآراء المطروحة، يصوّب ***تفسير الأمثل*** الرأي التالي:

> إنّنا كتبنا في الزبور بعد التوراة إنّنا سنورّث العباد الصالحين الأرض[٥].

ولكن نظراً إلى أنّ البشارة بظهور منجي آخر الزمان قد وردت في جميع الأديان السماوية، وأنّ انتصار الصالحين سنّة إلهية في تاريخ البشرية، فليس ببعيد أن يكون معنى الآية الكريمة: لقد كتبنا في الزبور بعد أن بيّنا في الكتب السماوية أنّ الأرض سوف يرثها عبادنا الصالحون.

---

١. سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

٢. ***تفسير الأمثل***، الشيخ مكارم شيرازي، ج ١٠، ص ٢٥٤.

٣. سورة الأنبياء: الآية ٤٨.

٤. سورة التكوير: الآية ٢٧.

٥. ***تفسير الأمثل***، الشيخ مكارم شيرازي، ج ١٠، ص ٢٥٦.

ج. «عبادي الصالحون»، إذا لاحظنا إضافة العباد إلى الله ستتّضح مسألة إيمان هؤلاء وتوحيدهم، وبملاحظة كلمة الصالحين التي لها معنى واسع، ستخطر على الذهن كلّ المؤهلات من ناحية التقوى والعلم والوعي، ومن جهة القدرة والقوة، ومن جانب التدبير والتنظيم والإدراك الاجتماعي.

وكأنّ الآية الشريفة قد لخّصت شرط قيام حكومة المستضعفين وانتصارهم في محورين: العبودية الخالصة لله والأهلية العلمية والعملية[1].

قال الإمام الباقر عليه السلام في شرح هذه الآية:

«كلّ الكتب السماوية ذكر، والمراد بـ «عبادي الصالحون» هم أصحاب المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه».

والملاحظة الأخيرة بشأن الآية موضع البحث، البشارات الواردة في زبور داوود عليه السلام في العهد القديم:

لأنّ عاملي الشرّ يقطعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض، بعد قليل لا يكون الشرير ...

لأنّ المتبرّكين بالله سيرثون الأرض، أمّا الملعونون فسينقطع أثرهم ... إنّ الله يعلم أيام الصالحين، وسيكون ميراثهم أبدياً[2].

نلاحظ هنا بصورة لا لبس فيها أنّ عنوان «الصالحين» الذي جاء في القرآن، ورد بنفس هذا التعبير في مزامير داوود، إضافة إلى ورود تعابير أخرى كالصدّيقين والمتبرّكين والمتوكّلين والمتواضعين أو ما هو قريب من هذه المعاني في جمل أخرى.

ثانياً. المستضعفون أئمة الأرض وورثتها

يقول القرآن الكريم:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ

---

١. *المصدر نفسه*، ص ٢٥٦.

٢. *المصدر نفسه*، ص ٥٢٠.

لَهَمُ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يحَذَرُون﴾[1].

فيما يلي نستعرض بعض الملاحظات لشرح هذه الآيات وطبيعة ارتباطها بموضوع المهدوية:

أ. في الآيات الأولى من سورة القصص المباركة يخبر الله تعالى عن إرادته القطعية في نصرة المستضعفين على المستكبرين، وأنّه سيجعل من قوم بني إسرائيل أئمة ويورثهم الأرض ويمكّنهم من عدوّهم بعد طول حرمان وعذاب.

ب. على الرغم من أنّ قصة بني إسرائيل هي جزء من تاريخ انقضى وولّى، إلّا أنّ القرآن الكريم تحدّث في تينك الآيتين بصيغة المضارع والمستقبل؛ وكأنّه يتحدّث عن قصة جارية ومستمرة على مرّ الزمن، ولا تختصّ ببلاد معينة مثل مصر أو شعب خاص مثل بني إسرائيل، وإنّما الكلام يجري عن قانون عام في نظام الخلق، وسنّة إلهية خالدة تقوم على نصرة المستضعفين على طول الزمان وفي رحاب الأرض كلّها.

ج. في ضوء ما ذكرنا من ملاحظات، تبرز قصة بني إسرائيل كإحدى الأمثلة التي تنطبق عليها الآية، بيد أنّ الله تبارك وتعالى يعلن هذه البشارة الكبرى لجميع الشعوب والأمم المستضعفة. لذا، فغلبة المسلمين على المشركين وتأسيس دولة الإسلام على يد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي أيضاً مثال آخر لهذا النمط من الآيات.

فهل سينجلي التاريخ في المستقبل عن إرادة مشابهة لله تعالى؟ الجواب: نعم، والمثال الأوسع والأتمّ لنصرة المستضعفين سوف تتجلّى في حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية، حينها سوف يصبح الصالحون أئمة الأرض وسادتها، وسيرثون الأرض وما عليها، وهي حقيقة ساطعة تبيّنها الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء المباركة.

د. وأمّا عن الحقيقة القائلة بأنّ هذه الآيات تتحدّث عن حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية فقد ورد ذكرها في العديد من روايات المعصومين عليهم السلام. فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام قوله في تفسير هذه الآية:

«والذي بعث محمداً بالحق بشيراً و نذيراً إنّ الأبرار منّا أهل البيت و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته،

---

١. سورة القصص: الآيتان ٥و٦.

و إنّ عدوّنا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه»[١].

أي إنّ النصر لنا في نهاية المطاف، ولأعدائنا الهلاك والثبور، وسوف نقيم حكومة الحقّ والعدل.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ قال:

«هم آل محمد عليهم السلام يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ عدوّهم»[٢].

وجدير بالذكر أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يستند في نهج البلاغة إلى هذه الآية في إخباره عن حكومة الأئمة عليهم السلام العالمية في آخر الزمان:

«لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شِماسها عطف الضروس على ولدها، و تلا عقيب ذلك ﴿ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلى الّذينَ...﴾»[٣].

ثالثاً. الإمام المهدي ذخيرة الله الكبرى

من أشهر الآيات القرآنية في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الآية ٨٦ في سورة هود المباركة، والتي أصبحت من أشهر ألقاب الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

من وجهة نظر تفسيرية، فإنّ هذه الآية نزلت في النبي شعيب عليه السلام الذي كان يعظ قومه وينصحهم بوجوب مراعاة حقوق الناس وعدم التطفيف في البيع، مذكّراً إيّاهم أن لا خير ولا بركة في الثروة التي تُجمع عبر أساليب ظلم الآخرين وغشّهم؛ بل إنّ الربح الحلال الذي يذخره الله لكم جراء البيع (= بقية الله) سيكون سبباً في البركة وزيادة النعم، وهي حقيقة لا يدركها إلّا من يؤمن بالله وشرائعه، ولا يتوكّل إلّا عليه.

عرفنا من التفسير أعلاه أنّ المراد بعبارة «بقية الله» التي لم ترد في أيّ موضع في القرآن إلّا في

---

١. *مجمع البيان*، الفضل بن حسن الطبرسي، ج ٧، ص ٣٧٥.

٢. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ح ١٤٣، ص ١٨٤.

٣. *نهج البلاغة*، الحكمة ٢٠٠.

٤. سورة هود: الآية ٨٦.

هذه الآية الكريمة هو الرزق والربح الحلال الناتج من البيع؛ و«بقية الله» من حيث التركيب اللغوي تعني ذخيرة الله، إلّا أنّ أصل الكلمة يعني كل مخلوق مفيد يذخره الله تعالى بلطفه لصلاح البشر، ويكون مدعاةً لخيرهم وسعادتهم. إذن، «بقيه الله» في هذه الآية لها مصداق خاص، لكنّها لن تكون منحصرة في هذا الموضع فقط، إذ يمكن إسقاطها في ضوء المعنى والمفهوم الجامع الذي طرحناه على أمثلة ومواضع أخرى.

وفقاً لهذا الاستنتاج، فإنّ جميع أنبياء الله والأئمة العظام هم بقية الله، وفي زيارة الجامعة الكبيرة نقرأ هذه العبارة في خطابنا للأئمة المعصومين[1]. ولمّا كان الإمام المهدي الموعود ختام سلسلة الأئمة عليهم السلام والذخيرة المتبقية من أولياء الله من بعد الأنبياء والأئمة، وهو الأمل الأخير للمستضعفين والصالحين في العالم، وأهم وأوضح مثال لـ«بقية الله»، والأجدر بهذا اللقب من كل مخلوق آخر، أقول، لكل هذا فإنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد ذُكر كثيراً بهذا اللقب في الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

فقد روي عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قوله:

«.. فعند ذلك خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ثم يقول: أنا بقية الله في أرضه، وخليفته وحجّته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلم إلّا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه»[2].

---

١. «السلام على الأئمة الدعاة والقادة الهداة والسادة الولاة والذادة الحماة و أهل الذكر وأولي الأمر وبقية الله وخيرته وحزبه عيبة علمه وحجته وصراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله و بركاته (*مفاتيح الجنان*، زيارة الجامعة الكبيرة).

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٢، ح ١٦.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأحاديث والروايات

من المصادر الإسلامية الأصيلة والغنية التي تعين المرء على فهم معارف الدين سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وروايات أهل بيته الأطهار عليهم السلام. يجيب هذا الكنز الثمين إلى جانب القرآن الكريم عن القسم الأعظم من الأسئلة، وهو بمثابة دليل المسلمين في حقل المعرفة الدينية. فعندما يتحدّث القرآن الكريم عن أصول الدين مثل التوحيد والمعاد وغيرها، أو عن فروع الدين مثل الصلاة والحج والزكاة، فإنّه يحيل شرح معظم الأحكام والمعارف وبيان حدود وثغور هذه الموضوعات على سيرة المعصومين عليهم السلام. لقد تأسّس الفقه الإسلامي الثرّ – لا سيّما الاجتهاد الشيعي- في قسمه الأعظم على روايات المعصومين عليهم السلام[1].

---

١. موسوعة وسائل الشيعة للمرحوم الشيخ الحرّ العاملي تشهد على هذا المدّعى.

والعقيدة المهدوية هي من أكثر المباحث الإسلامية أصالة، حيث طُرحت منذ بدايات الإسلام، وحظيت باستمرار بعناية المسلمين واهتمامهم. لقد سعى أئمة الإسلام المعصومين عليهم السلام إلى إضاءة مختلف زوايا هذه العقيدة، وتمخّضت عن هذا السعي الحثيث مجموعة هائلة من المعارف المهدوية، أخذ العلماء الأفذاذ الأصلاء على عاتقهم مهمة تدوين هذا التراث الثقافي وتوثيقه ونشره ضمن جهود عظيمة ونفيسة.

نظرة سريعة على الأحاديث المهدوية

قلّما نجد موضوعاً إسلامياً حُفّ بهذا الاهتمام والمتابعة على صعيد الرواية كما حصل مع موضوع العقيدة المهدوية. فبعض الباحثين يحصي عدد الروايات الواردة في المصادر الروائية الإسلامية في العقيدة المهدوية بحوالي ٢٠٠٠ رواية[١].

فقد جاءت روايات المهدوية في العديد من كتب الفريقين ومنها مصادر قديمة وأصيلة تعود إلى عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام، ما يعني أنّ روايات المهدوية كانت متداولة ومشهورة عند أصحاب الأئمة عليهم السلام وتمّ تدوينها في المصادر الحديثية الشيعية حتى قبل أن يولد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[٢].

المصادر الحديثية هي أمّهات الكتب الأصيلة التي تعدّ مرجعاً ومستنداً لبقية الكتب، ولهذا نجدها تتمتّع بوثاقة واعتبار خاصّين. وهذه المصادر معروفة لدى جميع الباحثين والعلماء من المذاهب الإسلامية كافة، وتحظى بعنايتهم واهتمامهم. أهم المصادر الحديثية الشيعية في موضوع العقيدة المهدوية هي كما يلي:

أ. «الكافي» تأليف: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ ه): وهو من أقدم الكتب الروائية الشيعية وأكثرها اعتباراً ووثاقة، ويضمّ مباحث إسلامية شتى، وقد خُصّصت أبواب منه لمبحث الإمامة والمهدوية.

ب. «الغيبة»، تأليف: محمد بن إبراهيم ابن أبي زينب، المعروف بالنعماني: والنعماني هو من أعظم رواة الشيعة في أوائل القرن الرابع الهجري، وقد خصّ كتابه كلّه لأحاديث وروايات

---

١. انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي. يجمع هذا المعجم أحاديث النبي الأكرم وروايات المعصومين عليهم السلام في ثمانية مجلدات.

٢. مثل كتاب الغيبة للحجة، بقلم: عباس بن هشام أبو الفضل الناشري (م ٢٢٠ هـ).

المهدوية وقد بلغ ما رواه ٤٧٨ رواية.

ج. «**كمال الدين وتمام النعمة**»، تأليف: الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمّي (م٣١٨هـ): من أعاظم علماء الشيعة، وقد دوّن كتابه بأمرٍ من الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف[1]، وخصّ جميع أبوابه للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويعدّ من أهم مصادرنا الروائية.

د. «**الإرشاد**»، تأليف: الشيخ مفيد (م ٤١٣ ه): من أعلام الشيعة وجهابذتهم، وقد تتلمذ عليه عدد من العلماء مثل الشيخ الطوسي والشريف المرتضى. الكتاب المذكور في تاريخ وفضائل الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهم طبعاً الإمام الثاني عشر، صاحب الزمان عليه السلام.

هـ. «**كتاب الغيبة**»، تأليف: الشيخ الطوسي (م٤٦٠ ه): من أهم مصادر الشيعة وأكملها في موضوع العقيدة المهدوية؛ ذلك أنّه يتضمّن الأدلة العقلية والنقلية على وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويتحدّث عن غيبته وظهوره وكذلك عن علائم ظهوره، وفضائله وسيرته. والمؤلف من أعاظم علماء الشيعة، له مصنّفات نفيسة أخرى وخاصة في حقول الفقه والتفسير.

يشار إلى أنّ المحدّث الشيعي الكبير العلامة المرحوم المجلسي رحمه الله قد جمع روايات الكتب المذكورة في ثلاثة من مجلدات موسوعته العظيمة (٥١-٥٣) *بحار الأنوار*.

وكذلك أهل السنّة فقد نقلوا أحاديث المهدوية في أهمّ كتبهم ومسانيدهم، على سبيل المثال، *مسند* أحمد بن حنبل إمام الحنابلة (م ٢٤١ ه)، و *سنن أبي داود* (م ٢٧٥ ه) و *سنن الترمذي* (م ٢٧٩ ه)، وهي من الصحاح الستّة.

بالإضافة إلى بعض علماء أهل السنّة الذين صنّفوا كتباً مستقلة في المهدوية، مثل محمد بن يوسف الگنجي الشافعي (م ٦٥٨ ه) الذي دوّن كتاب ***البيان في أخبار صاحب الزمان***[2].

هذا، وقد وفقنا الله مع مجموعة من الباحثين المعاصرين بجمع روايات الفريقين في كتاب تحت عنوان *معجم أحاديث الإمام المهدي*.

ومن أهم المصادر الروائية في عصرنا كتاب ***منتخب الاثر*** تأليف المرحوم آية الله العظمى صافي

---

١. ورد شرح هذه المسألة في مقدمة المؤلف في هذا الكتاب.

٢. لمزيد من الاطلاع على مصادر أهل السنّة فيما يخصّ موضوع المهدوية، انظر: الإمام المهدي عند أهل السنّة تأليف: مهدي فقيه إيماني.

كلبايكاني، وقد جمع فيه ٩٢٢ رواية من ١٥٧ مصدراً روائياً من مصادر الشيعة وأهل السنّة، وانتظمها ضمن أبواب مختلفة. ويمكن لهذا الكتاب النفيس أن يلبّي الحاجات الأولية للباحثين في حقل العقيدة المهدوية؛ ولكن لا بدّ هنا من ذكر ملاحظة مهمة وهي أنّ الاستفادة من الروايات المهدوية تتطلّب مستوىً معيناً من العلم والإلمام بعلوم العربية والحوزة، ويجب أن نعلم أنّه في الوقت الذي ننهل من هذا النبع الصافي، لا ينبغي أن نصاب بالغرور فنستغني عن المعلم والمرشد في هذا الحقل.

خصوصيات روايات المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

تمتاز روايات المهدوية ببعض الخصوصيات، والتعرّف على هذه الخصوصيات يجعل عملية المطالعة والتحقيق في هذه النمط من الروايات أكثر دقّة وسهولة، ناهيك عن أنّها تفتح أبواب معرفة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على مصراعيها. من هذه الخصوصيات التي تتميّز بها الروايات المهدوية نذكر بعضاً منها بإيجاز.

أ. تنوّع الموضوعات

لا شكّ في أنّ للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيرة متباينة عن سير آبائه الأطهار عليهم السلام، فرضتها ظروف خاصة عاشها إمامنا الهمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وما يزال، لم تكن موجودة في حياة بقية الأئمة؛ مثل الولادة السرية، الغيبة الطويلة، أوضاع الناس في عصر الغيبة، طول عمر الإمام، حكومته العالمية، العدالة والأمن وغير ذلك من الأمور. وطبعاً تحتاج هذه الأبعاد المتعددة والمختلفة إلى إيضاحات وتفسيرات، ممّا أضفى على روايات المعصومين حول العقيدة المهدوية تنوّعاً وتعدّدية. في الحقيقة لقد جاهد المعصومون عليهم السلام لتلبية حاجة الناس إلى معرفة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مختلف المجالات.

كتاب *منتخب الأثر* يستعرض المحاور ذات الصلة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وينقل في كل محور الأحاديث والروايات الخاصة به.

ب. دخول المهدوية في كلام جميع المعصومين عليهم السلام

من أهم خصوصيات المهدوية هي أنّ جميع المعصومين بدءاً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاءً بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه قد تحدّثوا في هذا الموضوع ورويت عنهم العديد من الأحاديث

والروايات. وكتاب *معجم أحاديث الإمام المهدي* يستعرض كل معصوم بصورة مستقلة، حيث يروي العدد الأكبر من الأحاديث عن نبيّنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أي ٥٦٠ حديثاً.

هذه الوفرة والتنوّع في الأحاديث والروايات تبيّن، من جهة، عناية أئمّتنا بموضوع المهدوية وإحياء ذكرها، ومن جهة ثانية تكشف عن اهتمام المسلمين وتفاعلهم في طرح الأسئلة في هذا المضمار، ووجوب تحصيل المعرفة العميقة والتفصيلية بهذه الحقيقة.

ج. رواة الأحاديث المهدوية

تحوي مصادر الشيعة وأهل السنّة جمهرة من الأحاديث المهدوية، رواها حوالي ستون راوياً عن صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمر فريد قلّما حدث مع موضوع آخر. والملاحظة الجديرة بالإشارة هنا أنّ مجموعة الرواة هؤلاء عبارة عن شخصيات عظيمة لا نظير لها من أهل البيت عليهم السلام والشخصيات المشهورة من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. من بين الرواة نذكر على سبيل المثال:

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (الشهادة ٤٠ ه)، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (الشهادة ١١ ه)، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (الشهادة ٥٠ ه)، الإمام الحسين عليه السلام (الشهادة٦١ ه)، أبو ذر الغفاري (م ٣٢ ه)، سلمان الفارسي (م ٣٢ ه)، عمار بن ياسر (الشهادة ٣٧ ه)، جابر بن عبد الله الأنصاري (م ٧٨ ه)، بل وحتى أشخاص من قبيل عمر بن الخطاب (م ٢٣ ه)، وعثمان بن عفان (م ٣٥ ه)، وعائشة (م ٥٢ ه) الذين كانوا على خلاف مع أهل البيت عليهم السلام فيما يتعلّق بموضوع الإمامة وخلافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وثاقة روايات المهدوية

وثاقة الرواية هي من بين الخصوصيات المميّزة المطلوبة في الموضوع الروائي المنقول، فتكون سبباً في قبول هذه الرواية أو تلك، وبالتالي تأكيد أصالة الموضوع واعتباره. بالنسبة لموضوع المهدوية هناك الكثير من الروايات الصحيحة، نظراً لوفرة الروايات والأحاديث والمصادر القديمة والأصيلة في هذا الحقل. الأمر المهم هنا هو اعتراف الكثير من مشاهير علماء أهل السنّة بصحّة أحاديث المهدوية، ممّا جعلهم يعتقدون بأن عقيدة قيام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إحدى مسلّمات الدين ومن الواجبات.

وقد انبرى بعض علماء أهل السنّة من خلال الكتب والمقالات للدفاع عن العقيدة المهدوية والردّ على المنكرين لهذه العقيدة، واعتبروا عبر خطاباتهم العلمية وبالاستناد إلى الأدلة الروائية أنّ

الإيمان بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من المسائل القطعية التي لا يمكن إنكارها، من بينهم ردّ الكاتب محمد صديق المغربي الذي حمل بشدّة على آراء ابن خلدون الذي حاول إضعاف الروايات المهدوية والتشكيك في وثاقتها واعتبارها[١].

الخصوصية الأخرى التي تميّز الروايات المهدوية هي تواترها، بمعنى إنّنا نجد أحياناً عدد رواة حديث بعينه من الكثرة بحيث تقرب نسبة تواطؤهم من الصفر، ممّا يعطينا الاطمئنان بأنّ الحديث صادر عن المعصوم عليه السلام. ويعدّ هذا الأمر ظاهرة نادرة اعترف بها كبار علماء أهل السنّة مثل القرطبي والمالكي وابن حجر العسقلاني والسيوطي[٢].

الميادين الحديثية المشتركة للمسلمين

لو تناولنا المصادر الحديثية الشيعية والسنّية بالدراسة والبحث، لوجدنا ثمّة حالات عديدة حقّقت إجماعاً بين المسلمين. وطبعاً لا يسع المقام لاستعراض كل تلك الحالات ودراستها، غير أنّه من المفيد هنا أن نذكّر بأمثلة قليلة. في كل مثال نذكر رواية من مصادر أهل السنّة وأخرى من مصادر الشيعة.

١. عالمية حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وشمولية عدالته

يتّفق المسلمون قاطبة على أنّ حكومة المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وعدالته سوف تظلّل أرجاء المعمورة:

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«تملأ الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي يملك الأرض... فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[٣].

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يملك القائم... يملأ الارض قسطاً و عدلاً فيفتح الله له شرق الأرض و غربها»[٤].

---

١. اسم كتابه: ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون.

٢. يقول الشيخ ناصر الدين الألباني من كبار مشايخ أهل السنّة: «الاعتقاد بخروج المهدي هي عقيدة ثابتة ومتواترة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لذا، فالإيمان بها واجب» (مجلة *التمدن الاسلامي*، العدد ٢٢، ص ٥٤٣). أيضاً انظر: *انتظار*، العدد ٤.

٣. *المستدرك على الصحيحين*، الحاكم النيسابوري، ج ٤، ص ٥٥٨.

٤. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٢١٢، ص ٣٩٠.

لو دققنا النظر في هذا النمط من الآيات سنتبيّن أنّ حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعدالته معاً سوف تسود الأرض كلّها؛ لأنّ تعبير الأرض بدون قيد يعني إطلاق المعنى.

٢. نزول النبي عيسى عليه السلام من السماء

تجمع الروايات الإسلامية عند الشيعة وأهل السنّة على أنّه عند ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف ينزل النبي عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويصلّي خلف الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وستكون هذه الحادثة نقطة تحوّل في عقيدة ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»[١]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً:

«فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه...»[٢].

٣. أرض البيداء تخسف بجيش السفياني

ثمّة علامات كثيرة لظهور الإمام المهدي ذكرتها الروايات، وفي بعض الحالات اشتركت روايات الفريقين في ذكر تلك العلامات، مثل خروج السفياني، وخسف أرض البيداء بجيشه في منطقة بين مكة والمدينة.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يغزو جيش الكعبة. فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»[٣].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلّا ثلاثة نفر»[٤].

---

١. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري، ج ٣، ص ١٢٧٢، ح ٣٢٦٥.
٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٢٤، ح ٢٧، ص ٥٢٤.
٣. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري، ج ٢، ح ٢٠١٢، ص ٧٤٦.
٤. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٤، ح ٦٧، ص ٢٨٠.

٤. المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن نسل فاطمة عليها السلام

حول نسب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضاً هناك اشتراك في الآراء بين الفريقين، فقد ورد في روايات عديدة أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من ولد فاطمة عليها السلام، ومن الواضح أنّ هذه الحقيقة تبطل دعاوى الكثير من مدّعي المهدوية.

ذكرت مصادر أهل السنّة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«المهدي من عترتي من ولد فاطمة[١]».

ونفس الرواية وردت في مصادر الشيعية أيضاً[٢].

٥. المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سميّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

ذكرت روايات الفريقين أنّ لقب الإمام الموعود هو المهدي وأنّ اسمه يواطئ اسم النبي.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تذهب و لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً:

«القائم من ولدي، اسمه اسمي و كنيته كنيتي و شمائله شمائلي و سنّته سنّتي...»[٤].

---

١. ***سنن أبي داود***، سليمان بن أبي داوود، ج ٤، ح ٤٢٤٨، ص ١٩٧.

٢. ***الغيبة***، الشيخ الطوسي، ص ١٦٨.

٣. ***سنن أبي داود***، سليمان بن أبي داوود، ج ٤، ح ٤٢٨٤، ص ١٧٣.

٤. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٣٩، ح ٦، ص ١٢٢.

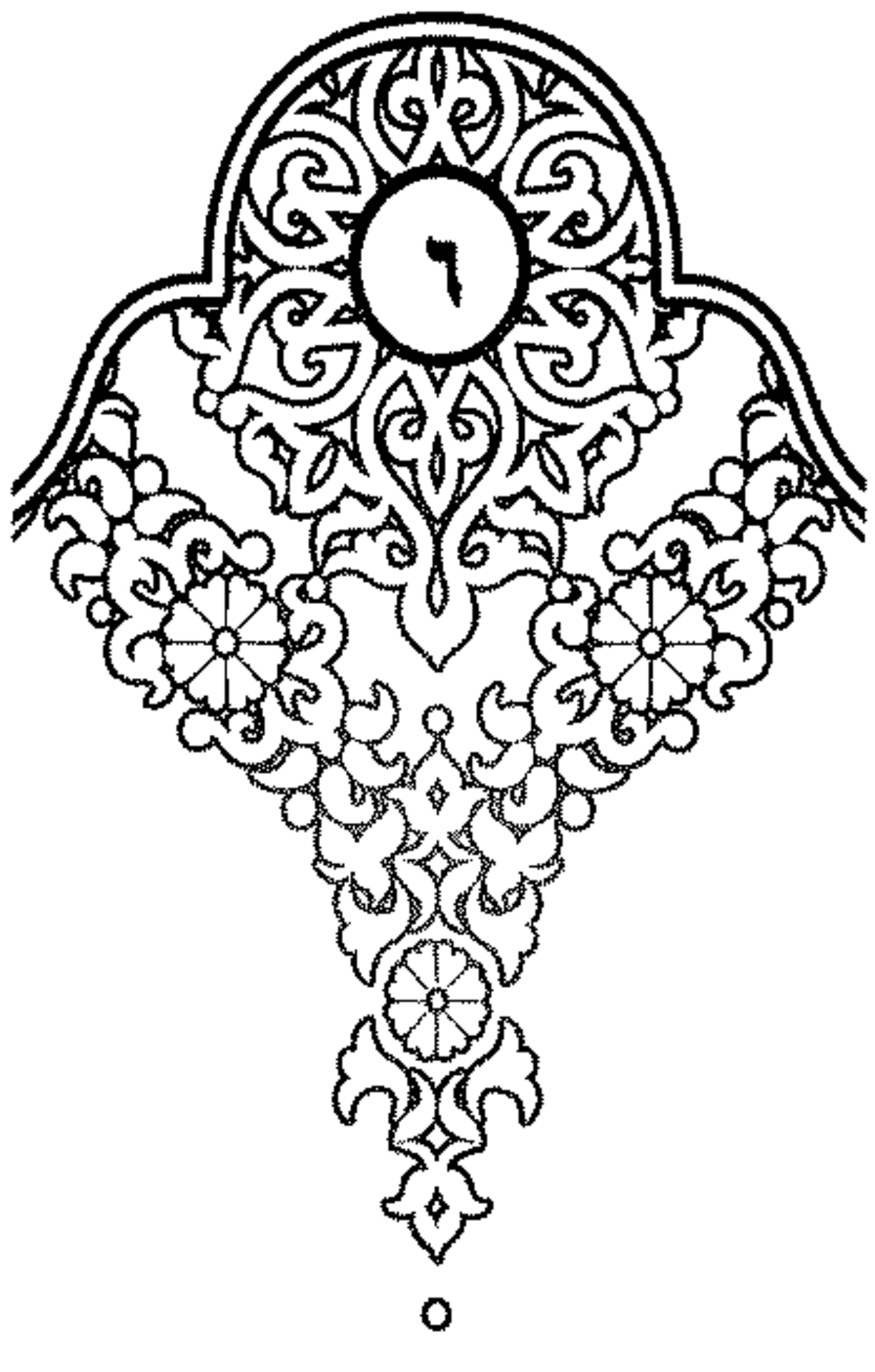

الأدعية والزيارات المهدوية

«الدعاء» والذي يعني مناجاة الله تعالى والتضرّع إليه، هو من أفضل العبادات، وله مكانة جدّ راقية وخاصة في القرآن الكريم وفي روايات المعصومين عليهم السلام.

يقول القرآن الكريم:

﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾[1].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَة»[2].

---

١. سورة الفرقان: الآية ٧٧.

٢. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٩٠، ص ٣٠٠.

وتكمن أهمية الدعاء في أنّه يخلق رابطة معنوية وروحانية من خلال التضرّع إلى خالق الكون، أو بعبارة أخرى، عندما يكون الإنسان مستغرقاً في الدعاء، ينقطع عن كل شيء وكلّ أحد، ليحلّق في عالم الغيب والملكوت، وينهل من النبع الصافي للرحمة والفيض الإلهي المطلق، وهي، بطبيعة الحال، فرصة فريدة ومكسب لا نظير له، حيث يشكّل أفضل ملجأ لعباد الله في خضمّ الأزمات والعواصف.

وعصر الغيبة هو عصر الفتن والأخطار والانحرافات، ويجب على أنصار الإمام الغائب في جميع منعرجات هذا العصر ومضائقه صيانة عقائدهم وكذلك سلوكهم لئلا يخرجوا عن حدود طاعة الإمام والتبعية المطلقة له، فيقعوا في حبائل الشيطان ومكائده. والدعاء من أهم الوسائل وأسباب الارتباط بالله، وكذلك الارتباط بالإمام الغائب لكي يبقى المؤمن دائماً في ذكر مولاه، فيقوّي وشائجه وارتباطه به عبر الذكر والدعاء والزيارة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَوْنَ بِلَا عَلَمٍ يُرَى، وَلَا إِمَامٍ هُدًى، لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الْغَرِيقِ».

قُلْتُ وَ "كَيْفَ دُعَاءُ الْغَرِيقِ؟" قَالَ: «تَقُولُ: يَا اللهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك»[1].

يتضمّن هذا الدعاء الشريف التأكيد على وجوب أن ندعو في زمن الغيبة الإمام الذي يحمل لواء الهداية، أن يثبّت قلوبنا على دين الله، وفي ذلك دلالة واضحة على المكانة المهمة للدعاء.

قال الإمام العسكري عليه السلام:

«وَ اللهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ التَّهْلُكَةِ إِلَّا مَنْ يُثَبِّتُهُ اللهُ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَ وَفَّقَهُ لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِه»[2].

من زاوية أخرى، لا شكّ في أنّ دعاء المؤمن للإمام صاحب الزمان عليه السلام هو بمثابة واجب مهم على عاتق منتظريه، والذي كان محطّ اهتمام وعناية خاصة من قبل الأئمة عليهم السلام. فقد جاء في

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٥٢، ص ١٤٩.

٢. *المصدر نفسه*.

الروايات أنّ الإمام الرضا عليه السلام أمر بالدعاء لصاحب الأمر عليه السلام وكان يقول: «هكذا ادعُ له:

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنْ وَلِيِّكَ وَ خَلِيفَتِكَ وَ حُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ...وَ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ وَ مِنْ فَوْقِهِ وَ مِنْ تَحْتِه...أَيِّدْهُ بِنَصْرِكَ الْعَزِيزِ وَ أَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ .....وَ وَالِ مَنْ والاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ...»[1].

لذا، فالدعاء وخلق الارتباط المعنوي والروحاني بالإمام الغائب، هو أحد الأصول الرئيسية في سلوك الشيعة خلال عصر الغيبة، حيث تترتّب عليه آثار وفوائد جمّة.

نظرة في الأدعية والزيارات المهدوية

قبل أن نبحث في نصوص الأدعية والزيارات المهدوية من المناسب أن نلقي نظرة عامة على هذا الموضوع:

١. المقصود من هذا البحث هو دراسة الأدعية وكذلك الزيارات المهدوية. الدعاء هو الابتهال إلى الله تعالى والطلب منه، والزيارة تعني السلام على الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وتقديم آيات الولاء وفروض الطاعة بين يديه.

على سبيل المثال، إنّنا في دعاء السلامة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف نناجي الله الرحمن وندعوه أن يكون حافظاً لإمامنا العزيز ودليلاً وعيناً وقائداً وناصراً[2]، ولكن في زيارة آل ياسين حيث نخاطب مولانا إمام العصر والزمان عليه السلام فنناديه بأوصافه وألقابه العديدة، وفي كل فقرة نرفع سلامنا إلى ساحة قدسه النورانية ونعلن عن محبتنا وولائنا له.

٢. الأدعية والزيارات المهدوية على نوعين:

أ. أدعية وزيارات مروية عن الإمام المهدي عليه السلام وانتقلت إلى الشيعة عبر نوّابه الخواص في عصر الغيبة الصغرى؛ مثل زيارة آل ياسين ودعاء الفرج.

ب. الأدعية والزيارات المنقولة عن المعصومين عليهم السلام في الإمام المهدي عليه السلام مثل دعاء العهد وزيارة صاحب الأمر عليه السلام في السرداب المقدس بسامراء[3].

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٩٢، ص ٣٣٠.

٢. نص الدعاء: «اللهم كن لوليك الحجّة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً، حتى تسكنه أرضك طوعا، وتمتعّه فيها طويلاً (*مفاتيح الجنان* ـ أعمال الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان).

٣. هذا السرداب كان في منزل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمدينة سامراء، وكان كذلك مكان عبادة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. الدعاء للإمام المهدي عليه السلام والتوسّل به وزيارته ليس لها مكان أو زمان خاص. فبإمكان شيعته ومنتظريه أن يناجوه في أيّ زمان ومكان، ويبعثوا بسلامهم إلى ساحته المقدسة، وأن يجدّدوا عهد الولاء له؛ وإن جاء التأكيد في الروايات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام على استحباب القيام بهذه الأعمال في يوم الجمعة من أيام الأسبوع[١]. وبناءً عليه، فقد رويت لهذا اليوم زيارة خاصة تحت عنوان زيارة الإمام صاحب الزمان تُقرأ في يوم الجمعة[٢]. ومن بين الأدعية الخاصة بيوم الجمعة «دعاء الندبة»، كما وردت زيارة خاصة للإمام بعد صلاة الصبح[٣].

وبالنسبة للبقاع المقدسة، لا بد أن نذكر بأنّ تلاوة زيارة الإمام المهدي عليه السلام مناسبة في كل مكان وخاصة البقاع المقدسة – كالمساجد والمشاهد المشرّفة للمعصومين عليهم السلام –؛ ولكن وردت في الروايات زيارة خاصة للسرداب المقدس بسامراء.

جدير بالذكر أنّه ذُكرت في بعض الروايات صلاة خاصة بالإمام المهدي عليه السلام وضمن آداب خاصة للتوسّل بساحة قدسه تؤدّى في مسجد السهلة[٤] أو مسجد جمكران بقم[٥] أو في أماكن أخرى.

٤. في كتب الأدعية والزيارات التي صنّفها علماء الشيعة من أمثال السيد ابن طاووس والعلامة المجلسي والشيخ عباس القمي[٦] نجد الكثير من منقولات الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام[٧]، بعضها قد حظي باهتمام أكبر وعناية خاصة من قبل أولئك العلماء، وكذلك اكتسب شهرة أكبر في أوساط الشيعة.

---

١. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٧، ص ٥٩، ح ٣.

٢. تبدأ هذه الزيارة بالعبارات التالية: «السّلام عليك يا حجّة الله في أرضه، السلام عليك يا عين الله في خلقه، السلام عليك يا نور الله الذي يهتدي به المهتدون، و يُفرَّج به عن المؤمنين...» (***مفاتيح الجنان***، الفصل الخامس، زيارات الأئمة عليهم السلام في أيام الأسبوع)

٣. ورد هذا الدعاء في كتاب ***مفاتيح الجنان*** بعد دعاء الندبة.

٤. مسجد السهلة من المساجد المهمة والمقدسة والذي سيكون، طبقاً للروايات، بيت الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في عصر ظهوره الميمون، وهو من قديم الزمان كان موضع اهتمام وعناية الأئمة الأطهار عليهم السلام وكذلك علماء الشيعة، وله خصوصيات وآداب خاصة للعبادة والصلاة.

٥. مسجد جمكران على مقربة من مدينة قم، وقد بُني بأمرٍ من الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف طبقاً لما نقله المعاصر للشيخ الصدوق في كتاب ***تاريخ قم***، وكان على مرّ السنين الماضية قبلة اهتمام العلماء والصالحين.

٦. عنوان كتاب السيد ابن طاووس ***إقبال الأعمال*** وكتاب المرحوم المجلسي ***زاد المعاد***، وكتاب ***مفاتيح الجنان*** للشيخ عباس القمي هو من أشهر كتب الأدعية والزيارات والأعمال العبادية.

٧. قام أحد الفضلاء المعاصرين بجمع مجموعة من الأدعية والزيارات المهدوية أطلق عليها ***الصحيفة المهدية***.

ومن المناسب هنا أن نقدّم فهرساً موجزاً بالأدعية والزيارات المهدوية الواردة في كتاب *مفاتيح الجنان* ليتعرّف عليها المهتمّون ويأنسوا بها:

١. زيارة الإمام صاحب الزمان عليه السلام في يوم الجمعة (الباب الأول، الفصل الخامس)

٢. زيارة آل ياسين (الباب الثالث، الفصل العاشر)

٣. زيارة الإمام صاحب الزمان عليه السلام في السرداب المقدس بسامراء (الباب الثالث، الفصل العاشر)

٤. الاستغاثة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام (سلام الله الكامل التّام) (الباب الأول، الفصل السابع)

٥. الصلوات على وليّ الأمر المنتظر عليه السلام (الباب الثالث، الفصل العاشر)

٦. دعاء الفرج للإمام الحجّة عليه السلام (إلهي عظم البلاء)، (الباب الأول، الفصل السابع)

٧. دعاء لسلامة الإمام صاحب الزمان عليه السلام (اللهم كن لوليّك) (قسم أعمال شهر رمضان، ضمن الأعمال الخاصة بالليلة الثالثة والعشرين)

٨. دعاء اللهم ارزقنا توفيق التوبة (الباب الأول، الفصل السابع)

٩. دعاء الندبة (الباب الثالث، الفصل العاشر)

١٠. دعاء العهد (الباب الثالث، الفصل العاشر)

١١. دعاء الإمام الرضا عليه السلام للإمام صاحب الزمان عليه السلام (الباب الثالث، الفصل العاشر)

١٢. دعاء غيبة الإمام صاحب الزمان عليه السلام (ملحقات *مفاتيح الجنان*)

ملامح الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأدعية والزيارات

لا شكّ في أنّ الأدعية المروية عن المعصومين عليهم السلام تعدّ كنزاً لا يفنى من المعارف، ومنهلاً فيّاضاً للحكمة الأصيلة يستقي منه جميع طلاب الحق والمتعطشين للمعرفة والسعادة الحقيقية؛ ذلك أنّ هؤلاء العظام قمّة شامخة ومحيط لا قرار له من العلوم والحِكم الإلهية وباب علم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. والحقّ أنّه لولا وصول فكرهم وكلامهم ومناجاتهم إلينا، لحُرمنا من جزء عظيم من المعارف السماوية[١].

ففي الوقت الذي تشكّل فيه الأدعية والزيارات المهدوية مناجاة مع الله تعالى وتقديم فروض

---

١. الكتاب النفيس *الصحيفة السجادية* لهو أوضح مثال على هذا المدّعى، والذي هو باعتراف الجميع كتاب فريد وموضع تقدير.

الطاعة والولاء للساحة المقدسة لوليّ الزمان وحجة العصر، فإنّها أيضاً بمثابة وثيقة متقنة تتيح لنا المزيد من المعرفة العميقة حول شخصية الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والقضايا المتعلّقة به – مثل الغيبة والانتظار والظهور- في هذا القسم نتعرّف إلى ملامح شخصية الإمام المهدي عليه السلام من خلال الأدعية والزيارات:

أ. الصفات الفردية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

في الكثير من الأدعية والزيارات جرى التعريف بالإمام المهدي عليه السلام بذكر اسمه ونسبه بما يشير إلى أنّه شخص موجود ومحدّد وحيّ ومعروف؛ وليس خيالياً ومثالياً سيولد في المستقبل وسيخرج على الحكّام. من بين الصفات والخصوصيات المتعلّقة بالإمام عليه السلام نذكر هنا:

١. إنّه من الذرية الطاهرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولد علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام.

حيث نقرأ في دعاء الندبة:

«أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِ الْمُصْطَفَى، وَ ابْنُ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى، وَ ابْنُ خَدِيجَةَ الْغَرَّاءِ، وَ ابْنُ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى؟».

٢. يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عترته الطاهرة عليهم السلام.

جاء في دعاء العهد:

«فَأَظْهِرِ اللَّهُمَ لَنَا وَلِيَّكَ وَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّى بِاسْمِ رَسُولِك:

أَيْنَ بَقِيَّةُ اللهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهَادِيَة؟»

٣. إنّه ابن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

«رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً وَ بِالْإِسْلَامِ دِيناً وَ بِالْقُرْآنِ كِتَاباً وَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نَبِيّاً وَ بِعَلِيٍّ عليه السلام وَلِيّاً وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ..... وَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ عليهم السلام أَئِمَّةً»[1].

ب. خصوصيات شخصية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

هنا نتساءل: أين موقع الإمام المهدي عليه السلام في هذا الكون؟ وأيّ مقامات ومنازل يتبوّء، وما هي أوصافه وخصوصياته؟ الإجابة عن هذه الأسئلة سوف تساعد على رسم ملامح شفافة عن موعود القرآن، وسوف تكون هذه المعرفة سبباً في مزيد من الأنس والمحبة وكذلك الطاعة والتسليم لهذا

---

١. ***من لا يحضره الفقيه***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٢٧؛ ***مفاتيح الجنان***، الشيخ عباس القمي، التعقيبات المشتركة بعد كل صلاة.

الإمام والحجة الإلهية.

لقد خوطب هذا الإمام الهمام في الأدعية والزيارات المهدوية بالعديد من الألقاب والأوصاف والمنازل، نورد هنا بعضاً منها:

١. ألقاب إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف

خوطب إمامنا العظيم في الأدعية المهدوية بالعديد من الألقاب مثل المهدي، الهادي، القائم، العَدل المنتظَر، صاحب الزمان، المنصور، المضطَر، حجة الله، وبقية الله[١].

نقرأ في دعاء الافتتاح الشريف[٢]:

«اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ وَ الْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ...».

وفي زيارة آل ياسين:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللهِ فِي أَرْضِه».

٢. أوصاف إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف

ثمّة أوصاف للإمام وردت في الأدعية المهدوية، يضيء كل منها أحد أبعاد شخصيته الفذة، وفي نفس الوقت، تعزّز هذه الأوصاف الاعتقاد بهذا الإمام العظيم وتزيد الإنس ولحمة الارتباط به.

من بين الأوصاف التي خوطب بها:

العَلَم المَنصُوب

أي الراية المرفوعة، ذلك أنّ وجوده الشريف بمثابة علم هداية يهدي طلاب الحقّ إلى الحقيقة، ومن دون هدايته، فإنّ البشر سوف ينزلقون إلى مهاوي الفتن والانحرافات التي تعصف بعصر الغيبة.

نقرأ في زيارة آل ياسين:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ... العَلَمُ المَنصُوب».

---

١. وردت ألقاب «المهدي»، و«حجّة الله»، و«صاحب الزّمان»، و«الهادي»، في دعاء الاستغاثة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام و«المنصور» و«المضطّر» في دعاء الندبة.

٢. يُتلى هذا الدعاء في ليالي شهر رمضان المبارك، وقد ذُكر في قسم أعمال ليالي شهر رمضان المبارك في كتاب ***مفاتيح الجنان***.

سَفينَةُ النَّجاة

لأنّ كل من يعتقد بإمامته ويلزم نفسه بطاعته سوف يكون من أهل النجاة، فلا سبيل أمامه غير ذلك.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى خَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ .... سَفِينَةِ النَّجَاةِ وَ عَلَمِ الْهُدَى»[١].

الملاحظة المثيرة للاهتمام أنّ هذا اللقب قد ورد في الإمام الحسين عليه السلام أيضاً، وذلك حين قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إنّ الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة»[٢].

وارث علوم النبيين

الإمام المهدي عليه السلام آخر حجج الله، وخلاصة جميع الأنبياء والأولياء، وطبقاً لما ورد في الروايات والأحاديث، فإنّ العلوم الإلهية التي أوحيت إلى الأنبياء، قد اجتمعت كلّها في الإمام المهدي عليه السلام[٣].

جاء في زيارة السرداب المقدس في خطابنا إلى إمام العصر عليه السلام:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عُلُومِ النَّبِيِّين».

وقد وُصف علم الإمام ومعارفه في زيارة آل ياسين بالقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا .... الْعِلْمُ الْمَصْبُوب».

وفي موضع آخر وُصف عليه السلام بعبارة «عَيْبَةَ عِلْمِه» أي مخزن علم الله[٤].

المعصوم والمنزّه من كل عيب

إنّ الوجود الطاهر للإمام المهدي عليه السلام منزّه من كلّ معصية أو عيب، ومطهّر من الرجس والدنس؛ فهو حجّة الله المختار وقائد الناس جميعاً ودليلهم.

نقرأ في دعاء الإمام الرضا عليه السلام:

---

١. الدعاء بعد زيارة آل ياسين.
٢. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٣٦، ص ٢٠٤، ح ٧.
٣. ***البلد الأمين***، إبراهيم بن علي الكفعمي، ص ٢٨٤.
٤. ***معاني الأخبار***، الشيخ الصدوق، ص ٣٥.

«عَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَ بَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَ طَهَّرْتَهُ مِنَ الرِّجْسِ وَ سَلَّمْتَهُ مِنَ الدَّنَس»[1].

مفزع الناس وملجأهم

الإمام المهدي عليه السلام ملجأ وحصن جميع الناس، ولا سيّما شيعته، فهو لهم في الملمّات والشدائد خير ملجأ ومتكأ. جاء في دعاء العهد:

«وَ اجْعَلْهُ اللَّهُمَ مَفْزَعاً لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ وَ نَاصِراً لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرَك».

وفي دعاء الندبة أيضاً:

«اللَّهُمَّ وَ نَحْنُ عَبِيدُكَ التَّائِقُونَ إِلَى وَلِيِّكَ المُذَكِّرِ بِكَ و بِنَبِيِّكَ خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَ مَلَاذاً، وَ أَقَمْتَهُ لَنَا قِوَاماً وَ مَعَاذا».

٣. مقامات ومنازل الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

في الحقيقة إنّ البحث في الأدعية المهدوية وقراءتها كفيلة برسم صورة عن مقامات ومنازل ذلك الإمام الرؤوف، وتفتح باب المعرفة أمام المعتقدين به، وفيما يلي نستعرض بعض تلك المنازل:

أ. خليفة الله، حجة الله

في بعض مقاطع زيارة آل ياسين نقرأ:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللهِ وَ نَاصِرَ حَقِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَ دَلِيلَ إِرَادَتِه».

من الواضح أنّ منزلة خليفة الله وحجّته هي من أعلى المنازل وأشرفها التي قرّرها الله تعالى للإمام المهدي عليه السلام، وهو في عصره يترتّع على هذه المكانة فريداً وبلا منازع.

ب. باب الله، سبيل الله

نقرأ في زيارة آل ياسين:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يا باب الله».

وفي زيارة صاحب الأمر نقرأ:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَبِيلَ اللهِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ غَيْرَهُ هَلَك».

---

١. ***جمال الأسبوع***، السيد ابن طاووس، ص ٥٠٦؛ ***الصحيفة المهدوية***، الفصل السادس، ص ٣٤٣.

تكشف عبارة «بابِ الله» عن حقيقة أساسية وهي أنّ السبيل إلى الله وطاعة أمره ونيل رضاه، يمرّ عبر بوابة الاعتقاد بالمهدي وإمامته، وطاعته التامة ليصل المؤمن إلى مبتغاه، وهو ما تبيّنه بوضوح عبارة «سبيل الله»، فالاعتقاد بولي الله إمام العصر عليه السلام وطاعته هو السبيل الوحيد المؤدّي إلى الله وقربه. هذه الدرجة الرفيعة تمثّل إحدى المنازل الخاصة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام.

ج. ميثاق الله، وعد الله

جاء في زيارة آل ياسين:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَ وَكَّدَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللهِ الَّذِي ضَمِنَه».

تبيّن عبارة «ميثاق الله» أنّ الإمام المهدي عليه السلام هو المظهر التامّ والكامل للعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده، وعهد الناس مع الإمام المهدي عليه السلام هو التزامهم وتمسّكهم بكل تفاصيل الدين والشريعة الإلهية؛ كما أنّ تركه والتخلّي عنه يعني التنكّر لجميع عهود الله ومواثيقه.

«وعد الله» يعني أنّ الإمام المهدي عليه السلام هو المثال الواضح والتام للوعد الإلهي في القرآن الكريم المتمثّل في إقامة حكومة الصالحين، وشمول القيم والخيرات كل أرجاء المعمورة. إنّه ذلك الموعود الإلهي العظيم الذي سوف يحقّق بظهوره أهداف جميع الأنبياء والأولياء، ويحيي الشريعة والكتاب السماوي. نعم، إنّه الوعد المضمون، والموعود المحتوم في كل الكتب السماوية الذي لن يحول شيء دون ظهوره.

د. عين الله النّاظرة

روي عن الإمام الرضا عليه السلام هذا الدعاء:

«وَ عَيْنِكَ النَّاظِرَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ وَ شَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِك»[1].

كما ورد في صلوات ضرّاب الأصفهاني:

«اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ .... وَ خَلِيفَتِكَ فِي أَرْضِكَ، وَ شَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ».

توضّح هذه العبارات، أنّ الإمام المهدي عليه السلام حجة الله وخليفته، وهو أيضاً عينه وشاهده على أعمال الناس، لا يخفى عليه شيء منها لا في الخفاء ولا في العلن؛ فهو المطّلع على أعمال الناس.

---

١. *الصحيفة المهدوية*، الفصل ٤، ص ٢٦٧.

الاعتقاد بهذه الحقيقة يساعد كثيراً على تربية النفس وتهذيبها، ونقاء الناس وصفائهم.

قال الإمام المهدي عليه السلام:

«فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْماً بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُم»[١].

آثار الدعاء والزيارة

ذُكرت في القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام آثار وبركات كثيرة للدعاء والتضرّع إلى خالق الكون.

بيد أنّنا، إلى جانب كل تلك الآثار والبركات، نريد أن نتعرض بشكل خاص آثار وبركات الدعاء لحجة العصر وقلب عالم الإمكان مولانا الإمام صاحب الزمان عليه السلام؛ لنعلم ما هي الفضائل والهدايا السنيّة التي سينعم بها ذلك الشيعي المنتظر الذي يدعو لمولاه، أو الذي يقف على باب هذا الإمام المفدّى ليرفع إليه سلامه وشوقه وإخلاصه وولاءه.

طبعاً لا يعلم مقدار الثواب المعنوي والأخروي للمؤمن الذي يدعو ويزور الإمام المهدي عليه السلام إلّا الله المتعال، لكنّا هنا سوف نستعرض جانباً من الآثار الدنيوية التي نستشعرها في حياتنا اليومية[٢]، وهي آثار ترتبط بوشائج واضحة وجلية، طبعاً، مع السعادة الأبدية:

١. مودّة أهل البيت وبخاصة إمام العصر عليه السلام

أثناء الدعاء والزيارة، تتبلور رابطة روحية عميقة بين الدّاعي والمدعو، فمن خلال هذا الدعاء والزيارة يُبرز الشيعي المنتظر حبّه ومكنونات فؤاده للإمام الغائب، فتزداد هذه الرابطة قوة وصلابة وعمقاً. وبهذه الطريقة فإنّ الدّاعي يؤدّي أحد الحقوق التي بذمّته تجاه إمامه[٣]، وفي نفس الوقت يرتشف من كأس محبّته، جرعة فجرعة. طبعاً، لكلا الأمرين آثار دنيوية وأخروية لا مجال لذكرها هنا[٤].

---

١. ***الاحتجاج***، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٧.

٢. لمزيد من الاطلاع انظر: ***مكيال المكارم***، للمرحوم الموسوي الأصفهاني.

٣. في إشارة إلى الآية الكريمة ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ سورة الشورى: الآية ٢٣.

٤. للمزيد من الاطلاع على آثار محبة أهل البيت عليهم السلام انظر: ***أهل البيت في الكتاب والسنّة***، محمدي ري شهري، ص٥٠٣ـ٥٢٣.

٢. الذكر والشكر

لا ريب في أنّ نعمة وجود الإمام عليه السلام وبركات حضوره في العالم هي من أعظم نعم الله الرحمن، وأنّ الدعاء له عليه السلام يشكّل نوعاً من التقدير والشكر على نعمة الإمام، والشكر والثناء لله تعالى، كما أنّ تجاهل الدعاء للإمام المهدي عليه السلام نوعٌ من الجحود وكفران النعمة الإلهية.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

أي إنّ الله يحبّ أن يحدّث العبد إخوانه عن نعم الله ويذكرها، لئلا ينسى هذه النعم، فيضيّع على نفسه فرصة الاستفادة منها، لأنّ من شُكر النعمة أن يحدّث بها.

إذن، نستنتج من هذا الكلام بأنّ الدعاء للإمام المهدي عليه السلام هو شكر لله على نعمه، وذكرٌ للمهدي عليه السلام؛ فبالتوسّل والدعاء تجسّر علاقة دائمة مع الإمام، لتبقي على جذوة ذكره واسمه متّقدة في قلبك وروحك إلى الأبد.

٣. الإخلاص للإمام وشكره

قلنا أنّ الدعاء والزيارة شكر لله على النعمة، وهي أيضاً شكر للإمام؛ هذا الإمام الذي وجوده خير ورحمة للعباد، وعلى الرغم من كل ما يلاقي من الناس من جفاء وإعراض، فهو أرأف عليهم من الوالد، وأحنّ وأشفق عليهم من الأم الرؤوم. فكل نعمةٍ تصيب العباد فهي من فيض بركات الإمام عليهم، وكل بلاء يُصرف عن الناس، هو بفضل عنايته وحراسته. فهل بإمكاننا أن نعوّض ولو قطرة من بحر لطفه وجوده وكرمه؟

قال الإمام السجاد عليه السلام:

«وأمّا حقّ ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه القالة الحسنة، وتُخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافأته»[2].

ما أجمل أن ندعو للإمام المهدي عليه السلام في كل صباح ومساء، فيكون هذا الدعاء باباً للمعروف

---

١. سورة الضحى: الآية ١١.

٢. *الأمالي*، الشيخ الصدوق، ص ٣٠٤، المجلس ٥٩.

والإحسان لإمامنا، لنشكره على قطرة من بحر إحسانه في حقّنا.

٤. عناية الإمام بالدّاعي

يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنها أَوْ رُدُّوهَا﴾[١].

التحية مشتقة من الحياة وتعني الدعاء لدوام حياة الآخرين، سواء كانت التحية بصيغة «السلام عليكم» أو «حياك الله» أو ما شاكلهما من صيغ التحية والسلام، ومهما تنوعّت صيغ التحية بين مختلف الأقوام تكون صيغة السلام المصداق الأوضح من كل تلك الأنواع، ولكن بعض الروايات والتفاسير تفيد أنّ مفهوم التحية يشمل أيضاً التعامل الودي العملي بين الناس، هكذا يتّضح لنا أنّ الآية عبارة عن حكم عام يشمل الردّ على كل أنواع مشاعر الودّ والمحبة سواء كانت بالقول أو بالعمل[٢].

إذن فالدعاء للإمام والسلام عليه هي تحيّة ترفع إلى ساحته النورانية المقدسة، ويقيناً أنّ الإمام وطبقاً لتعاليم القرآن، يردّ على دعاء الدّاعي وسلامه بأفضل منه ويشمله بعنايته ولطفه وكرمه.

وروي أنّ جارية أهدت إلى الإمام الحسن عليه السلام طاقة ريحان فأعتقها، وحين سُئل عن ذلك قال: «كذا أدّبنا ربنا تعالى»، ثم استشهد عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٣].

نعم، هكذا هو الإمام، عندما يردّ على لطف الآخرين، لا ينظر إلى بضاعتهم المزجاة وهديتهم المتواضعة، بل ينطلق من بحر جوده ومحيط سخائه ونبله؛ لذا، فالذين يبعثون بتحيّة -وإن قلّت- إلى ساحة إمام كرماء العالم، فسرعان ما سيغمرهم بلطفه السلطاني الرفيع[٤].

كتب المرحوم الموسوي الأصفهاني في كتابه النفيس *مكيال المكارم* في فوائد الدعاء للإمام صاحب الزمان عليه السلام يقول:

---

١. سورة النساء: الآية ٨٦.

٢. *تفسير الأمثل*، الشيخ مكارم شيرازي، ج ٤، ص ٤٢.

٣. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٥.

٤. راقم هذا السطور الداعي الفقير أيضاً بتقديمه هذا الأثر المتواضع كلّه أمل بتراب مقدم هذا العزيز وطمعاً في لطفه وكرمه وعنايته وشفاعته.

الدعاء هو من أفضل أنواع الإحسان والفضل؛ فعندما يدعو العبد المؤمن بإخلاص لمولاه الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فمولاه الكريم أيضاً يقابل دعاءه بدعاء في حقّه، ومعلوم أنّ دعاء الإمام هو مفتاح جميع الخيرات والفضائل. وللدلالة على هذا القول إليك الحكاية التالية:

قالوا كان بأصفهان رجل يقال له: عبد الرحمن وكان شيعياً قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك بإمامة علي النقي دون غيره من أهل الزمان؟ قال: شاهدتُ ما أوجب عليّ، وذلك أنّي كنتُ رجلاً فقيراً، وكان لي لسان وجرأة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع آخرين إلى باب المتوكل متظلّمين، فكنّا بباب المتوكل يوماً إذ أخرج الأمر بإحضار علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام فقلت لبعض من حضره: من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره؟ فقيل: هذا رجل علوي تقول الرافضة بإمامته، ثم قال: ويقدّر أنّ المتوكل يحضره للقتل، فقلت: لا أبرح من ههنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أي رجل هو؟ قال: فأقبل راكباً على فرس، وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفّين ينظرون إليه. فلما رأيته وقع حبه في قلبي، فجعلت أدعو في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكّل، فأقبل يسير بين الناس، وهو ينظر إلى عرف دابته لا ينظر يمنة ولا يسرة، وأنا دائم الدعاء. فلما صار إليّ أقبل بوجهه إليّ وقال: «استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك»، قال: فارتعدتُ ووقعتُ بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟ فقلت: خيرٌ ولم أخبر بذلك.

فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان، ففتح الله عليّ وجوهاً من المال. حتى أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم، سوى مالي خارج داري، ورُزقت عشرة من الأولاد. وقد بلغتُ الآن من عمري نيّفاً وسبعين سنة، وأنا أقول بإمامة الرجل على الذي علم ما في قلبي. واستجاب الله دعاءه في ولي[1].

بعد أن ينقل المرحوم الموسوي الأصفهاني هذه الحكاية يقول:

أيّها العاقل! تأمّل جيداً وانظر كيف كافأ مولانا الإمام الهادي عليه السلام هذا الرجل الأصفهاني على دعائه؟ مع العلم أنّ الرجل عندما دعا للإمام عليه السلام لم يكن من شيعته. وبناءً عليه، فهل يخطر ببالك أن لا يكافئ الإمام عليه السلام دعاءك بدعاء مماثل وأنت من شيعته ومحبّيه؟ كلا والله! ما

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٠، ص ١٤١.

هكذا الظنّ به....[1].

كيف ندعو للإمام عليه السلام؟

من المهم جداً أن يعرف الإنسان أيّ الكلمات والألفاظ يختار عندما يناجي ربّه، وما هي الأدبيات والمضمون الذي ينبغي له أن يستخدمه لهذا الغرض، لما ينطوي عليه ذلك من دور عظيم في التأثير الذي يتركه الدعاء والاستفادة منه. لا شكّ في أنّه كلما كان الإنسان أكمل، وكانت منزلته الروحانية أسمى وأرفع، كانت علاقته بربّ العالمين أفضل، لأنّ معرفة الإنسان الكامل بالله تجعله أجدر في أن يصف ربّه ويدعوه بما يليق بجلال عظمته وربوبيّته، وأنّ معرفته بحاجات الإنسان ومتطلباته تدفعه ليطلب في دعائه الله الكريم أفضل الطلبات وأنفعها؛ لهذا السبب يقال بأنّ أدعية المعصومين عليهم السلام ومناجاتهم كنز ثمين لا يفنى، متاحٌ لشيعتهم ومحبّيهم.

إذن، فالدعاء للإمام المهدي عليه السلام بكل لسان وبيان، بمثابة فرصة كبرى وتوفيق عظيم، ولكن، طبعاً، حين توظّف لوعة بيان الإمام المعصوم وحُرقة كلماته في مناجاة الإمام المهدي عليه السلام، فيقيناً أنّك تستنزل منافع روحانية لا تحصى، وتنهل من معين المعرفة الفيّاض الذي لا يجفّ، وتفتح أبواب المعرفة المهدوية بأبعادها المختلفة.

بركات الأدعية والزيارات المأثورة

هنالك الكثير من الأدعية والزيارات المروية عن المعصومين عليهم السلام في كتب الأدعية، والتي تنطوي على آثار وبركات جمّة جراء الاستئناس بهذه النصوص السماوية والتماهي معها، ونجمل هنا بعضاً من تلك البركات مع ذكر شواهد لنصوص الأدعية:

١. الآثار المعرفية

من المعلوم أنّ أدعية المعصومين عليهم السلام تنهل من ذرى العلم والمعارف الإلهية، فتستقر في قلوبهم النقية وتجري على ألسنتهم الصادقة، وهي تزخر بالعقائد والمعارف الحقّة، ليروي القارئ ظمأه من هذا المعين الصافي.

هذه المعارف الراقية عبارة عن:

---

١. *مكيال المكارم*، محمد تقي الأصفهاني، ج ١، ص ٣٣٣.

أ. جولة في العقائد الحقّة التي تشكّل هويتنا الدينية

ومثال على هذه العقائد ما نقرأه في زيارة آل ياسين من قبيل الإقرار بالمبدأ والمعاد والنبي الأكرم ﷺ وأوصيائه بالحق:

«أُشْهِدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ... وَ أُشْهِدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ حُجَّتُهُ وَ الْحَسَنَ حُجَّتُهُ وَ الْحُسَيْنَ حُجَّتُهُ ... وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ ... وَ أَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ ... وَ أَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَق ... وَ الْجَنَّةَ وَ النَّارَ حَقّ».

ب. جولة في وظائف الشيعة إزاء إمامهم

من بين ما تتضمّنه هذه الأدعية معرفة واسعة وعميقة بوظائفنا إزاء الإمام، وتشكّل هذه المعرفة تمهيداً للعمل والسلوك المنشود، والسير على طريق مرضاة الإمام. نقرأ في ختام دعاء الندبة:

«وَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ بِحُجْزَتِهِمْ، وَ يَمْكُثُ فِي ظِلِّهِمْ، وَ أَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَ الِاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، وَ اجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَ امْنُنْ عَلَيْنَا بِرِضَاه».

تنطق هذه المقاطع بشكل واضح بحقيقة أنّ على الشيعة المنتظرين أن يسعوا قبل كل شيء إلى أداء حقوق الإمام عليهم ونيل مرضاته، وأن يجاهدوا لئلا ينحرفوا عن مسير طاعته نحو هاوية العصيان، ويواظبوا على التمسك بولايته، والدخول في حزبه.

ج. التعريف بالمنزلة الإلهية للإمام وأوصافه ومقاماته

ونجد هذه الخصوصية في معظم الأدعية والزيارات مثل الفقرات الأولى من زيارة آل ياسين وبعض فقرات دعاء الافتتاح[1]:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ وَ الْقَائِمَ بِدِينِك.... اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَ سُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْق»[2].

وفي بعض فقرات دعاء الإمام الرضا عليه السلام:

---

١. ذُكرت أمثلة كثيرة في قسم «ملامح الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأدعية».

٢. دعاء الافتتاح، قسم أعمال ليالي شهر رمضان المبارك في *مفاتيح الجنان*.

«اللَّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَه... أنّه الامام التقي الْهَادِي الْمَهْدِيُّ الظَّاهِرُ النقي الْوَفِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِي»[1].

د. رسم معيار الحق والباطل

في نصوص أدعية وزيارات المعصومين عليهم السلام نجد معايير واضحة للحق والباطل، لئلا يتيه السالك إلى الله والتابع المخلص لأهل البيت عليهم السلام عن بوصلة الحقّ في مدلهمّات الفتن والخطوب، ويسقط في وادي الباطل السحيق.

نقرأ في زيارة آل ياسين:

«فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ وَ الْبَاطِلُ مَا اَسْخَطْتمُوهُ وَ الْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ وَ الْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْه».

هـ. رسم ملامح عالم ما بعد الظهور

لا ريب في أنّ الإحاطة بجماليات عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام يضاعف من حماس وشوق المنتظرين للظهور، ومن هنا نجد أنّ رسم ملامح ذلك العصر كما ورد في كلام المعصومين عليهم السلام في إطار الأدعية والزيارات يترك أثراً عميقاً في قلوب الوالهين.

نقرأ في دعاء الافتتاح:

«اللَّهُمَ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ وَ تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَه».

ونفس الأمر في دعاء الندبة:

«أَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْتِ وَ الْعِوَجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الْجَوْرِ وَ الْعُدْوَانِ، أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَ السُّنَنِ.... أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَ حُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَ أَهْلِهِ... أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَ مُذِلُّ الْأَعْدَاء أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى؟»

٢. الآثار العملية والسلوكية

إنّ ما تتضمّنه أدعية وزيارات الإمام المهدي عليه السلام من مضامين راقية ومعاني عالية سامية يمكن أن تترك آثاراً علمية عظيمة في نفوس الشيعة المنتظرين، شرط أن يكتنه في داخله حالات التوجّه والانس والعُلقة القلبية أثناء تلاوة الدعاء أو الزيارة، وأن يركّز انتباهه على ما يقوله ويتمتم به، أو قل، أن يتناغم لسانه مع إيقاع قلبه.

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٩٢، ص ٣٣٣، ح ٥.

من بين الآثار التي تترتّب على الأدعية المهدوية على سلوك أنصار المهدي هي:

أ. أعظم وظيفة تقع على عاتق العباد هي طاعة الله والإمام، ومن ثمرات الدعاء، تعزيز روح العبودية لله في نفس المؤمن، والطاعة والتسليم إزاء الإمام وحجة الله.

نقرأ في زيارة آل ياسين:

«يَا مَوْلَايَ شَقِيَ مَنْ خَالَفَكُمْ وَ سَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ ... وَ أَنَا وَلِيٌّ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ ... فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ بِرَسُولِهِ وَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ بِكُمْ يَا مَوْلَايَ أَوَّلِكُمْ وَ آخِرِكُمْ وَ نُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ وَ مَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُم».

ب. الأخلاق الحميدة والفضائل والقيم النبيلة عبارة عن مطالبات يرفعها الإنسان إلى ربّه في الأدعية المهدوية، وإنّ الاستئناس بهذه الأدعية مدعاة لتقرّب الدّاعي من هذه الفضائل والتخلّق بالأخلاق الإلهية.

جاء في دعاء الإمام الرضا عليه السلام:

«اللَّهُمَ اسْلُكْ بِنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى وَ الْمَحَجَّةَ الْعُظْمَى وَ الطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْغَالِي وَ يَلْحَقُ بِهَا التَّالِي وَ قَوِّنَا عَلَى طَاعَتِهِ وَ ثَبِّتْنَا عَلَى مُشَايَعَتِهِ وَ امْنُنْ عَلَيْنَا بِمُتَابَعَتِهِ وَ اجْعَلْنَا فِي حِزْبِهِ الْقَوَّامِينَ بِأَمْرِهِ الصَّابِرِينَ مَعَهُ الطَّالِبِينَ رِضَاكَ بِمُنَاصَحَتِهِ... وَ أَعِذْنَا مِنَ السَّأْمَةِ وَ الْكَسَلِ وَ الْفَتْرَة»[1].

٣. الآثار العاطفية والقلبية

الآثار العاطفية والقلبية هي من أهم الآثار المترتّبة على تلاوة الأدعية والزيارات المهدوية، والتي يمكن للدّاعي أن يتلمّسها ويستشعرها بكل كيانه، شرط توفّر عوامل الخشوع والحضور القلبي في داخله.

من أهم هذه الآثار التي يشعر بها العبد:

أ. من خلال ذكر الحبيب تتعزّز المحبة والرابطة القلبية بالإمام.

«اللَّهُمَ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَ الْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَ اكْحُلْ نَاظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْه»[2].

---

١. *جمال الأسبوع*، السيد ابن طاووس، ص ٣٠٧؛ *الصحيفة المهدوية*، الفصل ٦، دعاء الإمام الرضا عليه السلام، ص٣٤٣.

٢. دعاء العهد.

«بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي لَكَ الْوِقَاءُ وَ الْحِمَى.... لَيْتَ شِعْرِي، أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى.... عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَ لَا تُرَى»[١].

ب. اضطراد الشوق في قلب العاشق المنتظر وروحه.

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ وَ تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَ الْقَادَةِ فِي سَبِيلِك»[٢].

«مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى... مَتَى تَرَانَا وَ نَرَاكَ وَ قَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النَّصْرِ تُرَى.... أَتَرَانَا نَحُفُّ بِكَ وَ أَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ، وَ قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلاً»[٣].

ج. اضطرام شعلة الأمل في النفوس، وطرد اليأس والقنوط، على الرغم من جميع الصعاب والشدائد المحدقة؛ ذلك أنّ المحبّ للإمام المهدي عليه السلام يعقد الأمل على النصرة الإلهية وظهور الإمام وقيام حكومته على الأرض وهلاك الظالمين، ويرى أنّ تحقيق جميع هذه الآمال أمر حتمي وقريب. نقرأ في دعاء العهد:

«اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ الْغُمَّةَ عَنِ هذه الْأُمَّةِ بِحُضُورِهِ وَ عَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيبا».

٤. الآثار الاجتماعية

بفضل الأدعية والمناجات المهدوية، يمكن الارتقاء بالعلاقات الاجتماعية. فالشيعي المنتظر يستلهم من كلمات المعصومين عليهم السلام ويتعهّد أمام إخوة الإيمان بالسير في الطريق الذي يرسمونه والمجتمع الذي ينشدونه.

من بين الآثار الاجتماعية التي تتركها الأدعية:

أ. تعزيز رابطة حُسن الجوار والمعاشرة الطيبة مع الشيعة، وترويّج للفضائل الإنسانية في علاقات الأفراد بعضهم ببعض.

نقرأ في دعاء الندبة وندعو الله:

«اللهم... أَعِنّا عَلى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالْاِجْتِهادِ فى طاعَتِهِ، وَاجْتِنابِ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنا

---

١. دعاء الندبة.

٢. دعاء الافتتاح.

٣. دعاء الندبة.

بِرِضاهُ، وَ هَبْ لَنا رَأْفَتَهُ وَ رَحْمَتَهُ، وَ دُعاءَهُ وَ خَيْرَهُ ... وَاجْعَلْ أَرْزاقَنا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَ هُمُومَنا بِهِ مَكْفِيَّةً وَ حَوائِجَنا بِهِ مَقْضِيَّةً».

يشي هذا النمط من الدعاء وإشراك جميع المؤمنين في الدعاء بالعلاقة القلبية والارتباط الروحاني الوثيق، وكأنّنا أسرة واحدة ومصيرنا واحد، نسير في طريق واضح ونحو هدف متعالٍ؛ ممّا يتطلّب منّا أن نضع أيدينا في أيدي بعض، وأن نكون منسجمين وقلوبنا متآلفة ولغتنا واحدة. فحاجة كل واحد منّا هي حاجة الآخر، وهمّ كل واحد، يتسبّب في همّ الآخر؛ إذاً، يجب أن يكون كل واحد منّا عوناً للآخر ونصيره وشريك همّه.

ب. بسبب الحوائج الجماعية التي تتضمّنها الأدعية والتي تشمل المجتمع الإسلامي برمّته، والأخوة الشيعة، فإنّ الدّاعي يتحرّر من أنانيّته والتمحور حول نفسه، فيشعر بشعور الوحدة مع أخوة الإيمان، وهذا هو النموذج المنشود واليوطوبيا المهدوية.

نقرأ في الفقرات الختامية من دعاء الافتتاح الشريف:

«اللَّهُمَ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنَا ... وَ كَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنَا وَ اعِزَّ بِهِ ذِلَّتَنَا... وَ يَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا ... وَ اسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا..... وَ بَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ آمَالَنَا.... وَ انْصُرْنَا به عَلَى عَدُوِّكَ وَ عَدُوِّنَا».

خلاصة البحث

في ضوء ما تقدّم، يمكن استخلاص النتائج التالية من مبحث الدعاء والزيارة:

أولاً. الأدعية والزيارات المهدوية من أهم مصادر المعرفة التي تتيح الارتقاء بالمعرفة وتقوية الإيمان، في مختلف الميادين: التوحيد، والنبوة، والإمامة، ولا سيّما فيما يخصّ الإمام المهدي عليه السلام.

ثانياً. لتحقيق أقصى انتفاع من نصوص الأدعية والزيارات يجب أن نجسّر علاقة متواصلة واستئناس دائم بهذه المجموعة القيّمة من الأدعية، ولأجل تعلّم هذه المعارف العميقة علينا مراجعة كتب علماء الدين[1].

ثالثاً. فلنسعى عند تلاوة الدعاء والزيارة خلق علاقة روحية، بمعنى، أن نتوجّه إلى الله تعالى بكل جوارحنا وحواسّنا ونتضرّع إليه وندعوه بخشوع وحضور قلب، وأن نرفع سلامنا إلى ساحة

---

١. بالنسبة للأدعية والزيارات المهدوية وشرحها وتفسيرها صدرت كتب جيدة لبعض علماء الدين الأفاضل مثل «فروغ ولايت در دعاي ندبه» و «معرفت حجت خدا» (شرح دعاء اللهم عرّفني نفسك...) بقلم: آية الله الصافي الكلبايكاني، و «ميثاق منتظران در شرح زيارت آل ياسين» بقلم: السيد مهدي الحائري القزويني.

قدس إمامنا، ونجدّد عهد الولاء والبيعة له، فكل ما نملك هو بفضل هذا الدعاء والزيارة في أجواء الخشوع وحضور القلب.

٧

غيبة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وأسبابها

الغيبة

بعد أن تشرّفنا بالتعرّف على شخصية منجي العالم الأكبر ومحقّق آمال الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر الذخائر الإلهية، الإمام **الحجّة بن الحسن** عجل الله تعالى فرجه الشريف، نبحث فيما يلي في موضوع غيبة فريد العصر، والتي تشكّل القسم الأعظم من حياته الشريفة.

مفهوم الغيبة

الملاحظة الأولى التي تُطرح هاهنا هي أنّ الغيبة تعني «الاستتار عن أعين الناظرين» وليس عدم الحضور. ومن هذا المنطلق، ندخل في مبحث العصر الذي يستتر فيه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عن أعين الناس وعدم رؤيتهم إيّاه، في حين أنّ هذا الإمام المفدّى يعيش في أوساطهم ويتردّد

بين ظهرانيهم. لقد تمّ التعبير عن هذه الحقيقة في روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام بعبارات مختلفة ومتنوعة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فوربّ عليّ إنّ حجّتها عليها قائمة ماشية في طرقها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة، وترى ولا تُرى، أليس ذلك مزيلاً للشكّ في أمره ... إلى يوم الوقت والوعد ونداء المنادي من السماء»[1].

طبعاً هناك نوع آخر من الغيبة للإمام قد جاء ذكره في الروايات.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ في صاحب هذا الأمر سننٌ من الأنبياء عليهم السلام ... وأمّا سنّةٌ من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً، يرونه ولا يعرفونه»[2].

إذن، طبقاً للروايات الواردة فإنّ غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد تحدث على نوعين:

أولاً. غيبة الشخص والجسم؛ أي، إنّ الإمام لا يُرى على الرغم من حضوره.

ثانياً. غيبة الشخصية والعنوان؛ بمعنى أنّ الإمام يُرى ولكن لا يُعرف.

سابقة الغيبة

ليست الغيبة والعيش في استتار بالظاهرة الجديدة أو الغريبة أو إنّ الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الأول والوحيد الذي عاش مستتراً، بل يُستشفّ من كثير من الروايات أنّ عدد من الأنبياء العظام قد قضوا شطراً من حياتهم مستترين وذلك لظروف اقتضتها الحكمة الإلهية، لا بدافع من رغبة شخصية أو مصلحة أسرية.

إذن، فالغيبة، هي من السنن[3] الإلهية التي جرت على حياة عدد من الأنبياء مثل إدريس ونوح

---

١. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٠، ح ٣، ص ١٤٦.

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٣٣، ح ٤٦، ص ٢٨.

٣. تحدّث القرآن الكريم في عدّة سور منها سورة غافر: الآية ٨٥؛ سورة الفتح: الآية ٢٣، وسورة الإسراء: الآية ٧٧ عن السنّة الإلهية. ونستنبط من مجموع ما قيل أنّ المقصود بالسنّة الإلهية هو القوانين الإلهية الثابتة والأساسية التي لا يطرأ عليها تغيير قط. وهذه القوانين سارية على الأقوام والأمم السالفة وعلى الأمم الحالية والمستقبلية على السواء (***تفسير الأمثل***، ج ١٧، ص ٤٣٥، بتصرّف).

وصالح وإبراهيم ويوسف وموسى وشعيب وإلياس وسليمان ودانيال وعيسى عليهم السلام، وقد قضى كل من هؤلاء السفراء الإلهيين سنوات من حياته، بحسب الظروف، في استتار وغيبة[1].

لهذا ورد في الروايات أنّ غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هي من سنن الأنبياء.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء عليهم السلام وأمّا من يوسف فالحبس»[2].

الحكمة من الغيبة

هنا نتساءل: لماذا يحتجب الإمام وحجة الله في سدف الغيوب؟ وما السبب وراء حرمان الناس من بركات وجوده وظهوره؟

بالنسبة لأسباب الغيبة، ثمّة روايات عديدة ومختلفة تتناول معظمها الحكمة من غيبته. منها ما ذكر بعض الأسباب للغيبة، ومنها ما تعاطى مع هذه الأسئلة من زاوية أخرى، ما شكّل قاعدة عامة للعثور على إجابات مشتركة للكثير من أسئلتنا. في هذا القسم نحن بصدد العثور على إجابات مناسبة في ضوء الروايات المتوفرة.

سرّ من أسرار الله

نحن نؤمن إيماناً راسخاً بأنّه ما من عمل صغير أو كبير يقوم به ربّ العالمين جلّت قدرته، إلّا وينطوي على حكمة ومصلحة؛ سواء كانت هذه المصلحة ظاهرة لنا أم خافية علينا. كما أنّ جميع حوادث العالم الكبرى والصغرى تحدث بتدبير من الله وبمشيئته النافذة، ومن أهمها حادثة غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولذا، فغيبة إمامنا العظيم تنسجم مع مقتضيات الحكمة والمصلحة، حتى وإن كنّا نجهل هذه الحكمة.

فعن عبد الله بن فضل الهاشمي قال: سمعتُ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل»، فقلتُ: ولم جُعلتُ فداك؟ قال: «لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه لكم»، قلتُ: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: «وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره... يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من [أمر] الله

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، الباب الأول إلى السابع، ص ٢٥٤ إلى ٣٠٠.

٢. *المصدر نفسه*، ج ١، باب ٣٢، ح ٦، ص ٣٢٦.

تعالى، وسرٌّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكيمة، وإن كان وجهها غير منكشف»[1].

طبعاً، حتى مع علم الإنسان بحكمة جميع الأفعال الصادرة عن الله، وتسليمه لها، فإنّ هناك رغبة تحدوه لمعرفة العلل والأسباب التي تقف وراء بعض الظواهر في هذا العالم، لأنّ النفس ترتاح والقلب يشعر بطمأنينة أكبر بعد أن يتّضح العلم بالحكمة الكامنة وراء ظاهرة معينة؛ وبناءً عليه، نبدأ بحثنا في العلل الحكمية وراء غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والآثار المترتّبة عليها، مستشهدين بالروايات ذات الصلة.

المحافظة على حياة الإمام

أحد العوامل التي دفعت الأنبياء لاعتزال أقوامهم هو المحافظة على حياتهم من كل سوء، ودرء الأخطار المحتملة. فأولئك الأنبياء كانوا يختفون عن الأنظار عندما كانوا يواجهون ظروفاً تهدّد حياتهم ووجودهم، ليستكملوا رسالتهم السماوية في ظروف أكثر أمناً؛ كما فعل نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما ترك مكة المكرمة واختبأ في الغار، وطبعاً كلّ ذلك كان بأمر من الله وبمشيئته.

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأسباب غيبته والتي جاءت على ذكرها العديد من الروايات.

فعن زرارة قال: قال أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام:

«يا زرارة لا بدّ للقائم من غيبة»، قلتُ: ولِمَ، قال: «يخاف على نفسه – وأومأ بيده إلى بطنه–»[2].

صحيح إنّ الشهادة مُنية رجال الله، لكنّ الشهادة المنشودة هي أن تكون في ميدان الجهاد وأداء الرسالة الإلهية، وأن تكون في صالح المجتمع ونصرةً لدين الله؛ ولكن عندما يكون قتل الفرد بمثابة ضياع الأهداف التي جاء من أجلها، حينئذ تكون الخشية من القتل أمر عقلاني وممدوح. فمقتل الإمام الثاني عشر، آخر الذخائر الإلهية، يعني انهيار كعبة آمال جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وعدم تحقيق الوعد الإلهي في تأسيس حكومة العدل العالمية.

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٢، باب ٤٤، ح ١١، ص ٢٠٤.

٢. *المصدر نفسه*، ح ٧، ص ٢٣٣.

استقلاله وتحرّره من أيّ بيعة للآخرين

أولئك الذين يسعون إلى إيجاد تحوّل أو ثورة تضطرّهم الظروف في بداية الأمر إلى عقد تحالفات وإعطاء عهود لبعض المناوئين والخصوم، ليتمكّنوا فيما بعد من بلوغ أهدافهم، لكنّ المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف هذا المصلح العظيم الذي سيفجّر ثورته ويقيم حكومة العدل العالمية لن يتحالف أو يهادن أيّ قوة غاشمة وظالمة؛ لأنّه مأمور، طبقاً للروايات الوفيرة، بالجهاد القاطع والعلني ضدّ جميع الظالمين. لهذا السبب فهو يحتجب وراء أستار الغيبة حتى تتهيّأ له أسباب الثورة والظهور، لئلا يضطرّ إلى مهادنة أعداء الله وعقد التحالفات والعهود معهم.

في رواية سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن أسباب غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فقال:

«كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه»، قلتُ له: ولِمَ ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: «لأنّ إمامهم يغيب عنهم»، فقلتُ: ولِمَ؟ قال: «لئلا يكون لأحدٍ في عنقه [امام مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] بيعة إذا قام بالسيف»[1].

امتحان الناس

إنّ تعرّض الناس للامتحان من السنن الإلهية، فالله تبارك وتعالى يمتحن عباده لمختلف الأسباب ليتبيّن مدى ثباتهم في طريق الحق. طبعاً، الله عزّ وجلّ يعلم بنتيجة الامتحان سلفاً، لكنّ العبد هو الذي يجب أن يُغَربَلُ ويُمَيَّزْ في بوتقة الاختبار ليظهر معدنه الحقيقي.

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمّة فالله الله في أديانكم لا يزيلنّكم عنها أحد. يا بنيّ إنّه لا بدّ لصاحب هذا الأمر [الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هي محنة من الله امتحن (الله تعالى) بها خلقه»[2].

تأديب الناس

عندما لا تقدّر الأمة نبيّها وإمامها حقّ قدرهما، ولا تؤدّي واجباتها تجاههما، بل تعصي أوامرهما، حريّ بالله تعالى أن ينزعهما من الأمة، حتى تثيب إلى رشدها، لتشعر بقيمة وجودهما

---

١. *المصدر نفسه*، ح ٤.

٢. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، فصل ٥، ح ٢٨٤، ص ٢٣٧.

وبركتهما في أيّام غيبتهما. في هذه الحالة، تكون غيبة الإمام في مصلحة الأمة؛ وإن كانت لا تعرف هي ذلك ولا تدركه.

وقد خرج من أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«إنّ الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم»[1].

وجدير بالذكر وردت في الروايات نقاط أخرى حول علل وأسباب غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف نُعرض عن ذكرها مراعاةً للإيجاز. لكنّ الشيء المهم هو وكما قلنا قبل هذا، إنّ «الغيبة» سرّ من الأسرار الإلهية، وسوف تنكشف علّتها الرئيسية والجوهرية بعد ظهور الإمام، أمّا الأمور التي ذُكرت فهي العوامل المؤثّرة في غيبة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

مراحل الغيبة

إذن، فقد عرفنا في ضوء ما تقدّم أنّ غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مسألة واجبة وضرورية، ولكن من حيث أنّ جميع ما يقوم به أئمتنا يصبّ في خانة ترسيخ أركان إيمان الناس، فقد كانت الخشية من أن تؤدّي غيبة آخر الحجج الإلهية إلى أضرار جسيمة بتديّن المسلمين وإيمانهم، فقد بدأت غيبته وفق تدبير دقيق وما تزال مستمرة.

التوطئة للغيبة

من بين الأساليب التي ساعدت كثيراً على استعداد الشيعة وتهيّؤهم لاستقبال عصر الغيبة أنّ الحديث عن غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف وضرورتها كان جارياً قبل سنوات من ولادته، وذلك في أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد مهّدت هذه الأحاديث والروايات لكي يتعرّف الشيعة على ظاهرة الغيبة ووجوبها وكذلك على الفتن والملاحم في عصر الغيبة، لئلا يشطحوا وينحرفوا عن جادة الحقّ بسبب غيبة الإمام عليه السلام.

عمل آخر كان مفيداً في التمهيد للغيبة هو طبيعة ارتباط الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام بالشيعة، والذي تبلور في إطار جديد وبصورة محدودة وضيّقة. لقد أحال الإمامان العسكريان الهادي والعسكري عليهما السلام شيعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام قبيل الغيبة على وكلائهما، وبيّنوا لهم أنّهم في كثير من احتياجاتهم المادية والمعنوية ليسوا مضطرّين للتشرّف حضورياً بزيارة الإمام الحاضر

---

١. *علل الشرايع*، الشيخ الصدوق، ص ٢٤٤، باب ١٧٩.

والظاهر؛ بل يكفي أن يراجعوا الوكلاء ليبرؤوا ذمّتهم من الحقوق الملقاة على عاتقهم، وبذلك تأسست «شبكة الوكالة» من قبل الإمامين العسكريين أنفسهما، وعُرفت في أوساط الشيعة الذين وثقوا بهذه الشبكة وأمنوها على أسرارهم.

العمل الثالث، هو تمرحل الغيبة إلى مرحلتين. في المرحلة الأولى كان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف غائباً، ولكن مع بقاء الارتباط بينه وبين الأمة بنحوٍ أو بآخر، ولم ينقطع بشكل نهائي، فكان الشيعة يتّصلون بالإمام عبر «نوابه الخواص». وقد خلقت هذه المرحلة استعداداً أكبر لغيبة الإمام الكلية والنهائية؛ ذلك أنّ الشيعة عرفوا أنّهم لن يضلّوا ولن يحتاروا في غيبته الكبرى؛ بل إنّ علماء الدين وفقهاء الأمة هم النواب العامّون، وأنّ الإمام بين ظهرانيهم، ويلبّي احتياجاتهم.

إليك فيما يلي بعض النقاط حول خصوصيات مرحلتي الغيبة الصغرى والكبرى.

الغيبة الصغرى

بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في سنة ٢٦٠ ه، انتقلت الإمامة إلى الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف. ومنذ تلك الفترة بدأت «**الغيبة الصغرى**» للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واستمرت حتى سنة ٣٢٩ هـ (تقريباً سبعون سنة).

أهمّ ما ميّز مرحلة الغيبة الصغرى هو أنّ الناس لم يُحرموا الاتصال بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عبر نوابه الخواص، وكانوا يتلقّون بواسطتهم رسائل الإمام والأجوبة على أسئلتهم[1]. وربّما، في بعض الأحيان، التشرّف بلقاء الإمام أيضاً عبر هؤلاء النواب.

كان النواب الخواص للإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف جميعاً من كبار علماء الشيعة ومن المنتخبين من قبل الإمام، وهم أربعة أشخاص نستعرض فيما يلي فترة نيابة كل منهم بحسب الترتيب الزمني:

١. عثمان بن سعيد العَمري؛ تولّى النيابة منذ بدء غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وتوفي في سنة ٢٦٧ هـ. كان في البدء وكيل الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

٢. محمد بن عثمان العمري؛ وهو ابن النائب الأول، تولّى نيابة الإمام بعد وفاة أبيه، وتوفي في

---

١. نصوص الرسائل - المعروفة بالتوقيعات – قد وردت في كتب علماء الشيعة؛ منها كتاب: ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٣ باب ٣١، ص ١٥٠ - ١٩٧.

٣٠٥ هـ. و أشار الإمام العسكري إلى وكالته عن الإمام المهدي عليه السلام.

٣. حسين بن روح النوبختي؛ تولّى نيابة الإمام لمدة ٢١ سنة، وتوفي في سنة ٣٢٦ هـ.

٤. علي بن محمد السمري؛ توفي في سنة ٣٢٩ ه، وبموته انطوت صفحة الغيبة الصغرى لتبدأ مرحلة الغيبة الكبرى.

النواب الخواص للإمام جميعهم من منتخبي الإمامين العسكري عليه السلام والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن ثمّ تمّ تقديمهم للناس. يروي الشيخ الطوسي في كتابه *الغيبة* في خبر طويل مشهور عن جماعة من الشيعة: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام نسأله عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به منّي. فقال له: «**اجلس يا عثمان**» فقام مغضباً ليخرج فقال: «**لا يخرجنّ أحد**» فلم يخرج منّا أحد إلى (أن) كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان، فقام على قدميه فقال: «**أخبركم بما جئتم؟**» قالوا: نعم يا بن رسول الله، قال: «**جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي؟**»، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنّه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام فقال: «**هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي، فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتمّ له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه**» في حديث طويل[1].

وفي رواية أخرى أنّ الإمام العسكري عليه السلام صرّح أيضاً بنيابة محمد بن عثمان (النائب الثاني) للإمام المهدي[2].

كلّ هذا يتعلّق بفترة ما قبل غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وطيلة فترة الغيبة الصغرى كان كل نائب يوصي قبل وفاته بالنائب الذي بعده والمختار من قبل الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويعرّفه إلى الناس.

لقد اختير هؤلاء الرجال العظام لمنصب النيابة الخاصة للإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لتوفّرهم على بعض الخصال والخصوصيات الفريدة، من أهمها الأمانة والعفّة والعدالة في القول والسلوك، وحفظ السرّ والسرية التامة والمحافظة على أسرار أهل البيت عليهم السلام في ظروف الغيبة. وكانوا موضع

---

١. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، ح ٣١٩، ص ٣٥٧.

٢. *المصدر نفسه*، فصل ٦، ح ٣١٧، ص ٣٥٥.

ثقة وطمأنينة الإمام وربيبي مدرسة أهل بيت العصمة والطهارة. إلى جانب كل هذه الخصال الحميدة، كانوا على قدر عالٍ من الكفاءة في قيادة الشيعة وتوجيههم، وكانوا على دراية وفهم ووعي تامّ بحساسيّة الظرف وخطورته، فعملوا على توظيف الإمكانات المتاحة لهداية المجتمع الشيعي إلى الصراط المستقيم، والخروج به بأمان وسلامة من المضائق والمنعرجات التي تخلّلت فترة الغيبة الصغرى.

إنّ دراسة دقيقة لمرحلة الغيبة الصغرى والدور المهم للنواب الأربعة كحلقة وصل بين الأمة والإمام تُظهر لنا بجلاء أهمية هذه المرحلة في حياة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. وكان لهذه الرابطة وكذلك تشرّف بعض الشيعة بلقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف طوال فترة الغيبة الصغرى أكبر الأثر في البرهنة على ولادة الإمام الثاني عشر، وأنّه آخر حجج الله تعالى. وقد وقع هذا الإنجاز المهم في نفس الوقت الذي كان دأب الأعداء ينصبّ على زرع الشك والترديد في أوساط الشيعة حول ولادة ابن للإمام العسكري عليه السلام.

الغيبة الكبرى

في الأيام الأخيرة من عمر النائب الرابع الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري قدس سرّه أخرج إلى الناس هذا التوقيع للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. يا علي بن محمد السمّري! أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميت ما بينك وبين ستّة أيام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلب، وامتلاء الأرض جوراً...»[1].

إذن، بوفاة آخر النواب الخواص للإمام الثاني عشر في سنة ٣٢٩ ه، بدأت غيبة الإمام الطويلة والمشهورة بـ «الغيبة الكبرى»، وهي ما تزال مستمرة حتى يأذن الله تعالى بانقشاع سُحُب الغيبة، لينعم العالم بضياء شمس الولاية الساطعة.

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ الشيعة في فترة الغيبة الصغرى كانوا يتّصلون بالإمام عبر نوابه الخواص، وكانوا يسألونه تكاليفهم الشرعية، ولكن هذا الارتباط قد انقطع في مرحلة الغيبة الكبرى ولم يعد

---

١. *المصدر نفسه*، ح ٣٦٥، ص ٣٩٥.

هناك أيّ اتصال بالإمام، فتوجّب على المؤمنين الرجوع إلى النواب العامّين للإمام، أعني العلماء الأعلام ومراجع التقليد العظام، للتعرّف على واجباتهم الدينية. وهذه الآلية عبارة عن طريق واضح رسم ملامحه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه في توقيع له إلى أحد ثقاة الشيعة. وجاء في مقطع من هذا التوقيع الذي أظهره النائب الخاص الثاني للإمام ما يلي:

«وَأَمَّا الْحَوادِثُ الْواقِعَةِ فَارْجِعُوا فيها إِلي رُواةِ حَديثِنا فَإِنَّهُم حُجَّتي عَلَيكُم وَأَنَا حُجَّةُ اللهِ عَلَيهِم...»[1].

وفي بيان دور علماء الأمة في عصر الغيبة قال الإمام الهادي عليه السلام:

«لَوْلَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ عجل الله تعالى فرجه الشريف مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَ الدَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَ الذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللهِ، وَ الْمُنْقِذِينَ لِضُعَفَاءِ عِبَادِ اللهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَ مَرَدَتِهِ، وَ مِنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللهِ، وَ لَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يُمْسِكُونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ، كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّانَهَا، أُولَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَ جَل»[2].

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٥، ح ٣، ص ٢٣٦.

٢. *الاحتجاج*، الطبرسي، ج ١، ح ١١، ص ١٥.

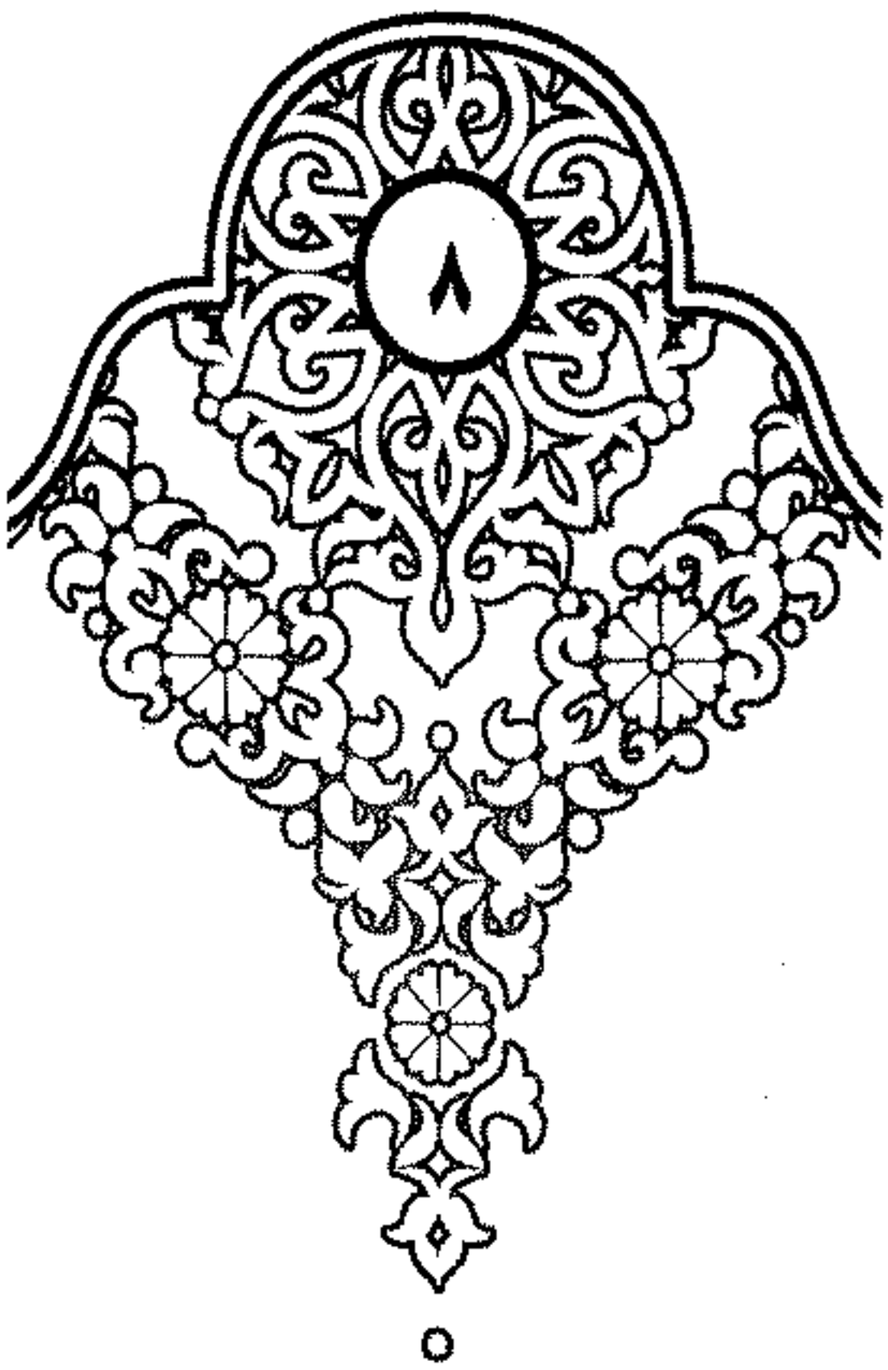

فوائد الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف

فوائد الإمام الغائب

مئات السنين مرّت والمجتمع البشري محروم من فيض ظهور حجة الله، والأمة الإسلامية محرومة من التشرّف بلقاء ساحة قدس الإمام وقيادته السماوية. فهلا بحثنا في الآثار المترتّبة على العالم والعالمين جراء وجود الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في غيبته، وحياته الخفية البعيدة عن متناول الجميع؟ أما كان بالإمكان أن يولد قبيل أوان ظهوره، ليُجنَّب مآسي الغيبة ومصاعبها؟

هذا السؤال وغيره ناجم عن عدم معرفة بمنزلة الإمام والحجة الإلهية. وبالمناسبة، ما هي منزلة الإمام وموقعه في منظومة الكون؟ هل الآثار المترتّبة على وجوده رهنٌ بحضوره؟ هل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف قائد وإمام الناس فقط أم إنّ وجوده ذو أثر وبركة على جميع الموجودات؟

الإمام قطب الوجود

الإمام، بحسب اعتقاد الشيعة وطبقاً للتعاليم الدينية، هو واسطة الفيض الإلهي إلى جميع ظواهر عالم الخلق. فهو في منظومة الوجود بمثابة المحور والقطب، وبدون وجوده المبارك، لا وجود للعالم والبشر، والجن والملائكة والحيوان والجماد.

قال عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: أَ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: «لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَت»[1].

أمر واضح وبديهي أن يكون الإمام واسطة انتقال الرسائل الإلهية إلى الناس ودليلهم نحو الكمال الإنساني، ووجوده علّة كل فيض ولطف إلهي إلى الجميع؛ ذلك أنّ الله تعالى ومنذ بدء الخليقة بعث الأنبياء ومن ثمّ أوصياءهم وخلفاءهم لهداية المسيرة الإنسانية؛ لكنّا نتبيّن من كلمات المعصومين عليهم السلام أنّ وجود الأئمة في رحاب العالم بمثابة واسطة لإيصال النعم والفيض الإلهي إلى كل مخلوق صغير وكبير. أو بعبارة أوضح، كل ما ينعم به العباد من فيوضات وعطايا إلهية إنّما تأتيهم عبر واسطة الفيض أعني الإمام. فأصل وجود المخلوق وكذلك النعم التي يرفل فيها طوال حياته كل ذلك بفضل الإمام، وأسطة الفيض.

في أحد مقاطع زيارة الجامعة الكبيرة تطالعنا حلقة في معارف الإمامة وكما يلي:

«بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يَنْزِلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[2].

إذن، فالآثار الوجودية للإمام لا تقتصر على ظهوره فحسب، وإنّما وجوده في هذا العالم —حتى في فترة غيبته واستتاره- عبارة عن معين لا ينضب لحياة كل الموجودات والخلائق الإلهية. هذه هي إرادة الله أن يكون الإمام بوصفه الموجود الأرقى والأكمل واسطة تلقّي الفيض والعطايا الإلهية وإيصالها إلى سائر الظواهر، وفي هذا المجال، لا فرق بين غيبته وظهوره. نعم، الجميع ينهل من بركات وآثار وجود الإمام، وغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا تحدث أيّ خلل في هذه المسألة. والجدير بالذكر أنّه عندما يُسأل الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عن كيفية الانتفاع منه في عصر الغيبة يردّ قائلاً:

---

١. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، كتاب الحجّة، باب «إنّ الأرض لا تخلو من حجّة»، ح ١٠، ص ١٧٩.

٢. *مفاتيح الجنان*، الشيخ عباس القمي، زيارة الجامعة الكبيرة. مع التوضيح بأنّ هذه الزيارة مروية عن الإمام الهادي عليه السلام وهي من حيث المتن والعبارات راقية وكانت موضع اهتمام علماء الشيعة على مرّ العصور.

«وَاَمّا وَجهُ الاِنتِفاعِ بي في غَيبَتي فَكَالاِنتِفاع بِالشَّمسِ اِذا غَيّبَتْها عَنِ الاَبصارِ السَّحابُ»[١].

هنا تشبيه الإمام بالشمس، وغيبته باحتجاب الشمس وراء السحاب، ينطوي على مفاهيم كثيرة نشير هنا إلى بعضٍ منها:

الشمس في المنظومة الشمسية تمثّل المحور والكواكب السيارة تدور مدارها؛ وكذلك الوجود المقدس للإمام صاحب الزمان عليه السلام الذي يعتبر محور نظام الوجود.

«بِبَقائِهِ بَقِيتِ الدُّنيا وَبِيمْنِهِ رُزِقَ الْوَرى وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الأَرضُ وَالسَّماء»[٢].

لا تتوقّف الشمس ولا لحظة واحدة عن الإشعاع، وكل شخص يستضيء بنورها بمقدار تعرّضه لها؛ وهكذا هو وجود الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف واسطة تلقّي كل النعم المادية والمعنوية التي ينعم الله بها على عباده؛ ولكن كلٌّ ينهل من مصدر الكمال بمقدار اتصاله به.

وحتى لو لم تحتجب الشمس خلف السحاب، فإنّ شدّة البرد والظلمة تجعل من الأرض غير قابلة للسكن؛ كذلك الحال مع العالم إذا حُرم من وجود الإمام ـ حتى وإن كان محتجباً وراء سُدف الغيب ـ، فإنّ المصاعب والشدائد وهجمة أنواع البلايا والكوارث ستجعل من مواصلة الحياة مستحيلة.

ففي رسالته إلى الشيخ المفيد رحمه الله يقول الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف موجّهاً خطابه إلى الشيعة:

«اِنّا غَيرُ مُهْمِلينَ لِمُراعاتِكُمْ، وَلا ناسينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلا ذلِكَ لنَزَلَ بِكُمُ اللاّواءَ وَاصْطَلَمَكُمُ الأعداء»[٣].

إذن، فشمس الإمام تضيء على العالم وتشّع على الوجود برمّته، وتفيض ببركات وخيرات أعظم على البشرية ولا سيّما الأمة الإسلامية وبالأخص المجتمع الشيعي والمؤمنين به، وإليك بعض الأمثلة:

إشاعة الأمل

الأمل من ذخائر الحياة المهمة، وهو جوهر الحياة وسرّ النشاط والدينامية. ووجود إمام في هذا

---

١. *الاحتجاج*، الطبرسي، ج ٢، الرقم ٣٤٤، ص ٥٤٢.
٢. *مفاتيح الجنان*، الشيخ عباس القمي، دعاء العديلة.
٣. *الاحتجاج*، الطبرسي، ج ٢، الرقم ٣٥٩، ص ٥٩٨.

العالم، يوقد جذوة الأمل في النفوس بمستقبل مشرق ملؤه الحماس والشوق. لقد ابتلي الشيعة على مرّ تاريخهم الذي امتدّ عبر ألف وأربعمئة سنة بأنواع البلايا والمحن، وكان الأمل بمستقبل أخضر للمؤمنين بالدين هو القوة الكبرى والظهير المنيع الذي شجّعهم على الصمود وعدم الاستسلام، والاندفاع والجهاد؛ مستقبل خالٍ من الخيال والأساطير، مستقبل قريب، وربما أقرب ممّا نتصوّر، لأنّ الذي عليه قيادة هذه الثورة حيّ يُرزق، وهو في كل لحظة على أهبة الاستعداد، وعلينا أنا وأنت ونحن أن نكون على أهبة الاستعداد.

ثبات الدين

كل مجتمع بحاجة إلى قائد واعٍ يحافظ على تشكيلاته، ويواصل طريقه وصولاً إلى الهدف المنشود، ليتسنّى للمجتمع تحت إشرافه وقيادته أن يمضي في المسار الصحيح. إنّ وجود القائد بمثابة سند عظيم للأفراد، يتيح ضمن تشكيلة منظمة المحافظة على المنجزات السابقة، وشدّ العزم على تعزيز الخطط المستقبلية. القائد الحيّ والفعال، لا يتوانى عن رسم الخطوط الرئيسية وتقديم الحلول العامة الكلية حتى وإن لم يكن في وسط مجتمعه وناسه، ويرسل إشارات التحذيرات عبر وسائط متعددة حول السبل الانحرافية.

صحيح أنّ الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائب، إلّا أنّ وجوده يشكّل عاملاً مهمّاً في صيانة المدرسة الشيعية. فهو من خلال إحاطته التامة بمؤامرات الأعداء يذود بمختلف الأساليب عن الثغور الفكرية للشيعة، وكلما حاول العدو الماكر بمختلف الأساليب والحيل أن يتعرّض لأصول المذهب ويستهدف معتقدات الناس، سدّ عليه الإمام المنافذ عبر هدايته العلماء والصفوة وإرشادهم.

ولا بأس هنا أن نستشهد بمثال من اهتمام الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف وعنايته بشيعة البحرين على لسان العلامة المجلسي[1]:

> قال: أخبرني بعض من أثق به يرويه عمن يثق به، ويطريه أنّه قال: لمّا كان بلدة البحرين تحت ولاة الأفرنج، جعلوا واليها رجلاً من المسلمين، ليكون أدعى إلى تعميرها، وأصلح بحال

---

١. أحد مشاهير علماء الشيعة في العصر الصفوي، وصنّف كتباً كثيرة أشهرها على الإطلاق كتاب ***بحار الأنوار***. وهو عبارة عن موسوعة تضمّ مجموعة من روايات وأقوال أهل البيت عليهم السلام انتظمت ١١٠ أجزاء. توفي في عام ١١١١ ه.

أهلها، وكان هذا الوالي من النواصب، وله وزير أشدّ نصباً منه، يظهر العداوة لأهل البحرين، لحبهم لأهل البيت عليهم السلام، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكل حيلة. فلما كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وبيده رمانة فأعطاها الوالي، فإذا كان مكتوباً عليها «لا إله إلّا الله محمد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله»، فتأمل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجّب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بيّنة، وحجّة قوية على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين. فقال له: أصلحك الله، إنّ هؤلاء جماعة متعصبون، ينكرون البراهين، وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه الرمانة، فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا، كان لك الثواب الجزيل بذلك، وإن أبوا إلّا المقام على ضلالتهم فخيّرهم بين ثلاث: إمّا أن يؤدّوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البيّنة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم وتسبي نساءهم وأولادهم، وتأخذ بالغنيمة أموالهم. فاستحسن الوالي رأيه، وأرسل إلى العلماء والأفاضل الأخيار، والنجباء والسادة الأبرار، من أهل البحرين وأحضرهم وأراهم الرمانة، وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شاف: من القتل والأسر وأخذ الأموال أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفار، فتحيّروا في أمرها، ولم يقدروا على جواب، وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائصهم. فقال كبراؤهم: أمهلنا أيّها الأمير ثلاثة أيام لعلنا نأتيك بجواب ترتضيه، وإلّا فاحكم فينا ما شئت، فأمهلهم، فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين. فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرأي في ذلك، فاتفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهادهم عشرة، ففعلوا، ثم اختاروا من العشرة ثلاثة فقالوا لأحدهم: اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها، واستغث بإمام زماننا، وحجة الله علينا، لعله يبيّن لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء. فخرج وبات طول ليلته متعبداً خاشعاً داعياً باكياً يدعو الله، ويستغيث بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى أصبح ولم ير شيئاً، فأتاهم وأخبرهم فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم، فرجع كصاحبه، ولم يأتهم بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم. فأحضروا الثالث وكان تقيّاً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى، فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسر الرأس إلى الصحراء وكانت ليلة مظلمة فدعا وبكى، وتوسّل إلى الله تعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين وكشف هذه البلية عنهم، واستغاث بصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. فلما كان آخر الليل، إذا هو برجل يخاطبه ويقول: «**يا محمد بن عيسى، مالي أراك على هذه الحالة، ولماذا خرجت إلى هذه البرية؟**»، فقال له: أيّها الرجل، دعني فإنّي خرجتُ لأمر عظيم وخطب

جسيم، لات أذكره إلّا لإمامي ولا أشكوه إلّا إلى من يقدر على كشفه عنّي. فقال: «**يا محمد بن عيسى! أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك**»، فقال: إن كنت هو فأنت تعلم قصتي لا تحتاج إلى أن أشرحها لك، فقال له: «**نعم، خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة، وما كتب عليها وما أوعدكم الأمير به**»، قال: فلما سمعتُ ذلك توجّهت إليه وقلت له: نعم يا مولاي. قد تعلم ما أصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عنّا. فقال صلوات الله عليه: «**يا محمد بن عيسى، إنّ الوزير** لعنه الله في داره شجرة رمان فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة، وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة، ثم وضعهما على الرمانة، وشدّهما عليها وهي صغيرة، فأثّر فيها، وصارت هكذا. فإذا مضيتم غداً إلى الوالي، فقل له: جئتك بالجواب، ولكني لا أبديه إلّا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك، ترى فيها غرفة، فقل للوالي: لا أجيبك إلّا في تلك الغرفة، وسيأبى الوزير عن ذلك، وأنت بالغ في ذلك، ولا ترض إلّا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه، ولا تتركه وحده يتقدّم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض، فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة، ثمّ ضعها أمام الوالي وضع الرمانة فيها لينكشف له جلية الحال. وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي: إنّ لنا معجزة أخرى وهي أنّ هذه الرمانة ليس فيها إلّا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها، طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته**». فلما سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام، فرح فرحاً شديداً وقبّل بين يدي الإمام صلوات الله عليه، وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور. فلمّا أصبحوا مضوا إلى الوالي ففعل محمد بن عيسى كل ما أمره الإمام وظهر كل ما أخبره، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذا؟ فقال: إمام زماننا، وحجة الله علينا، فقال: ومن إمامكم؟ فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى إلى صاحب الأمر صلوات الله عليهم، فقال الوالي: مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ الخليفة بعده بلا فصل أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم أقرّ بالأئمة إلى آخرهم عليهم السلام، وحسن إيمانه، وأمر بقتل الوزير واعتذر إلى أهل البحرين وأحسن إليهم وأكرمهم[١].

تهذيب النفس

يقول القرآن الكريم:

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ١٧٨.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

جاء في الروايات أنّ المراد بـ «المؤمنون» في الآية الكريمة هم الأئمة المعصومون عليهم السلام[٢]، وهذا يعني أنّ أعمال الناس تُعرض على الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنّه يراقب من وراء ستار الغيبة أعمالنا. فهو القائل:

«فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم[٣]».

طبعاً لهذه الحقيقة أثر تربوي عظيم، فهي تدفع الشيعة لتقويم سلوكهم وإصلاحه، فيرعوا بين يدي حجة الله وإمام الفضائل، ويرتدعوا عن تلطيخ صحيفة أعمالهم بالموبقات والمعاصي. ومن البديهي، أنّه كلما زاد توجّه الإنسان نحو ساحة قدس الإمام، معدن الصفاء والنقاء، زادت مرآة القلب والروح صفاءً وشفافية، وفاض هذا الصفاء والشفافية والنقاء عن اللسان والجوارح قولاً وسلوكاً.

الملجأ العلمي والفكري

الأئمة المعصومون عليهم السلام معلّمو المجتمع ومربّوه الحقيقيون، وما فتأ الناس يغرفون من زلال معارفهم الأصيلة. إنّنا في عصر الغيبة وإن كنّا قاصرين عن الانتفاع المباشر والشامل من الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف حضورياً، إلّا أنّ هذا لا يمنع أن يمدّ هذا الإمام، معدن العلوم الإلهية، يد الخير والبركة لنا ليحلل عقدةً من مشاكل شيعته العلمية والفكرية بمختلف الوسائل والطرق. فقد أجاب عجل الله تعالى فرجه الشريف في مرحلة الغيبة الصغرى عن الكثير من أسئلة شيعته من الناس والعلماء، من خلال تواقيعه الشريفة الشهيرة[٤].

فقد كتب إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف جواباً على رسالة إسحاق بن يعقوب وأسئلته:

«أمّا سألت عنه أرشدك الله وثبّتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس منّي، وسبيله سبيل ابن نوح... وأمّا أموالكم فلا نقبلها إلّا لتطهّروا. فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع فما آتاني الله خيرٌ ممّا آتاكم... وأمّا ما

---

١. سورة التوبة: الآية ١٠٥.

٢. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، كتاب الحجّة، باب عرض الأعمال، ح ٢، ص ٢١٩.

٣. ***الاحتجاج***، الطبرسي، ج ٢، الرقم ٣٥٩، ص ٥٩٨.

٤. انظر: ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٥، ص ٢٣٥ - ٢٨٦.

وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر... وأمّا المتلبّسون بأموالنا فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران... وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.

فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم. والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى!»[١].

وحتى بعد الغيبة الصغرى للإمام أيضاً، كان علماء الشيعة يرفعون ما يستعصي عليهم من مسائل علمية وفكرية إلى ساحة قدس الإمام ويتلقّون الأجوبة منه. يقول السيد الفاضل مير علاّم أحد تلامذة الشيخ مقدّس أردبيلي[٢]:

كنت في بعض الليالي في صحن الروضة المقدسة بالغري على مشرّفها السلام، وقد ذهب كثير من الليل، فبينا أنا أجول فيها، إذ رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضة المقدسة، فأقبلت إليه، فلما قربت منه عرفت أنّه أستاذنا الفاضل العالم التقي الذكي مولانا أحمد الأردبيلي قدس الله روحه. فأخفيت نفسي عنه، حتى أتى الباب، وكان مغلقاً، فانفتح له عند وصوله إليه، ودخل الروضة، فسمعته يكلم كأنّه يناجي أحداً ثم خرج، وأغلق، الباب فمشيت خلفه حتى خرج من الغري وتوجه نحو مسجد الكوفة. فكنت خلفه بحيث لا يراني حتى دخل المسجد، وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين صلوات الله عليه عنده، ومكث طويلاً ثمّ رجع وخرج من المسجد، وأقبل نحو الغري. فكنت خلفه حتى قرب من الحنانة، فأخذني سعال لم أقدر على دفعه، فالتفت إليّ فعرفني، وقال: أنت مير علّام؟ قلت: نعم، قال: ما تصنع ههنا؟ قلت: كنت معك حيث دخلت الروضة المقدسة إلى الآن، واقسم عليك بحق صاحب القبر أن تخبرني بما جرى عليك في تلك الليلة، من البداية إلى النهاية. فقال: أخبرك على أن لا تخبر به أحداً ما دمت حيّاً، فلما توثّق ذلك منّي قال: كنت أفكّر في بعض المسائل وقد أغلقت عليّ، فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين عليه السلام وأسأله عن ذلك، فلما وصلتُ إلى الباب فتح لي بغير مفتاح كما رأيت، فدخلت الروضة وتضرّعتُ إلى الله تعالى في أن يجيبني مولاي عن ذلك، فسمعت

---

١. ***المصدر نفسه***، ح ٤، ص ٢٣٧.

٢. من كبار علماء الشيعة في القرن العاشر الهجري، وكان قدوة يُحتذى في الورع والفضائل الأخلاقية. وطبقاً لما نقله العلامة المجلسي فقد تشرّف بلقاء الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف عدّة مرات، وترك اثاراً نفيسة وقيّمة مثل ***حدائق الشيعة***. مزاره في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

صوتاً من القبر: أن ائت مسجد الكوفة وسل عن القائم عليه السلام، فإنّه إمام زمانك، فأتيت عند المحراب، وسألته عنها وأجبت وها أنا أرجع إلى بيتي[١].

الهداية الباطنية والنفوذ الروحاني

مسؤولية الإمام وحجة الله قيادة الناس وهدايتهم، وأن يرشد من أعدّ نفسه لتلقّي نور الهداية علي يديه. وتنفيذ هذه المهمة الإلهية يتطلّب أحياناً أن يرتبط بالأشخاص علناً وجهاراً، فيهديهم إلى طريق السعادة والفلاح بكلامه وعمله الباعث على الحياة، وفي أحيان أخرى، يترك تأثيره في أعماق القلوب بالاستعانة بقدرة ولايته المستمدة من القوة الغيبية الإلهية. وفي هذا الجزء، ما من حاجة للظهور الظاهري للإمام والارتباط المباشر معه؛ وإنّما يحصل ذلك عبر الطرق الباطنية والارتباطات القلبية. للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلام نوراني في شرح هذا الجزء من النشاطات:

«اللهم إنّه لا بد لأرضك من حجّة لك على خلقك، يهديهم إلى دينك، ويعلّمهم علمك، لئلا تبطل حجتك، ولا يضلّ أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم، إمّا ظاهر ليس بالمطاع، وإمّا مكتتم ومترقّب، فإن غاب عن الناس شخصه في حال هدنتم، فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين منبثّة، فهم بها عاملون»[٢].

وعن طريق هذه الهداية سوف يتمكّن الإمام الغائب من إعداد القوة البشرية للخروج والثورة العالمية. فالذين يمتلكون الجدارة والمؤهلات المطلوبة، سوف يتلقّون تربية خاصة من لدن الإمام، استعداداً للانخراط في ركابه، وهذه واحدة من برامج الإمام الغائب والتي سوف تتحقّق ببركة وجوده الشريف.

الأمان من البلايا

لا ريب في أنّ الأمن أهم رأسمال في الحياة. فوقوع الحوادث المختلفة في العالم غالباً ما يعرّض الحياة الطبيعية للخلائق لخطر الإبادة. فلا يتسنّى السيطرة على الآفات والبلايا إلّا عبر الوسائل المادية؛ ولكن للعوامل المعنوية أيضاً تأثير كبير. فقد وردت في روايات أئمتنا المعصومين عليهم السلام بأنّ وجود الإمام والحجّة الإلهية في منظومة الكون هو بمثابة عامل أمان للأرض ولأهلها.

فقد قال الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ١٧٤.

٢. *إثبات الهداة*، الحرّ العاملي، ج ٣، ح ١١٢، ص ٤٦٣.

«وَ إِنّي لأَمانٌ لِأَهْلِ الأَرْضِ...»[١].

وجود الإمام يحول دون ابتلاء الناس بالعذاب الإلهي الأليم، وإنهاء الحياة على الأرض وأهلها بسبب ارتكابهم لأنواع المعاصي والمفاسد.

يخاطب الله تبارك وتعالى رسوله الأكرم ﷺ في القرآن الكريم قائلاً:

﴿وَما كانَ اللّهُ لِيعذبهم وأنْتَ فِيهِم...﴾[٢].

والإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، مجلى رحمة الله ورأفته، أيضاً يدفع بعنايته ولطفه المصائب الجسام، وبخاصة عن المجتمع الشيعي فرداً فرداً؛ وإن كان الشيعة في كثير من الأحيان يغفلون عن هذا اللطف والكرم، ولا يعرفون اليد الكريمة التي تمسح على رؤوسهم تحنّناً وعطفاً.

قال هذا الإمام الرؤوف عن نفسه:

«أَنَا خاتِمُ الأَوْصِياءِ وَ بي يدْفَعُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْبَلاءَ مِنْ اَهْلي وَ شِيعَتِي»[٣].

إغاثة الشيعة والناس

موعود العالم العظيم وقبلة آمال المسلمين وحبيب قلوب الشيعة لا يغفل لحظة واحدة عن رعاية الناس وتفقّد أحوالهم، وغيبة هذا الإمام الرؤوف، شمس الحب والحنان، لا تحول دون أن يضيء بنوره الوهّاج على الأرواح المُحبّة الوالهة ليشيع فيها الحياة والنشاط، ويستضيفها على خِوان كرمه ونبله. وما فتأ إمامنا، قمر المحبة والشفقة، يغتمّ لآلام الشيعة ويأخذ بيد السائلين على بابه. فتارةً يحضر عند فراش المرض ليمسح بيده الشافية على جبين السقيم، لتكون بلسماً لآلامه وجراحه، وتارةً أخرى ينظر بعين العطف والرأفة إلى التائهين في القفار والبراري، والمنهكين في وادي الوحدة والغربة ليرشدهم ويكون معينهم ورفيق دربهم. فتجده في لحظات اليأس الباردة، يُدخل دفء الأمل في القلوب المنتظرة، والأمثلة كثيرة.

الانتفاع من دعائه واستغفاره عجل الله تعالى فرجه الشريف

إحدى بركات وجود الإمام الغائب دعائه في حقّ المؤمنين، لا سيّما شيعته، لينعموا بالسعادة

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٥، ح ٤، ص ٢٣٩.

٢. سورة الأنفال: الآية ٣٣.

٣. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٣، ح ١٢، ص ١٧١.

والطمأنينة، وكذلك طلب المغفرة والتوبة لهم.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنّي لأدعو الله لمذنبي شيعتنا في اليوم و الليلة ألف مرّة»[١].

ويقول الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعائه:

«إلهي بحقّ من ناجاك، و بحقّ من دعاك في البر و البحر، صلّ على محمد و آله، و تفضّل على فقراء المؤمنين و المؤمنات بالغنى و السعة...»[٢].

هذا الدعاء النوراني المؤثّر مدعاة لإدخال الطمأنينة على قلوب الشيعة والوالهين بالإمام، وإنقاذهم من اليأس والقنوط. إنّ الشيعي الذي يُسرّ لدعاء قائده وإمامه، ليستحيي أن يوجع قلب والده الحنون مرة ثانية بالعودة إلى ارتكاب المعاصي والذنوب، فتراه يسعى بكل السبل لأن يكون بلسماً لنفس الإمام المكلومة وناصراً صدّيقاً لذلك العزيز.

يُستدلّ من الروايات والمصادر المتوفرة بأنّ الشيعة مشمولون دوماً بنعمة دعاء الإمام لهم ولطفه، ولطالما نزلت شآبيب رحمة دعائه في كل الأحوال على صحراء نفوسهم اللاهبة فصيّرتها عامرة بالحياة والاخضرار.

إنّ أعظم آمال الإمام وأمنياته انفراج الأمور بالنسبة لشيعته وجميع مضطهدي العالم، فيدعو ربّه بهذا الدعاء:

«يا نُورَ النُّورِ يا مُدَبِّرَ الأُمُورِ، يا باعِثَ مَنْ فِي القُبُورِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاجْعَلْ لي وَلِشيعَتي مِنَ الضّيقِ فَرَجاً، وَمِنَ الْهَمِّ مَخْرجاً، وَاَوْسِعْ لَنَا المَنْهَجَ، وَاطلق لَنا مِنْ عِنْدِكَ ما يفَرّجُ، وَافْعَلْ بِنا ما اَنْتَ اَهْلُهُ يا كَريم»[٣].

يتبيّن ممّا تقدّم ذكره أنّ أحد آثار وجود الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف -وإن كان غائباً- هو إمكان الارتباط به، وأولئك الذين حظوا بهذا الشرف قد ذاقوا حلاوة صحبته، ومناجاة هذا الصاحب الذي لا نظير له.

---

١. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، باب مولد أبي عبد الله، جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ح ١، ص ٤٧٢.
٢. *منتخب الأثر*، لطف الله الصافي الكلبايكاني، فصل ١٠، باب ٧، العدد ٦، ص ٦٥٨.
٣. *المصدر نفسه*.

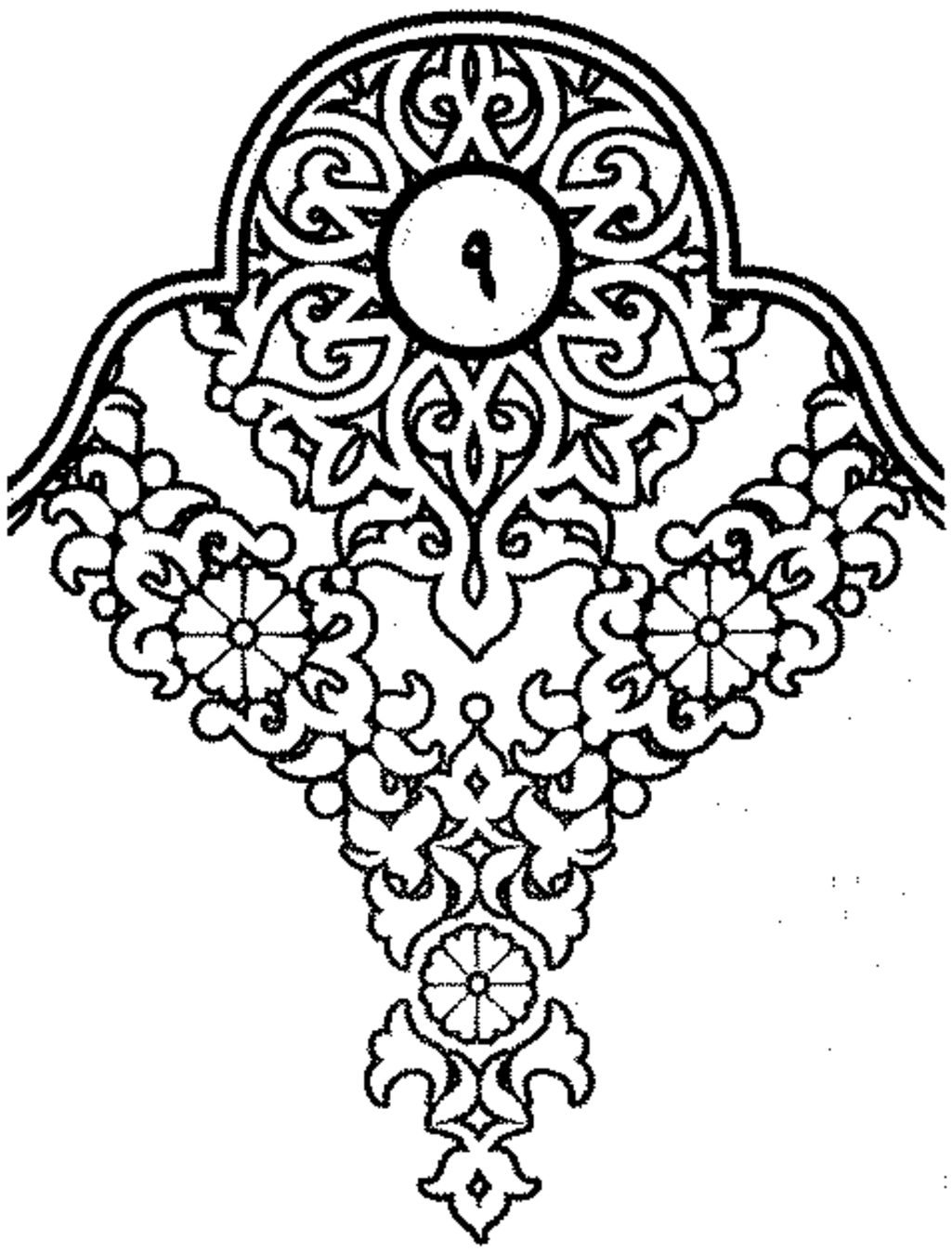

الانتظار

«انتظار الفرج» لغةً واصطلاحاً

«الانتظار»، في اللغة يعني الترقّب؛ أمّا في الاصطلاح فيعني ترقّب ظهور آخر ذخائر الله والتهيّؤ لنصرته لإقامة حكومة العدل والقسط في أرجاء المعمورة.

بعبارة أخرى، الانتظار كيفية نفسانية، ينبعث منها التهيّؤ لما تنتظره، وضدّه اليأس، فكلما كان الانتظار أشدّ، كان التهيّؤ آكد، ألا ترى أنّه إذا كان لك مسافر تتوقّع قدومه، ازداد تهيّؤك لقدومه كلّما قرب حينه[1].

«الفَرَج» بمعنى «الانفراج والانفتاح». وانتظار الفرج نابع من الفطرة الإنسانية لطلب الكمال،

---

١. انظر: ***مكيال المكارم***، محمد تقي الموسوي الأصفهاني،ترجمة: مهدي الحائري القزويني، ج ٢، ص ٢٣٥.

بالإضافة إلى عوامل أخرى يمكن أن تكون وراء الانتظار.

وعن مسألة الانتظار قال أحد المفكرين المعاصرين بأنّه يحلو للبعض أن يصف الانتظار كحالة نفسية ناجمة عن الحرمان في الأوساط المحرومة من المجتمع والتاريخ، وحالة هروب من الواقع المثقل بالأعباء والمشاقّ نحو حلم بمستقبل يستعيد فيه المحرومون جميع حقوقهم المسلوبة وإعادة الاعتبار لسيادتهم، وقد كتب في هذا الصدد قائلاً: «هذا التصوّر نوع من اجترار الأوهام أو الفرار من ربقة الواقع إلى أحضان الخيال»[١].

وعلى عكس تصوّر البعض من أنّ العقيدة المهدوية هي من بنات أفكار الشيعة ومخيالهم، فإنّ هذه العقيدة لا تنحصر في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإنّما تشكّل جزءاً مهماً من العقائد الإسلامية، وواحدة من أهم القضايا المهمة والأصيلة في الأصول الإسلامية، والتي تبلورت في أوساط جميع الفرق والمذاهب الإسلامية بالاستناد إلى بشارات القرآن الكريم وتعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فكما أنّ المصادر الشيعية تحتوي على الروايات الخاصة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّها قد وردت أيضاً في الكثير من أمهات المصادر السنية[٢].

وبناءً عليه، فإنّ الاعتقاد بالنصر النهائي لجبهة الحق والسلام والعدل على جبهة الباطل الجاحدة المستبدة، والانتشار العالمي للإيمان الإسلامي، والاستقرار التام والشامل للقيم الإنسانية، وتأسيس اليوطوبيا (المدينة الفاضلة) والمجتمع المثالي، وأخيراً تطبيق العقيدة العامة على يد رجل جليل القدر عُرف في الروايات الإسلامي باسم «المهدي»، أقول إنّ كل هذا يستلهم من نمير الوحي الصافي؛ من هنا، فإنّ فكرة انتظار ذلك العصر متضمَّنة في معتقدات أتباع جميع الأديان السماوية، علاوة على أنّها تحظى بأهمية خاصة.

موقع الانتظار في الثقافة الشيعية

من خلال مطالعة سريعة يمكن أن نصنّف الروايات التي تتحدّث عن موضوع الانتظار إلى قسمين رئيسيين:

---

١. الآصفي، محمّد مهدي، مجلة *انتظار* الفصلية، العدد ٦.

٢. انظر: *الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة*، محمد أمير الناصري.

١. انتظار الفرج بالمعنى العامّ

ونعني به إنّ التعاليم الدينية علاوة على سعيها لبيان فضيلة «الفرج العام» والأمل بالمستقبل ودفع البشر نحو هذا الميدان، فإنّها تعمل على ذمّ اليأس والقنوط ومنع المجتمعات البشرية من رمي نفسها في هذا المستنقع.

إنّ عناية التعاليم الإسلامية بشرح المعنى العام للانتظار والأمل بلغ حدّاً بحيث كان يُذكر بأطول العناوين، ونسبة قيم فريدة له، من هذه العناوين المنسوبة إليه.

١ـ١. العبادة والعبودية

يعلّمنا القرآن وأهل البيت عليهم السلام، بأنّ الهدف من الخلق هو عبادة الله تعالى[١].

أشار نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى انتظار الفرج باعتباره أحد النماذج الرائعة على هذه العبودية، يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«اِنتِظارُ الفَرَجِ عِبادَةٌ»[٢].

ومن حيث أنّ معظم العبادات تندرج ضمن السلوك الإنساني، لذا يمكن أن نستنبط بأنّ المقصود بالانتظار هنا أيضاً هو مجموعة السلوكيات الخاصة.

١ـ٢. أفضل العبادات

بعض العبادات يفضل على البعض الآخر؛ وبالتالي فإنّ هذه العبادات عدا عن كونها موضع تأكيد في التعاليم الدينية، فإنّ ثوابها أعظم، ودورها في بناء حياة الإنسان أكبر.

بعد أن أدخله في زمرة عبادات الله، وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتظار الفرج بأنّه من أفضل العبادات، حيث قال:

«أَفضَلُ العِبادَةِ اِنتِظارُ الفَرَجِ»[٣].

١ـ٣. أفضل الأعمال

أحياناً يوصف انتظار الفرج بأنّه أفضل أعمال أمة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١. سورة الذاريات: الآية ٥٦.

٢. ***كشف الغمّة في معرفة الأئمة***، الإربلي، ج ٢، ص ١٠١؛ ***الأمالي***، الشيخ الطوسي، ص ٤٠٥.

٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٨٧؛ انظر: ***سنن الترمذي***، الترمذي، ج ٥، ص ٥٦٥.

قال رسول الله ﷺ في هذا الصدد:

«اَفْضَلُ اَعْمالِ اُمَّتِي اِنتظارُ الفَرَجِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[١].

١ـ٤. الفرج في الفرج

في العصر الراهن، ثبت من منظار علم النفس أنّ الأمل يلعب دوراً مهماً وعظيماً في السلوكيات الاجتماعية. أو بعبارة أخرى، إنّ انتظار مستقبل واضح ومشرق يضفي على حياة الإنسان الراهنة إشراقاً وديناميكية وحيوية.

وقد وردت هذه الحقيقة المهمة في بعض الروايات التي تتحدّث عن انتظار الفرج، حيث قالت بأنّ انتظار الفرج هو في حدّ ذاته نوع من الفرج والانفتاح.

فقد قال الإمام السجّاد عليه السلام عن ذلك:

«اِنتِظارُ الفَرَجِ مِنْ اَعظَمِ الفَرَجِ»[٢].

١ـ٥. أفضل الجهاد

دأبت تعاليمنا الدينية على وصف الجهاد والسعي في سبيل الله بأنّه أحد أهم السلوكيات الشخصية والجماعية عند المسلمين. وأشارت آيات عديدة في القرآن، وكذلك الكثير من روايات المعصومين عليهم السلام إلى حقيقة هذا السلوك المهم.

وبالنسبة لأهمية انتظار الفرج – علاوة على ما تمّت الإشارة إليه – تواجهنا روايات جدّ عجيبة تصف الانتظار بأنّه «جهاد» لا بل من «أعظم الجهاد». يستفاد من هذا النمط من الروايات بأنّ الانتظار في حدّ ذاته نوعاً من العمل.

وصف النبي الأكرم ﷺ انتظار الفرج قائلاً:

«اَفْضَلُ جِهادِ اُمَّتي اِنْتِظارُ الفَرَجِ»[٣].

في مقابل التعاليم المذكورة أعلاه، ورد ذمّ شديد لليأس والقنوط من رحمة الله، وعُدّ من

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٦؛ ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٦٤٤

٢. ***الاحتجاج***، الطبرسي، أحمد بن علي، ج ٢، ص ٣١٧؛ ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣١٩.

٣. ***تحف العقول***، حسن بن علي الحرّاني، ص ٣٧.

الكبائر[١].

٢. انتظار الفرج بالمعنى الخاص

في هذا المعنى، فإنّ الفرج هو انتظار مستقبل يتعلّق بجميع خصوصيات المجتمع، مستقبل يتّسم برضا الله، والتجسيد الوحيد له هو عصر حاكمية آخر ذخائر الله، الوجود المقدس لإمامنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بعض كلام المعصومين عليهم السلام في هذا المعنى للانتظار جاء كما يلي:

في استعراضه لعدد من الأمور وصف الإمام الباقر عليه السلام الدين المرضيّ عند الله بقوله:

«...وَالتَّسْلِيمُ لِاَمْرِنا وَالوَرَعُ وَالتَّواضُعُ وَاِنتِظارُ قائِمِنا...»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِالتَّسْليمِ وَالرَّدِّ اِلينا وَاِنْتظارِ اَمْرِنا وَامْرِكُمْ وَفَرَجِنا وَفَرَجِكُم»[٣].

يتبيّن لنا من روايات انتظار ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أنّ هذا الانتظار لا يقتصر على الوصول إلى المجتمع الموعود، وإنّما الانتظار نفسه يشكّل الموضوع، بمعنى آخر، إذا كان المؤمن يمارس انتظاراً حقيقياً، فلا فرق حينئذ أن يصل إلى ما ينتظره أم لا.

وفي هذا الصدد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: ما تقول في رجل مات على هذا الأمر منتظراً له؟ قال الإمام عليه السلام:

«هُوَ بِمَنزِلَةِ مَنْ كانَ مَعَ القائِمِ فِي فُسطاطِهِ». **ثُمَ سَكَتَ هَنيئةً، ثُمَ قالَ:** «هُوَ كَمَنْ كانَ مَعَ رَسُولِ الله»[٤].

أنواع الانتظار

هناك العديد من التفاسير والقراءات المختلفة التي تُطرح حول المعنى الحقيقي للانتظار على الرغم من كل هذا الوضوح والقطع. القسم الأعظم من هذه القراءات يتعلّق بفهم المفكرين

---

١. انظر: سورة يوسف: الآية ٨٧.

٢. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٢، ص ٢٣، ح ١٣.

٣. ***رجال الكشي***، محمد بن عمر الكشي، ص ١٣٨.

٤. ***المحاسن***، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١، ص ١٧٣؛ ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ١٢٥.

والعلماء، وهناك قسم آخر يتعلّق بقراءات بعض الشيعة لمسألة الانتظار.

ووسط هذا الجدل، هناك قراءتان رئيسيتان للانتظار هما:

١. الانتظار الصحيح والبنّاء

الانتظار البنّاء، الديناميكي والملتزم، هو الانتظار الحقيقي المعني به في الروايات، والذي وُصف بأنّه «أفضل العبادات» و«أفضل جهاد أمة النبي ﷺ».

يشرح المرحوم المظفر في مقال قصير وجامع معنى الانتظار على هذا النحو:

وممّا يجدر أن نذكره في هذا الصدد، ونذكّر أنفسنا به أنّه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل المسلم أبداً مكلّف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية وواجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكّن من ذلك، وبلغت إليه قدرته «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَ كُلُّكُمْ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]. فلا يجوز له التأخّر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي، والمبشّر الهادي، فإنّ هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجّل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم[2].

خلاصة الكلام: إنّ ثقافة الانتظار الحقيقية تقوم على ثلاثة أركان رئيسية:

أ. السخط أو عدم الرضا بالأوضاع القائمة؛

ب. الأمل بمستقبل أفضل؛

ج. الحركة والسعي للعبور من الوضع الراهن والوصول إلى الوضع المنشود.

٢. الانتظار الخاطئ والمدمّر

الانتظار المدمّر والمُشلّ والمعيق هو في الحقيقة نوع من «الإباحية» الذي ورد ذمّه على لسان أئمة الدين الذين نهوا أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام عنه.

يقول العلامة الشهيد مرتضى مطهري ﷺ في هذا الصدد:

---

١. ***صحيح مسلم***، مسلم بن حجاج القشيري، ج ٣، ص ٢٠؛ ***صحيح البخاري***، محمد بن إسماعيل البخاري، ج ٢، ص ١٨؛ ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٧٢، ص ٣٨.

٢. ***عقائد الإمامية***، محمّد رضا المظفر، ص ١١٨.

[هذا النمط من الانتظار هو نتيجة] رؤية سطحية للناس عن المهدوية ونهضة المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف تنطوي على طبيعة انفجارية؛ ناجمة فقط ولا غير عن نشر وإشاعة الظلم والاضطهاد والتمييز والقمع وسلب الحقوق والفساد.

نوع من الاستقرار الناتج عن الاضطراب، عندما يفتقد الحق والحقيقة للأنصار والأعوان، تصبح للباطل جولة، ويكون اللاعب الوحيد في الميدان، ولا قوة تحكم سوى قوة الباطل، ويتعسّر العثور على فرد صالح في هذا العالم، فيحدث هذا الانفجار، وحينئذ تخرج يد الغيب من الأكمام لإنقاذ الحقيقة – لا أصحاب الحقيقة، لأنّها بلا أعوان-؛ وعليه، فإنّ أيّ إصلاح يكون مداناً؛ لأنّ أيّ إصلاح بمثابة نقطة مضيئة، ومادامت هناك نقطة مضيئة في الميدان الاجتماعي، فإنّ يد الغيب لا تظهر.

وعلى العكس، فإنّ كل خطيئة، وفساد، وظلم، وتمييز، وسلب الحقوق، وكل الموبقات – بحكم كون هذه الأشياء مقدمة للإصلاح الكلي، وتجعل من الانفجار وشيكاً ـ تصبح مسموحة؛ لأنّ [الهدف يشرعن الوسائل غير المشروعة]؛ إذن، أفضل دفع صوب التعجيل بالظهور وأحسن أنواع الانتظار، هو نشر الفساد وإشاعته ... .

هذا النوع من الرؤى إزاء الظهور وثورة المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وهذا النوع من انتظار الفرج الذي يعمل بنحوٍ أو بآخر على تعطيل الحدود والأحكام الإسلامية، ويؤدّي إلى نوع من «الإباحية»، لا ينطبق بأيّ وجه من الوجوه مع الموازين الإسلامية والقرآنية.

لذا، لا يسع المنتظر الحقيقي أبداً أن يقف موقف المتفرّج إزاء هذا الأمر المهم، بل ينبغي له من الآن أن يحزم أمره ويصطف إلى جانب أعوان الإمام وأنصاره، لأنّ الإيمان بعواقب هذا التحوّل العظيم لا تسمح مطلقاً أن يصطف إلى جانب المعارضين، بيد أنّ الاصطفاف إلى جانب أعوان الإمام يفرض عليه «أفعالاً نقية» و«روحاً أنقى»، وأن يتحلّى بـ«الشجاعة» و«الوعي» اللازم.

البنى الرئيسية لظاهرة الانتظار

ذكرنا سابقاً أنّ ثمّة على الأقل ثلاثة مقومات تلعب دوراً أساسياً في بلورة الانتظار هي:

أ. عدم الرضا بالوضع الراهن

لا ريب أنّ الوضع الراهن الذي نعيشه في عصر الغيبة ينطوي على نواقص تثير سخط كل إنسان يتطلّع إلى بلوغ الكمال. هذه النواقص ناجمة، بصورة رئيسية، عن عدم الحضور الظاهري للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بحسب عقيدة الشيعة، فإنّ آخر الأئمة المعصومين عجل الله تعالى فرجه الشريف قد غاب عن الأنظار لأسباب خافية عنّا[١]. وهذا الغياب أدّى إلى حرمان المجتمع الإنساني من الفوائد الظاهرية لذلك الإمام المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف. والمنتظر الحقيقي هو الذي لا يتحمّل الوضع الراهن، ليس فقط لأنّه محروم شخصياً من الحضور الظاهري للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإنّما حرمان المجتمع الإنساني من نعمة هذا الحضور أيضاً يؤرّقه ويقضّ مضجعه. ويجد لزاماً عليه أن يعمل، بحسب استطاعته، على إزالة كل العوامل والأسباب التي أدّت إلى غياب الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ب. الأمل في الوصول إلى الوضع المنشود

إحدى النعم الكبرى التي وضعها الله تعالى في أعماق الإنسان هي طلب الكمال، بحيث أنّه يوجّه كل نشاطاته وأعماله صوب هذا الهدف.

ج. الحركة والسعي للعبور من الوضع الراهن والوصول إلى الوضع المنشود

يسعى الإنسان دائماً بفضل ما حباه الله من قدرات وإمكانات هائلة إلى التوجّه صوب الارتقاء والرشد المعنوي والفكري. فخلال فترة الانتظار يحثّ الخطى نحو عصر تتضافر فيه الظروف والشروط لتفعيل جميع قواه باتجاه الرشد والتعالي.

من ناحية ثانية، لا يوجد أدنى شك في أنّ غياب آخر الأئمة المعصومين عجل الله تعالى فرجه الشريف مدعاة لانسداد بعض سبل الكمال أمام الإنسان والمجتمع. أثناء مرحلة الانتظار، يشكّل الأمل بالوصول إلى وضع أفضل عاملاً أساسياً في دقّ ناقوس الخطر أمام الإنسان لئلا يصاب بحالة الجمود والركود، وحافزاً على السعي والمثابرة للوصول إلى الوضع المنشود الذي يحلم به. أمّا إذا كانت ثمّة أسباب تحول بينه وبين بلوغ هذا الهدف فإنّ الله تعالى سوف يجزيه جزاء الذين سيدركون هذا الوضع المثالي بسبب ما بذله من اهتمام وسعي.

وسيمرّ هذا الأمل، لا محالة، بمراحل عدّة، نستعرض بعضاً منها:

١. الوعي بعدم الحضور الظاهري للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

في الكثير من الحالات، قد يشعر الإنسان ببعض الاحتياجات في حياته، لكنّه مع ذلك لا يسعى أبداً إلى رفعها بسبب قلّة وعيه بهذه الاحتياجات، ولا يبذل أيّ مجهود في سبيل ذلك، بناءً عليه،

---

١. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٣٣٨، ح ٩؛ ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ١٦٦، ح ٦.

فالخطوة الأولى في مرحلة الانتظار تتمثّل في الوعي بأنّ حجّة الله متوارٍ خلف ستار الغيبة.

٢. الشعور بالحاجة إلى وجود الإمام الحاضر

قد يكون لدى البعض وعياً كافياً بغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذا العصر، لكنّه لم يرتقِ برؤيته تلك إلى مستوى أنّ المجتمع الإنساني بحاجة إلى مثل هذا القائد الإلهي. أو بعبارة أوضح، إنّه يحمل هذا الإحساس بغيبة الإمام لكنّه لم يشعر أبداً بحاجته إلى هذه الحجة الإلهية. فهو ربما يقول في نفسه أنّ الناس يعيشون حياتهم الخاصة، فأيّ حاجة بعد ذلك إلى الإمام المعصوم.

وعلى هذا النحو، بالضبط، لا يستطيع مثل هذا الشخص، أبداً، أن يخلق في أعماقه الأمل بظهور الإمام. وفي المقابل، من يشعر في داخله بإحساس عميق بالحاجة إلى حضور الإمام وظهوره، فإنّ روح الانتظار تتعاظم في أعماقه بنفس المقدار.

٣. اليقين بظهور الإمام الغائب

لا شك في أنّ الذين لا يوقنون بظهور الإمام الغائب، لن يكونوا من المنتظرين؛ وربما يكون الانتظار أمراً بلا معنى بالنسبة لهم. كما هو الحال مع مليارات البشر اليوم الذين يتابعون حياتهم دون أن يكونوا في انتظار حقيقي لمجيء مثل هذا الإنسان؛ لأنّهم لا يملكون إيماناً راسخاً بمجيئه.

في المقابل، كلما زاد وعي المؤمن وكان يقينه بظهور الإمام عليه السلام أكبر وأعمق، كان انتظاره له أكبر. ولكن إذا كان يساوره شك أو ترديد في أصل وقوع الظهور أو كان إيمانه بهذه العقيدة ضعيفاً وسطحياً، كان انتظاره على شاكلة إيمانه ضعيفاً وسطحياً وربما ينخفض إلى الصفر.

ومع الأخذ بعين الاعتبار هذه النقطة كان الأئمة المعصومون عليهم السلام دائماً يركّزون في أحاديثهم النورانية على مسألة تعزيز وتقوية الإيمان واليقين بظهور آخر حجج الله، ويتجنّبون كل ما يؤدّي إلى اليأس والقنوط.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم للحقّ منّا، وذلك حين يأذن الله (عزّ وجلّ) له، ومن تبعه نجا، ومن تخلّف عنه هلك، الله الله عباد الله فأتوه ولو حبواً على الثلج، فإنّه خليفة الله (عزّ وجلّ)»[1].

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٥٩؛ انظر: *كشف الغمة في معرفة الأئمة*، الأربلي، ج ٢، ص ٤٥٩.

٤. حبّ المؤمن لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

من يعتقد بظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام ويرى قرب وقوع ذلك، وبمقدار حبّه لظهور الموعود، يكون انتظاره عظيماً وكبيراً بنفس المقدار، وبعكسه، إذا لم يكترث له، يكون انتظاره ضعيفاً وهزيلاً. ولا ينشأ هذا الحب إلّا بعد أن تتكوّن في ذهن المؤمن صورة واضحة عن زمان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليس فقط أن لا يخاف من الظهور بل أن يعدّ اللحظات لوقوعه.

الأمر المؤسف هو أنّ الصورة المرسومة في الأذهان عن ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت دائماً مزيجاً من الإفراط والتفريط. فتارةً كانوا يصوّرون عصر حكومة الإمام بأنّها أصعب وأشدّ العصور، وأخرى يصوّرونها على أنّها فترة رفاهية وعيش رغد، لكن الأمر الأكيد أنّ كلتا الصورتين تركتا أضراراً على معتقدات المجتمع.

٥. الاعتقاد بقرب الظهور

صحيح أنّ الانتظار يتحقّق من خلال العوامل التي ذكرنا، إلّا أنّ الاعتقاد بقرب ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يمكن أن يزيد في شدّة الانتظار ويرفع من استعداد الفرد وجهوزيته.

إنّ الاعتقاد بقرب الظهور كفيل بزيادة التركيز والتوجّه نحو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أكثر فأكثر، والتقليل من شدّة سائر المشاكل الأخرى، وأن تصبّ سلوكيات الفرد كلّها باتجاه نيل مرضاة الإمام.

الآثار التربوية الفردية والاجتماعية للانتظار

إذا التزم الفرد حقّاً وصدقاً بجميع شروط الانتظار، وأدّى ما يستوجبه من مقتضيات، فسوف تترتّب على ذلك آثار تربوية جمّة نذكر منها:

١. زيادة الآمال الحقيقية

كما بيّنا في فقرة سابقة، فإنّ الإنسان بحاجة إلى أمل أو حافز قوي يساعده على مواصلة الحياة وتحمّل مصاعبها، ويتجلّى ذلك في ظاهرة تسمّى «الأمل بالمستقبل»؛ مستقبل أرقى وأجمل وأفضل بكثير من حاضره الذي يعيش؛ وتنطوي هذه القضية ـ وخاصة بالنسبة للشباب ـ على أهمية أكبر؛ لأنّ باستطاعتهم توجيه قدراتهم وطاقاتهم الخلاقة، وإضفاء معنى ومغزى عليها في ضوء شعار «الأمل بغدٍ أفضل».

نستنبط من الكلمات المضيئة للمعصومين عليهم السلام أنّ انتظار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، يؤدّي إلى

زيادة الأمل الحقيقي. وهذا الأمر ليس محرزاً لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فحسب وإنّما للآخرين أيضاً. أحد الكتّاب المعاصرين نقل قصة عن الأمل الذي تزرعه عقيدة الانتظار الحيوية، نرى أنّ نقلها هنا لا يخلو من فائدة:

في إحدى الحلقات الأسبوعية التي كانت تعقد بحضور أحد الأساتذة الفرنسيين المتخصصين في الدراسات الشيعية (هنري كوربان)، سُئل البروفسور الفرنسي: هل صحيح أنّه بعد انتهاء الحرب العالمية حصلت في أوروبا عودة ملموسة إلى المعنويات والدين؟، أجاب كوربان: يمارس الكاثوليك نشاطات كثيرة ولكن دون فائدة. لقد أصبحت المسيحية دين قديم وميّت، ولم يعد بمقدورها الإجابة عن أسئلة العصر وتلبية توقعات المستقبل. والدين الإسلامي على الرغم من كونه آخر نسخة للأديان إلّا أنّ أهل السنّة، الذين لم يتقدّموا خطوة إضافية عن عصر النبي، قد أغلقوا باب المعنوية والتهذيب بـ«الخاتمية»، ولم يعودوا يتطلّعون إلى المستقبل، وحدها الأقلية «الشيعية» التي تؤمن بعقيدة انتظار «الإمام الغائب» تترقّب مستقبل العالم بأمل، وتمتلك روحاً وقلباً نابضاً وحيّاً، وتتعاطى مع القضايا الفلسفية ومشاكل الحياة برؤية أخرى وبعقيدة مختلفة وأمل واعد. لا يمتلك الشيعة في جعبتهم وصفة معجزة للمستقبل فحسب، وإنّما ورثوا من ماضيهم تراثاً زاخراً بالفخر قابلاً للاستناد؛ لديهم الإمام علي عليه السلام الذي لم ينجب الدهرُ نظيراً له ولن ينجب[1].

٢. الديناميكية في الوصول إلى الهدف

حياة الإنسان تصبح مبرّرة وذات معنى عندما تظهر علامات الحركة والحياة والنشاط في جميع زواياها. وحين يكون ساخطاً على الوضع القائم، ويسعى إلى خلق ظروف أفضل، فإنّه يصبح في حالة انتظار.

يمكن ملاحظة هذا التأثير المهم بجلاء في جميع المجتمعات الشيعية، بما يميّزها بشكل واضح جداً عن سائر المجتمعات الأخرى.

٣. خلق الوحدة والتكاتف

ثمّة آثار اجتماعية عديدة للانتظار ـ بالإضافة إلى آثاره الفردية ـ من أهمها يمكن الإشارة إلى

---

١. *القديس*، شعبان علي لامعي، ص ٢٥٩.

الوحدة والانسجام والتآلف بين المنتظرين. هذا التآلف ناجم عن التركيز على هدف مشترك وهو ما نلمسه لمس اليد في النظرة المستقبلية لموضوع الانتظار.

لقد ثبت في العصر الراهن أنّ الأفراد الذين يسعون وراء هدف مشترك، ينهجون أسلوب عمل متشابه، بحيث أنّ الاتحاد والتضامن بينهم أكثر وضوحاً وعياناً قياساً بالمجتمعات الأخرى. لهذا نجد أنّ عقيدة المجتمع الشيعي المتمثلة في انتظار ظهور رجل من ذرية النبي الأكرم الطاهرة عجل الله تعالى فرجه الشريف أدّت إلى شيوع التآلف والتواشج بشكل كبير بين المؤمنين بهذه العقيدة المقدسة.

٤. الإحساس بالحضور

من الآثار الأخرى التي لا تقبل الشكّ بالنسبة للانتظار الحقيقي، إحساس الفرد بالحضور في محضر ذلك الإمام الغائب، والإحساس بحضوره في حياته. فالمنتظر الحقيقي يؤمن دائماً أنّ أعماله وتصرّفاته كلّها مرصودة من قبل الإمام الغائب، ولهذا الإحساس تأثير كبير في إصلاح سلوكه وتهذيبه. ولا يجرّ هذا الإحساس إلى إصلاح الفرد فحسب، بل إلى إصلاح المجتمع وسلامته الأخلاقية رويداً رويدا، وهذا في حدّ ذاته يلعب دوراً غاية في الأهمية لتهيئة الأرضية المناسبة للظهور.

إذن، فانتظار «المصلح العالمي» يعني، بالتأكيد، الاستعداد التام الفكري والأخلاقي والمادي والمعنوي لإصلاح العالم برمّته. وإصلاح جميع ما في الأرض، وإنهاء كل أنواع الظلم والخلل، أمراً ليس بالمزحة، ولا يمكن أن يكون بسيطاً. فالاستعداد لمثل هذا الهدف العظيم يجب أن يتناسب مع عظمة الحدث؛ أي، أن يكون بمثل سعته وعمقه. إضافة إلى ذلك، يقع على عاتق المنتظرين الحقيقيين واجب الاهتمام بعضهم ببعض، وأن يسعوا إلى إصلاح الآخرين، علاوة على إصلاح أنفسهم؛ لأنّ الحدث العظيم والثقيل الذي ينتظرونه، لا يمكن أن ينهض به فرد.

فضائل المنتظرين وأفضليّتهم

١. المنتظرون الحقيقيون هم أفضل الناس في كل العصور

تتأثّر شخصية الفرد بالسلوك الذي يمارسه في حياته اليومية، ويكتسب هذا السلوك اعتباراً وقيمة متفاوتة بالاستناد إلى التعاليم الدينية. فأفضل الناس كما ورد في الآيات وروايات المعصومين عليهم السلام الذين يجعلون من سلوكهم وسيلة لنيل مرضاة ربّ العالمين.

نقرأ في بعض الروايات أنّ للمنتظر الحقيقي منزلة رفيعة جداً وذلك بسبب الظروف الخاصة التي تحكم الناس في عصر الانتظار.

فقد نُقل عن الإمام السجّاد عليه السلام قوله:

«...إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ وَ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ وَ الْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ عجل الله تعالى فرجه الشريف أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَ الْأَفْهَامِ وَ الْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عَنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ...»[١].

٢. كالحاضر في فسطاطه عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الظهور

من أهم ما يتمنّاه جميع صلحاء العالم، هو أن يدركوا العصر الذي لا يبق فيه أثر للفساد أو الظلم أو الانحلال. تصل هذه الفضيلة إلى غايتها في الكمال حين يكون المرء في زمن الظهور حاضراً في أقرب موضع من قائد الثورة العالمية، في مركز قيادته، أي فسطاط إمامنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وصف الإمام الصادق عليه السلام المنتظرين الحقيقيين الذين لا يدركون عصر الظهور بقوله:

«مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلى هَذا الْأَمْرِ مُنتَظِراً، كانَ كَمَنْ هُوَ فِي‌الفُسْطَاطِ الَّذِي لِلْقائم[٢]».

٣. ثوابه كثواب من صلّى وصام

الصلاة والصيام من أفضل العبادات. وقد ورد في الروايات أنّ الفرد الذي يقضي أيّامه في انتظار فرج مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يكون كمن صلّى وصام.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«وَاعْلَمُوا اَنَّ المُنتَظِرَ لِهذا الاَمْرِ لَهُ مِثْلُ اَجْرِ الصَّائِمِ القائِمِ...»[٣].

٤. أكرم الأمة ورفقاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

من سعادة المرء وتوفيقه أن يكون في موقع قريب من أشرف الخلق. ومن أفضل وأشرف من

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣١٩، ح ٢.

٢. انظر: ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٥، ص ٢٢، ح ٢؛ ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٥٧؛ ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ٢٠٠، ح ١٥.

٣. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٤.

النبي الأكرم ﷺ وهو أشرف الأنبياء وأحبّ الخلق إلى رب العالمين. والحال إنّ الذي يعيش في عصر الانتظار بما يُرضي الله والنبي، فهو أكرم أبناء أمّة النبي ﷺ، وسيكون رفيقه في الجنة، كما قال ﷺ في حديث شريف:

«...أُولئِكَ رُفَقائي وَأكْرَمُ أُمَّتي عَلَيَ[١]».

٥. كالمجاهد مع رسول الله ﷺ في سبيل الله

أشرف الخلق هم المجاهدون في سبيل الله، ومن البديهي أنّ هذه الفضيلة تبلغ غاية الكمال عندما يكون هذا الجهاد خلف الإنسان الكامل الرسول المصطفى ﷺ.

من الفضائل التي أُحصيت للمنتظرين هي أنّه كالمجاهد مع رسول الله ﷺ في سبيل الله[٢].

٦. ثواب كل منهم يعادل ألف شهيد من شهداء الإسلام

وأخيراً، فإنّ ما يصل بدهشتنا إلى ذروتها هو أنّ فضل وثواب المنتظر الحقيقي والثابت القدم على ولاية أهل البيت عليهم السلام كما ورد في الأحاديث والروايات يعادل ثواب ألف شهيد من شهداء صدر الإسلام.

قال الإمام السجاد عليه السلام في ثواب المنتظر الحقيقي:

«مَن ثَبَتَ عَلى مُوالاتِنا فِي غَيْبَةِ قائِمِنا، اَعْطاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ اَجْرَ اَلْفَ شَهيدٍ مِنْ شُهَداءِ بَدْرٍ وَاُحُدٍ»[٣].

كما ورد بعضاً من هذه الفضائل وبيان رائق في حديث اللوح للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.[٤]

أمّا في الجواب عن السؤال الذي قد يثار حول: لماذا كل هذا الثواب والفضل للمنتظر؟ نطرح ثلاث ملاحظات رئيسية هي كالتالي:

١. الانتظار، حلقة الوصل بين الشيعة والإمام المعصوم عليه السلام

كلنا يعلم بأنّ «الولاية» و«الإمامة» ركنان أساسيان من أركان مدرسة التشيّع، والاعتقاد بضرورة وجود حجّة لله في كل عصر وزمان، من أهمّ السمات التي تمايز هذا المذهب عن بقية المذاهب.

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٨٦، ح ٣.

٢. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦٨، ٣٦؛ ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣١٧، ح ٣؛ انظر: ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٣٧١، ح ٢.

٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٢٣، ح ٦.

٤. ***المصدر نفسه***، باب ٢٨، ح ١.

بحسب اعتقاد الشيعة فإنّ الاعتقاد بولاية المعصومين عليهم السلام وبصورة عامة، التسليم للإمام وحجة العصر، هو رأس كلّ الفضائل، وشرط جوهري في قبول جميع الأعمال العبادية.

إذن، نستنتج، في ضوء هذه الكلمات، أنّ «الانتظار» في عصر الغيبة وعدم الحضور الظاهري للإمام في المجتمع هو نوعمّا إعلان بقبول ولاية وإمامة آخر إمام في سلسلة أئمة الشيعة، وهذا الانتظار هو السبب في المحافظة على العلاقة القلبية والمعنوية عند المنتظرين، وأن ينهلوا في كل الأعصار من فيض وجود إمامهم.

٢. الانتظار، معيار القيم الإنسانية

تشكّل آمال البشر وطموحاتهم معياراً جيداً لقياس مستوى رشدهم وكمالهم وتعاليهم؛ لدرجة دفعت البعض إلى القول: قل لي ما هو طموحك لأقول لك من أنت. فالآمال والطموحات المتعالية والرفيعة تنمّ عن كمال روح الإنسان وبلوغ شخصيته، وعلوّ همّته. وعلى العكس، فإنّ الآمال الصغيرة والتافهة والعديمة الأهمية تشي بصغار شخصية صاحبها وعدم بلوغه وقصر همّته.

من هذا المنطلق، لمّا كان الإنسان المنتظر يحمل أسمى الآمال وأنفسها، فمن البديهي أن يحظى بارقى القيم واعلاها.

٣. الانتظار عامل حيوي وبنّاء في الفرد والمجتمع

كما سيتّضح لنا من الموضوعات التالية (مقتضيات الانتظار) أنّ الانتظار يلعب دوراً مهماً في بناء وحيوية وإصلاح الفرد والمجتمع في زمن الغيبة. فإذا عمل الإنسان المنتظر بالوظائف التي أنيطت به، فسوف يتمثّل النموذج المطلوب للإنسان المؤمن، ويبلغ منازل ومراتب عليا.

أو بعبارة أوضح، بمقدور الإنسان المنتظر أن يبلغ المقام والمنزلة التي ينشدها له الدين الإسلامي ويبلغ أعلى مراحل الكمال شرط أن يلتزم جميع شروط الانتظار.

ينبغيات عصر الانتظار

لقد قيل الكثير عن وظائف المنتظرين ومسؤولياتهم، ولكن إذا أردنا أن نلخّص هذه الوظائف فسوف نقسّمها إلى مجموعتين:

أ. الوظائف العامة

ورد ذكر هذه الوظائف في كلام المعصومين عليهم السلام ضمن التكاليف المناطة بالمؤمن في عصر

الغيبة، لكنّها لا تختصّ بهذا العصر بل يقتضي العمل بها في كل العصور. وربما كان الغرض من ذكرها في عداد وظائف عصر الغيبة هو لزيادة التأكيد.

من هذه الوظائف نذكر:

١. معرفة الإمام في كل زمان

من الوظائف التي ورد التأكيد عليها بالنسبة للمؤمنين بالتعاليم الإسلامية في كل زمان – وبالأخص في عصر الغيبة – كسب المعرفة اللازمة بالإمام في كل عصر.

فقد خاطب الإمام الصادق عليه السلام فضيل قائلاً:

«اعْرِفْ إِمَامَكَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ»[١].

من المؤكّد أنّ معرفة الإمام لا تنفصل عن معرفة الله تعالى؛ وإنّما هي إحدى أبعادها؛ كما نقرأ في دعاء المعرفة الشريف حين نناجي الله سبحانه وتعالى بالقول:

«اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيكَ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حجّتكَ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حجّتكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حجّتكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«...وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ، وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُم...»[٣].

يتبيّن لنا من روايات المعصومين عليهم السلام بشكل واضح أنّ جميع الفضائل والقيم المكنونة في العبودية لله تعود إلى كسب المعرفة بالإمام عليه السلام والالتزام بها، بحيث أنّ من يمتلك هذا الإكسير الحيوي، فقد حاز على كل ما هو مرضيّ عند الله تعالى، ولا ينقصه شيء بعدها.

ولكن كيف نحوز على هذه المعرفة؟ يبدو أنّ طريق معرفة أيّ حقيقة – سواء كان لها وجود موضوعي ظاهري، أو كانت من الأمور الذهنية والعقلية – متيسّر لو سلكنا الطريق المناسب

---

١. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٣٧١، ح ٢.
٢. *المصدر نفسه*، ص ٣٤٢.
٣. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٥٢.

لمعرفتها، كأن يكون الحسّ أو التجربة أو الفطرة أو العقل أو الرؤيا أو الوحي. ولكن هذا لا يعني، بطبيعة الحال، أنّ جميع الأمور والحقائق قد عُرفت عبر هذا الطريق، وإنّما المقصود هو أنّ معرفة كل من الأشياء والحقائق تتمّ عبر طريق أو أكثر من هذه الطرق؛ على سبيل المثال، عن طريق الوحي يمكن معرفة كلّ ما يريد الله تعالى أن يعرّفه لعباده.

فاليوم، الطريق أمامنا مفتوح لمعرفة الإمام صاحب الزمان عليه السلام نظراً إلى وفرة الروايات المعتبرة المتاحة.

قال الإمام علي بن موسي الرضا عليه السلام:

«الْإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَ خَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَ الدَّاعِي إِلَى اللهِ، وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ، الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ وَ عِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَ غَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَ بَوَارُ الْكَافِرِين، الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ وَ لَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَ لَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ وَ لَا لَهُ مِثْلٌ وَ لَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ، مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَ لَا اكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّاب»[1].

نستدل من كلام الإمام الرضا عليه السلام وبقية الرواية ما يلي:

١. إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وَ أَعْظَمُ شَأْناً وَ أَعْلَى مَكَاناً وَ أَمْنَعُ جَانِباً وَ أَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِم.

٢. إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَ عِزُّ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَ فَرْعُهُ السَّامِي. بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ وَ تَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ إِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَ الْأَحْكَامِ وَ مَنْعُ الثُّغُورِ وَ الْأَطْرَاف.

٣. الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، وَ هِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارُ، الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَ السِّرَاجُ الزَّاهِرُ وَ النُّورُ السَّاطِعُ وَ النَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى[2]، وَ أَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَ الْقِفَارِ وَ لُجَجِ الْبِحَارِ الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ، وَ الدَّالُّ عَلَى الْهُدَى وَ الْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى، الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ، وَ الدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ.

---

١. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٢٠١.

٢ الغيهب: الظلمة وشدّة السواد، وأجواز: جمع الجوز و هو من كل شيء وسطه.

٤. الْإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ خَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَ الدَّاعِي إِلَى اللهِ وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ.

٥. الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ.

٦. الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَ لَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ وَ لَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَ لَا لَهُ مِثْلٌ وَ لَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ، وَ لَا اكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّاب.

لو أنّنا أدركنا هذه الخصال أعلاه، وفهمناها جيداً لخطونا خطوات واسعة على طريق معرفة الإمام. ثم بعد ذلک يأتي دور الطاعة والتسليم للإمام[١].

٢. الثبات على محبة أهل البيت عليهم السلام

وظيفة أخرى مهمة مكلّفون بها في كل عصر وزمان، هي حب أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بوصفهم أخلّاء الله تعالى. في عصر غيبة آخر إمام معصوم، ربما تحول بعض العوامل دون قيام الإنسان بهذه الوظيفة وذلك بسبب استتار هذا الإمام؛ من هنا وردت تاكيدات كثيرة في الروايات على وجوب حبّ تلك الأنوار المقدسة والثبات على حبّهم.

ولا ننسى أنّ هذه المحبة هي حكم منزل من الله تعالى. قبل سنوات من مجيئه إلى هذه الدنيا كان الإمام عليه السلام موضع محبة المعصومين الأطهار. فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو أشرف الأنبياء وخاتم الرسل عندما كان يتحدّث عن خاتم أوصيائه عليه السلام يذكره بعظيم الحب والاحترام مستخدماً أسمى التعابير وكلمات الحب في وصفه من قبيل «بأبي وأمي»؛ كما في هذا الحديث الشريف:

«بِأَبِي وَ أُمِّي سَمِيِّي وَ شَبِيهِي وَ شَبِيهُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ جُيُوبُ النُّور...»[٢].

وعندما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ينقذ ببصره الثاقب في الأعصار والقرون، وينظر عصر آخر الأئمة، يصفه قائلاً:

«فَانْظُرُوا أَهْلَ بَيتِ نَبِيكُمْ فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فَانْصُرُوهُمْ، فَلَيفَرِّجَنَّ اللهُ [الْفِتْنَةَ]

---

١. أكمل وأتمّ نصّ في معرفة الإمام هو الزيارة المعتبرة والنفيسة المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام والمعروفة بزيارة «الجامعة الكبيرة»؛ وتعني أنّها أكبر وأكمل زيارة يمكن بواسطتها أداء الزيارة لجميع المعصومين عليهم السلام. وقد حظيت هذه الزيارة باهتمام جميع علماء الدين والفقهاء.

٢. *كفاية الأثر*، علي بن محمّد الخزاز القمّي، ص ١٥٦.

بِرَجُلٍ مِنَّا أَهْلَ الْبَيتِ. بِأَبِي ابْنُ خِيرَةِ الْإِمَاءِ»[١].

وعن خلاّد بن الصفّار قال: سُئل أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: هل وُلد القائم؟ قال:

«لَا وَ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيامَ حَياتِي»[٢].

وفي رواية عجيبة عن سادس نجوم سماء الولاية والإمامة أنّه قال:

«...أَمَا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَأَبْقَيتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ»[٣].

هذه الروايات ومثيلاتها لا تبقي مجالاً للشك في أنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام - وخاصة آخر حجج الله – في عصر الغيبة عمل غاية في الأهمية والقيمة.

٣. الالتزام بتقوى الله

تقوى الله واجبة ولازمة في كل الأزمنة، لكنّها تكتسب أهمية أكبر في عصر الغيبة بسبب الظروف الخاصة السائدة، وذلك لأنّ عوامل كثيرة تتضافر في هذه المرحلة لتضلّ الإنسان عن طريق الحقّ.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً فَلْيَتَّقِ اللهَ عَبْدٌ وَ لْيَتَمَسَّكْ بِدِينِه»[٤].

وأيضاً عنه عليه السلام:

«من سرّه أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة!»[٥].

٤. طاعة أوامر الأئمة عليهم السلام

يصدر الأئمة عليهم السلام كلّهم من نور واحد، وأوامرهم وأحكامهم تتبع هدفاً واحداً، لذا، فطاعة أيّ

---

١. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٣٤، ص ١١٨ و ج ٤١، ص ٣٥٣ و ج ٥١، ص ١٢١.
٢. ***المصدر نفسه***، ص ٢٤٥، ح ٢٣.
٣. ***المصدر نفسه***، ص ٢٧٣، ح ٥٠.
٤. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٣٣٦؛ ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٥١.
٥. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، ص٢٠٠.

منهم، طاعةٌ لجميعهم. وعندما يغيب أحدهم، فإنّ أوامر بقية الأئمة هي السراج الذي يهتدي على ضوئه المؤمن.

فعن عبد الله بن سنان قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال: «كيف أنتم إذا صرتم في حال لا يكون فيها إمام هدى ولا علم يرى، فلا ينجو من تلك الحيرة إلّا من دعا بدعاء الحريق»، فقال أبي: هذا والله البلاء، فكيف نصنع جعلت فداك حينئذ؟ قال: «إذا كان ذلك ولن تدركه، فتمسّكوا بما في أيديكم حتى يصحّ لكم الأمر»[١].

وعن يونس بن عبد الرحمان قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحقّ؟ فقال: «أنا القائم بالحقّ، ولكنّ القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ يملأها عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون».

ثم قال: «طوبى لشيعتنا، المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منّا، ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثمّ طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»[٢].

٥. مد يدّ العون للضعفاء والفقراء

مساعدة الضعفاء والمحرومين أمر محمود وعظيم في جميع الأزمان، وقد حثّ الإسلام عليه، لكنّ هذا العمل يكتسب أهمية أكبر في عصر الغيبة وذلك بسبب غيبة الإمام عليه السلام.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«... ليعن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيّكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جائكم عنّا، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه.. وإذا كنتم كما أوصيناكم لم تعدوا إلى غيره، فمات منكم (ميت) قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً...»[٣].

طبعاً، تارة يكون الفقر اقتصادياً، وأخرى ثقافياً ومعنوياً.

---

١. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ص ١٥٩، ح ٥ و ٤.

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص٣٦١، باب ٣٤، ح ٥.

٣. *بشارة المصطفى لشيعة المرتضى*، محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي، ص ١٨٣.

ب. الوظائف الخاصة

وهي وظائف ترتبط بنحوٍ خاص بغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

١. موالاة محبّي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعاداة أعدائه

وردت تأكيدات كثيرة في الروايات والأحاديث المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على وجوب موالاة أهل البيت عليهم السلام ومعاداة أعدائهم، وهذا الأمر سارٍ في كلّ الأزمان؛ ولكن جاء في بعض الروايات تخصيص بوجوب موالاة محبّي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعاداة أعدائه.

عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«طُوبى لِمَنْ اَدْرَكَ قائِمَ اَهْلِ بَيتي، وَهُوَ يأتَمُّ بِهِ في غَيْبَتِهِ قَبْلَ قِيامِهِ، وَيَتَوَلّى اَوْلِياءَهُ وَيُعادِي اَعْداءَهُ، ذلِكَ مِنْ رُفَقائي وَ ذَوِي مَوَدَّتي، وَاَكْرَمُ اُمَّتي عَلَيّ يَوْمَ القِيامَةِ»[1].

٢. الصبر على الشدائد في عصر الغيبة

نلاحظ اليوم عددا غير قليل من الأفراد الذين ولأسباب معينة لا يتحمّلون مسألة الاعتقاد بالإمام الغائب وذكره، ويحاولون بشتى الطرق الممكنة وضع العراقيل والتسبّب بالأذى والضرر في هذا المجال. ومن حيث أنّ الصبر على الشدائد والمصاعب من بين التعاليم المهمة في ديننا، فمن الواجب في هذا العصر، أكثر من أيّ عصر مضى، أن نقف بصلابة وثبات أمام المعضلات والشدائد التي تواجهنا.

روى عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه روى عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«سَيَأْتِي قَوْمٌ مِنْ بَعْدِكُمْ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ كُنَّا مَعَكَ بِبَدْرٍ وَ أُحُدٍ وَ حُنَيْنٍ وَ نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ. فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَوْ تحملوا [تحملونَ] لِمَا حُمِّلُوا لَمْ تَصْبِرُوا صَبْرَهُمْ»[2].

وعن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنّه قال:

«اَمـا اِنَّ الصّـابِرَ فِي غَيبَتِـهِ عَـلَي الاَذي وَالتَّكْـذِيبِ بِمَنزِلَـةِ المُجاهِـدِ بِالسَّـيْفِ بَـيْنَ يَـدَي رَسُـولِ

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٨٦، ح ٢.

٢. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ص ٤٥٦؛ *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، ج ٣، ص ١١٤٩.

الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

٣. الدعاء بتعجيل فرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

للدعاء والتضرّع مكانة رفيعة في الثقافة الإسلامية. ومن تطبيقات الدعاء رفع الشدائد والمشاكل عن كاهل جميع البشر. ولا يتيسّر هذا الشيء، من وجهة نظر الشيعة، إلّا إذا ظهر آخر الذخائر الإلهية من وراء ستار الغيبة، وأضاء العالم بنوره، الأمر الذي يفسّر تأكيد بعض الروايات على الدعاء للتعجيل بالفرج والانفتاح.

... نعم، إنّ الذي ينتظر قدوم مولاه، لا شكّ في أنّه سيدعو ربّه للتعجيل بفرجه، لا سيّما إذا علم أنّه بفرجه وظهوره سوف يهيّئ الظروف المناسبة لرشد المجتمع الإنساني وكماله بشكل تام. وقد جاء في الروايات أنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف قال في أحد تواقيعه الشريفة:

«وَأكثِرُوا الدُّعاء بِتَعجيلِ الفَرَج»[٢].

كتب أحد الباحثين المعاصرين يقول:

طبعاً الكل يعرف بأنّ وصية الإمام لشيعته بالدعاء لتعجيل الفرج ليس المقصود منها نطق الكلمات وتحريك اللسان فحسب، وإن كان ذلك ينطوي على أجر خاص، وإنّما المقصود الخشوع القلبي والتركيز على معنى هذا الدعاء ومفهومه، ومعرفة أنّ الدين والتديّن وسلامة الاعتقاد بالغيبة والإمامة خصوصاً في عصر الغيبة أمر جدّ عسير، لا يتسنّى إلّا لمن أيقن واستقام.

وحده الذي سوف يتحمّل مصاعب عصر الغيبة بيسر، ويتحوّل المستحيل عنده إلى يقين هو الذي نهل من محيط علم الله تعالى، واغترف غرفة من بحر معرفة النبي والأئمة والإمام الغائب عليه السلام، وصان نفسه من الانحرافات والضلالات والتيه.[٣]

٤. الاستعداد الدائم

من أهم الوظائف في عصر الغيبة أن يكون الفرد على استعداد وجهوزية دائمة وحقيقية. ولنا في الكتب الروائية الكثير من الروايات التي تحثّ على هذا الأمر.

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣١٧، ح ٣؛ ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦٨، ح ٣٦.

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٤٨٣، ح ٤.

٣. ***ظهور النور***، ص ١٠٣.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام بعد تلاوته الآية الكريمة ﴿**اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا**﴾:

«اصْبِرُوا عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَ صَابِرُوا عَدُوَّكُمْ وَ رَابِطُوا إِمَامَكُمْ المنتظر»[١].

على عكس تصوّر البعض بأنّ المقصود من «رابطوا» خلق الارتباط مع الإمام عليه السلام والتشرّف بلقائه، فالكلمة تعني الاستعداد والجهوزية للقتال[٢].

إذن، نستشفّ من كلام المعصومين عليهم السلام أنّ المرابطة على نوعين:

النوع الأول: أن تكون فئة من المسلمين على أتمّ الاستعداد على حدود البلاد الإسلامية للدفاع عن الثغور بوجه الأعداء.

النوع الثاني: أن يبقى المؤمنون في كل الأحوال مستعدين وبانتظار فرج المعصومين عليهم السلام، مسلّمين لأوامرهم طائعين، وصابرين على طول زمان الظهور والفرج، وثابتي القدم في استتارهم وعلى أوامرهم، وأن يكونوا في هذا الحال مستعدّين وجاهزين ما أمكنهم ذلك؛ وأن يمتلأوا عزماً وإصراراً عند الظهور، وراسخين وثابتين من ناحية الظاهر والجسم، وكذلك ثابتين على أمرهم عليهم السلام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ليعدّن أحدكم لخروج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأن ينسئ في عمره حتى يدركه [فيكون من أعوانه وأنصاره]»[٣].

٥. تعظيم اسم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وذكره

من بين المسؤوليات التي يضطلع بها الشيعة إزاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذا العصر تكريم اسم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وتعظيم ذكره. ولهذا التعظيم مظاهر وتجليات كثيرة، من قبيل تشكيل حلقات الدعاء والابتهال، والأعمال الثقافية والتبليغية، وعقد حلقات البحث والحوار، وإنجاز البحوث والدراسات البنيوية المفيدة، كل هذه يمكن أن تساهم في اعتلاء اسم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ورفع ذكره.

ومن بين مظاهر تكريم الإمام وتعظيمه، أداء الاحترام أثناء ذكر اسمه عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ أي ما نشاهده اليوم في الثقافة الشيعية من الوقوف في المجالس عند ذكر اسم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف احتراماً

---

١. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ١٩٩.

٢. انظر: *لسان العرب*، ابن منظور، ج ٧، ص ٣٠٣؛ *مجمع البحرين*، فخر الدين الطريحي، ج ٤، ص ٢٤٨.

٣. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ٣٢٠، ح ١٠.

وتعظيماً، وإذا كان عدم الوقوف تعبير عن عدم الاحترام للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه غير جائز قطعاً[١].

٦. المحافظة على الأواصر مع موقع الولاية

تعدّ المحافظة على الأواصر القلبية والعاطفية مع الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وتقويتها، وتجديد العهد معه، من الوظائف المهمة الأخرى التي يضطلع بها كل شيعي منتظر في عصر الغيبة.

وقال الإمام الباقر عليه السلام عن ثابتي القدم على أمر الولاية:

«يأتي على الناس زمانٌ يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جلّ جلاله فيقول: عبادي وإمائي! آمنتم بسرّي وصدّقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً منكم أتقبّل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلتُ عليهم عذابي...»[٢].

يقيناً أنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يأتون بكلامٍ من عندهم، لذا، فما قاله الإمام عليه السلام في هذه الرواية إنّما أخذه عن علوم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والنبي أخذه عن الوحي الإلهي؛ فلا مجال لأيّ شكّ أو ترديد أبداً.

وبناءً عليه، فإنّ أحد الأعمال التي تجعل من هذه الرابطة غير قابلة للانفكاك تجديد عهد الوفاء مع حبيبنا الغائب في كل يوم. وفي هذا الصدد وردت تأكيدات بأن يتوجّه المؤمن المنتظر بأدب واحترام صوب إمامه الغائب، وأن يناجيه بدعاء العهد كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام،

---

١. من الراجح المؤكد، القيام عند سماع لقب القائم؛ وممن أرشدنا الي هذا الطريق علي بن زين العابدين البارجيني فانه نقل عن تنزيه الخاطر آن الامام الصادق عليه السلام سئل عن سبب القيام عند ذكر لفظ (القائم) فقال: إن له غيبة طويلة ومن شدة الرغبة إلى أحبته ينظر إلى كل من يذكره بهذا اللقب المشعر بدولته والحسرة بغربته ومن تعظيمه أن يقوم العبد الخاضع لصاحبه عند نظر المولى الجليل بعينه الشريفة إليه وليطلب من الله تعالى بتعجيل فرجه ثم روى ثانياً عن تنزيه الخاطر أن القائم ذكر في مجلس الرضا بخراسان بهذا اللفظ الخاص فقام الرضا ووضع يده المباركة على رأسه وقال اللهم عجل فرجه وفي النجم الثاقب للنوري أن سيرة الشيعة في جميع الأقطار الإسلامية مستمرة على القيام عند سماع هذا اللفظ الخاص تعظيماً له وطلباً من المولي سبحانه تعجيل فرجه. (***ذكرى المعصومين***، السيد عبدالرزاق الموسوى المقرم، ج ٢، ص ٤٠٤.)

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٣٠، باب ٣٢، ح ١٥.

وإذا واظب على قراءة هذا الدعاء أربعين صباحاً كان من أعوان الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى؛ والدعاء المذكور يُستهلّ بهذه العبارات:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ عجل الله تعالى فرجه الشريف أَيْنَمَا كَانَ وَ حَيْثُمَا كَانَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبِهَا سَهْلِهَا وَ جَبَلِهَا عَنِّي وَ عَنْ وَالِدَيَّ وَ عَنْ وُلْدِي وَ إِخْوَانِي التَّحِيَّةَ وَ السَّلَامَ عَدَدَ خَلْقِ اللهِ وَ زِنَةَ عَرْشِ اللهِ...»[1].

---

١. *مصباح الكفعمي*، إبراهيم بن علي الكفعمي، ص ٥٥٠؛ وكذلك انظر: *مفاتيح الجنان*، الشيخ عباس القمي.

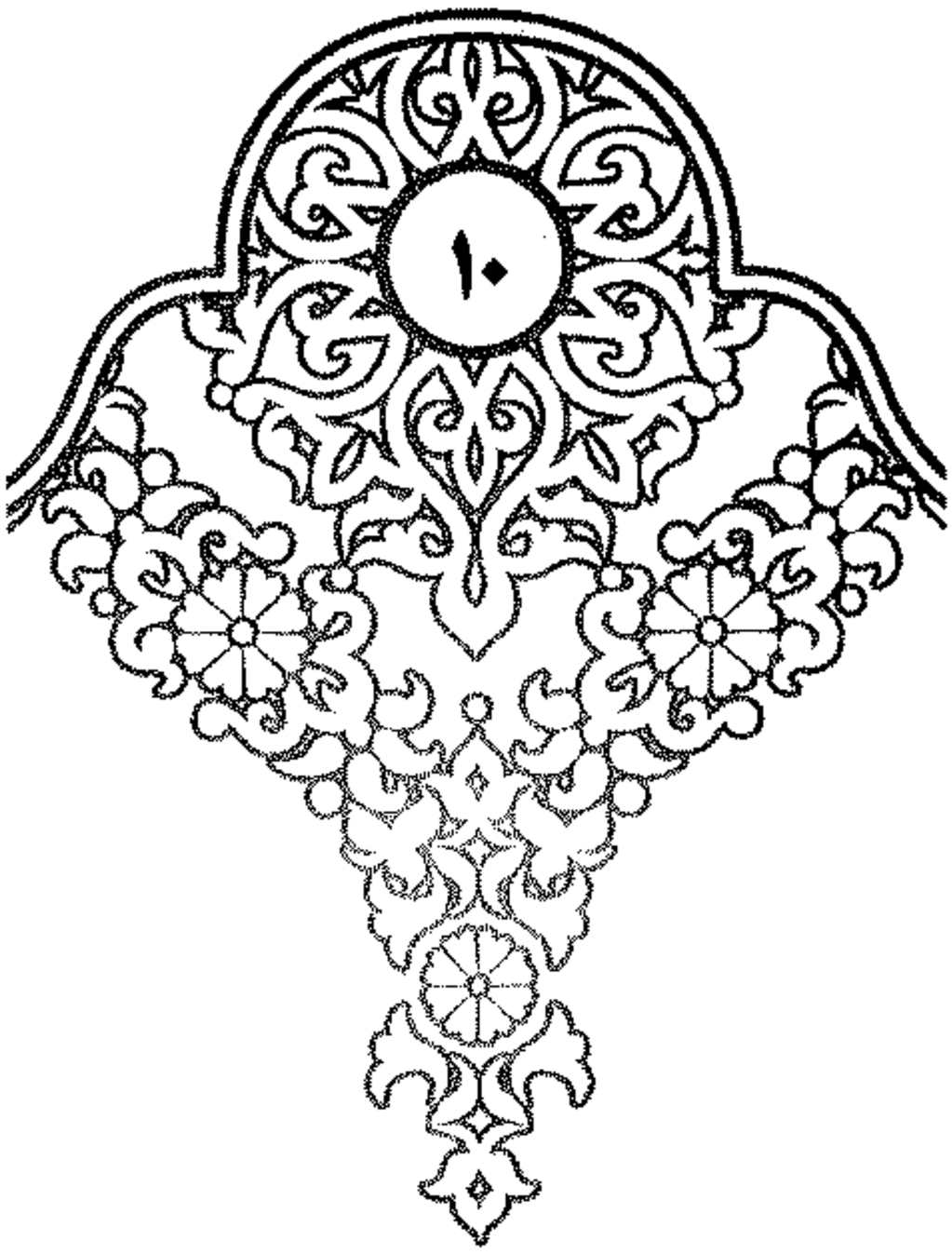

شروط الظهور

«الشرط» في اللغة هو الإلزام والالتزام بشيء لشيء آخر بحيث يتوقّف وجود ذلك الشيء عليه، إمّا في ذاته وفي نفس الأمر، أو من جهة التعهّد والالتزام. وجمعه شرائط أو شروط[1]. المقصود بشروط الظهور، العلامات التي يتوقّف على تحقّقها ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فتجعله أمراً منطقياً ولازماً؛ بحيث أنّه بتهيّؤها، يصبح تحقّق الظهور حتمياً.

يتوقّف ظهور الإمام المهدي عليه السلام لإقامة حكومة العدل العالمية على تحقّق الظروف والشروط اللازمة لذلك. لقد بيّنت الروايات بعض الشرائط التي ينبغي أن تتحقّق ليصبح أمر الظهور حتمياً.

---

١. انظر: ***التحقيق في كلمات القرآن الكريم***، حسن مصطفوي، ج ٦، ص ٣٩.

قيل في دروس الحكمة من الغيبة وعللها[١]: أهم خصوصية أو حكمة وراء الغيبة، أنّها سرّ من أسرار الله تعالى؛ وعليه يمكن القول: إنّ رفع الغيبة بوصفه الشرط الأساسي للظهور أيضاً سرّ من الأسرار الإلهية.

إذن، ما يُعبّر عنه هنا تحت عنوان «شروط الظهور» عبارة عن الشروط الظاهرية التي ورد ذكرها في الروايات؛ وإلّا يمكن أن تكون ثمّة شروط أخرى هي أيضاً من الأسرار الإلهية وخافية علينا.

لا يوجد تعريف واضح وشافٍ لشروط الظهور، لكن يمكن الوصول إلى مثل هذا التعريف، إلى حدّ ما، من خلال بيان بعض مواصفات شروط الظهور:

١. يجب أن تتحقّق هذه الشرائط بصورة حتمية قبيل الظهور، وإلّا فإنّ ذلك سيكون بمثابة حصول المشروط قبل الشرط، وهو أمر غير مقبول.

٢. ارتهان الظهور بالشرائط هو نوع من الارتهان الواقعي، بمعنى، عدم تحقّق بعض الشرائط سيؤدّي بطبيعة الحال إلى عدم تحقّق الظهور. فمعنى «الشرط» في الفلسفة أنّ علاقته بالمشروط هي علاقة العلّة والمعلول؛ بحيث إنّ المشروط لا يمكن أن يوجد من دون الشرط البتة[٢].

٣. لمّا كانت علاقة الشرائط بالظهور علاقة واقعية وأنّها سبب وقوعه، فلا بدّ إذاً من وقوع كل الشرائط بشكل متزامن وفي وقت واحد.

٤. إنّ ارتهان الظهور للشرائط، هو ارتهان في الحدوث وفي البقاء، أي إنّ الشرائط يجب أن تكون موجودة دائماً طيلة الظهور بقاءً وديمومة.

٥. بالنسبة للشرائط، هناك نوع من التغطية والارتباط مع الشرائط الأخرى.

٦. العلم بالتحقّق القطعي لجميع الشرائط، أمر خارج قدرة الإنسان[٣].

الآن، وبعد أن اتّضح لنا، إلى حدّ ما، مفهوم شرائط الظهور وخصوصياته، يمكن أن نستعرض تلك الشرائط بالاستعانة بالروايات وآراء العلماء وكما يلي:

---

١. انظر: الجزء الأول من كتابنا (*بحوث علمية في القضية المهدوية*، ج ١، ص ١٤١).

٢. انظر: *تاريخ الغيبة الكبرى*، السيد محمد الصدر، ص ٤٩٠.

٣. قد تكون الحكمة في أن يبقى العلم بالوقت الدقيق للظهور عند الله تعالى فقط، وكذلك نفس هذه النقطة وهي أنّ العلم القطعي بحصول شرائط الظهور في علم الله.

أولاً. وجود برنامج وخطة جامعة ومتعالية

في كل تحوّل عظيم، يجب أولاً رسم الإطار العام لذلك التحوّل وتبيين أهدافه قبل اتّخاذ أيّ إجراء. إنّ ظهور الإمام المهدي عليه السلام بوصفه أعظم وأوسع تحوّل في حياة المجتمع الإنساني يتضمّن برنامج وخطة تنسجم وعظمة الحدث وسعته؛ إذ بدون ذلك لا يمكن إدارة حتى مجتمع صغير، فما بالك بمجتمع بسعة جميع البشر على وجه الأرض.

ثمّة حقيقة تكشف عنها التعاليم الإسلامية وهي، إنّ الموعود المنجي ليس له أيّ برنامج أو خطة سوى ما أودع خاتم الأنبياء البشر.

والحال أنّنا نقرأ في بعض الروايات كلاماً عن أحكام جديدة صدرت في عصر الظهور، لكنّ بعضها في الحقيقة إزالة للزوائد التي أحاطت بالتعاليم الدينية، ومن هنا فإنّ ما يعتقده الناس في ذلك العصر أحكاماً جديدة ما هي إلّا الأحكام الأصيلة للدين وقد عادت إليه من جديد[١].

لقد بيّن الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم جميع الاحتياجات الأساسية للبشر سواء في حياتهم الفردية أو الاجتماعية حتى يوم القيامة، وقد فسّر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام، حيثما اقتضى الأمر، الآيات الإلهية للناس وبمقدار فهمهم وإدراكهم. لقد وردت تأكيدات في الكثير من الروايات على أنّ الإمام عليه السلام بعد الظهور سوف يطبّق بشكل دقيق أحكام الله وسنّة جدّه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

قال محمد بن مسلم: سألت الإمام الباقر عليه السلام عن القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف إذا قام بأيّ سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام:

«بِسِيرَةِ مَا سَارَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى يُظْهِرَ الْإِسْلَام»[٢].

نتبيّن من هذا الشرط ثلاثة أمور هي:

أ. إنّ الهدف النهائي من الظهور والحكومة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحقيق الخطة الكاملة للإسلام التي لا تتضمّن أيّ ظلم أو قهر قطّ.

ب. ولن تتحقّق تلك الخطة على أرض الواقع إلّا عند ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإذا لم

---

١. أنظر أبحاثنا في درسنا الخارج (الأحكام الجديدة في عصر الإمام المهدي عليه السلام).

٢. *تهذيب الأحكام*، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١٥٤.

تتحقّق في ذلك العصر فلن تتحقّق في أي عصر من العصور، وسيكون نشر العدالة في اليوم الموعود محال وممتنع.

ج. وقبل أن يسعى إلى تطبيق تلك الخطة بصورة عملية، ينبغي له أن يوضّح خطوطها ومبادئها العامة للناس ليحيطوا علماً بها[١].

ثانياً. وجود قائد وهادٍ جدير ومعصوم

لا شكّ في أنّ ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وثورته العالمية، وعلى غرار جميع الحركات الاجتماعية والجماعية، بحاجة إلى قائد يستطيع قيادة دفّة هذه السفينة العظيمة من خلال توظيف جميع القدرات المعنوية والجسمية المتاحة، حتى يوصلها إلى برّ الأمان. ومن حيث أنّ هذه الثورة فريدة من نوعها، فيجب تبعاً لذلك أن يتمتّع قائدها أيضاً بمواصفات بارزة وفريدة تتناسب مع عظمة ثورته.

جدير بالذكر أنّ الحياة الاجتماعية هي خيار حتمي للبشر، وهو ما يقتضي وجود قائد وحاكم ليعمل على تطبيق القانون في المجتمع[٢]. طبعاً إذا كانوا يبحثون عن السعادة في حياتهم، فلا بدّ لهذا القائد أن يتمتّع ببعض المواصفات والمؤهلات الخاصة. وعليه، فإنّ تحليل هذا الشرط ينتج عنه شرطان فرعيان هما:

١. وجود قائد لهذه النهضة العالمية وبدونه لا يتيسّر لهذه النهضة مواصلة مسيرتها.

٢. وجوب أن يتمتّع هذا القائد بجدارة القيادة على مستوى حكومة عالمية.

في بعض نصوص ما قبل الإسلام وردت إشارات عن حكومة النخبة مع إطلاق بشارات لعامة الناس بوراثتهم للأرض؛ أمّا التعاليم الإسلامية فقد ذكرت صراحةً قائد هذا المجتمع المثالي. وتدلّل جمهرة الروايات المنقولة عن الفريقين على اهتمام أئمة هذا الدين بتعيين قائد لهذه النهضة العالمية الكبرى. وفي هذه الأثناء، ذكرت المصادر الروائية، سيّما مصادر أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبكل وضوح نسب هذا القائد العظيم ومواصفاته[٣].

---

١. *تاريخ الغيبة الكبرى*، لسيد محمد الصدر، ص ٤٩٦.

٢. وحول أهمية وجود قائد في أيّ مجتمع قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «...وَ إِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ...»، الشريف الرضي، *نهج البلاغة*، الخطبة ٤٠.

٣. في الجزء الأول من هذا الكتاب وردت إشارات لبعض هذه الخصائص.

يطرح الشيعة أدلة متقنة ومحكمة على قطعية تحقّق هذا الشرط من خلال ولادة مولود للإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لذلك فهم يعتقدون أنّ من جملة الشروط الأربعة المعروفة الواردة في الروايات، فإنّ الشرط الثاني أيضاً قد تحقّق بصورة قطعية.

مواصفات القائد

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بوصفه آخر الأئمة والحجج الإلهية، يمتلك مجموعتين من المواصفات: المجموعة الأولى، مواصفات تتعلّق بالإمامة، بمعنى، أنّه يشترك مع بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام في هذه الصفات المشتركة (عامة)[1].

أمّا المجموعة الثانية فهي مواصفات تكتسب معناها من النهضة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف (خاصة).

١. المواصفات العامة

إنّ معرفة المواصفات العامة أمر جدّ عسير، ومن بين الطرق المؤدّية لهذه المعرفة الاستفادة من كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام. قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن مقام الإمام:

«... الإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فى خَلْقِهِ وَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَ خَلِيفَتُهُ فِي بِلادِهِ وَ الدَّاعِي إِلَي اللهِ، وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ، الإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ وَ عِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَ غَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَ بَوَارُ الْكَافِرِينَ، الإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لايُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَ لايُعَادِلُهُ عَالِمٌ وَ لا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَ لالَهُ مِثْلٌ وَ لا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ، وَ لااكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ...»[2].[3]

بالاستعانة بهذا النوع من الروايات يمكن أن نستنبط بعضاً من تلك المواصفات المذكورة وعلى النحو التالي:

١ـ١. علم الإمام ومعرفته

أبرز صفة للإمام في المجتمع الإسلامي علمه العميق بالله تعالى وتعاليمه وأحكامه، لأنّ الدور

---

١. للاختصار نشير في هذا الدرس إشارة إجمالية فقط إلى هذه المجموعة من الخصائص، ونوصي المهتمين بمراجعة الكتب التي بسطت البحث في هذا الموضوع.

٢. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ١٩٨، ح ١.

٣. هذه الرواية طويلة بمقدور المهتمين مراجعة النص الكامل لها.

الأهم للإمام يتمثّل في قيادته المجتمع والوصول به إلى الكمال ولقاء الله. يجب على الإمام، كقائد للأمة، أن يكون ملمّاً بتعاليم الدين من جميع الزوايا، وعارفاً بقوانينه، وكذلك أن يحيط بصورة تامة بآيات القرآن وسنّة النبي المصطفى ﷺ ليقوم بتبيين معارف الدين وشرحها.

١ـ٢. العصمة والطهارة

يُنظر إلى «عصمة الإمام» في الثقافة الشيعية على أنّها أصل مسلّم به، يبيّن المنزلة السامقة لوصي النبي الخاتم ﷺ. لقد تمّت البرهنة بالأدلة العقلية والنقلية على استحالة إمامة غير المعصوم للمجتمع الإسلامي، ولو حدث هذا، فلن تكون نتيجة ذلك سوى الضلال المبين[١].

٢. المواصفات الخاصة

١ـ٢. القدرة والاقتدار الروحي والجسمي

من المواصفات الروحية والجسمية الشاخصة للإمام المهدي عليه السلام القوة الجسمية الخارقة التي يمتلكها. قال الإمام الرضا عليه السلام:

«... وَإِنَّ القائِمَ هُوَ الَّذي إِذا خَرَجَ كانَ في سِنِّ الشُّيوخِ وَمَنْظَرِ الشُّبّانِ قَوِياً في بَدَنِهِ حَتَّى لَوْ مَدَّ يدَهُ إِلي اَعْظَمِ شَجَرَةٍ عَلى وَجْهِ الاَرْضِ لَقَلَعَها وَلَوْ صاحَ بَيْنَ الجِبالِ لَتَدَكْدَكَتْ صُخُورُها...»[٢].

وروى عليّ بن أبي حمزة عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لَوْ قَدْ قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام لَأَنْكَرَهُ النَّاسُ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَاباً مُوفِقاً لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ قَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَهُ فِي الذَّرِّ الْأَوَّلِ»[٣].

وبعض الروايات تشبّه الإمام المهدي عليه السلام بأنبياء الله ولا سيّما النبي الأكرم ﷺ وذلك لبيان مدى اقتداره وقدراته.

وفي هذا الصدد نقل الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه الأطهار عن رسول الله ﷺ قوله:

---

١. ﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمين﴾؛ سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٧٦، ح ٧.

٣. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ١٨٨، ح ٤٣؛ ص ٢١١، ح ٢٠؛ *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ص ٤٢٠.

«الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ اسْمِي وَ كُنْيَتُهُ كُنْيَتِي أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقاً وَ خُلْقاً»[١].

وقال أحمد بن إسحاق: سمعت من الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَرَانِي الْخَلَفَ مِنْ بَعْدِي أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ ص خَلْقاً وَ خُلْقاً»[٢].

٢ـ٢. لا توجد بيعة في عنقه للحكام

صفة أخرى للإمام القائد ألا وهي تحرّره من أيّ بيعة للآخرين، وبفضل غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه لم يضطرّ لمبايعة الطواغيت. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد:

«إِنَّ القائِمَ مِنَّا إِذا قامَ لَمْ تَكُنْ لاَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيعَة فَلِذلكَ تُخفي وِلاَدَتُهُ وَيغيبُ شَخْصُهُ»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«يَقُومُ الْقَائِمُ وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ عَهْدٌ وَ لَا عَقْدٌ وَ لَا بَيْعَةٌ»[٤].

ثالثاً. وجود جماعة من الناس أطهار وأوفياء

إنّ ثورة الإمام المهدي عليه السلام ثورة واسعة وعظيمة، ولذلك فهي تحتاج إلى أناس أقوياء يعضدون قائد الثورة على تحقيق أهدافه؛ أناس في ذروة التقوى، وعلى أهبة الاستعداد للدفاع الشامل عن خطط الإمام عليه السلام؛ ذلك أنّ الله تعالى شاء أن يُجري الأمور بأسبابها ومجاريها الطبيعية، إلّا في الحالات الاستثنائية.

بعبارة أوضح: إحدى السنن الإلهية أن يهبّ الناس لنصرة قوّادهم وأنبيائهم، من هنا فإنّ أنبياء الله عليهم السلام بحاجة إلى أعوان وأنصار لإيصال رسالاتهم إلى الناس.

ولدينا أمثلة كثيرة لهذه النصرة في آيات القرآن الكريم[٥].

أحد الأسباب التي دفعت الأئمة المعصومين عليهم السلام بشكل عام إلى العزوف عن القيام بأيّ محاولة لإقامة الحكومة، عدم وجود العدد الكافي من الأعوان والأنصار للمضيّ في هذا الطريق.

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٨٧، ح ٤.

٢. ***المصدر نفسه***، ج ٢، ص ٤٠٨، ح ٧.

٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٠٣، ح ١٤.

٤. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٣٤٢، ح ٢٥.

٥. انظر: سورة آل عمران: الآيتان ٥٢ و ٨١؛ سورة الصف: الآية ١٤؛ سورة محمد صلى الله عليه وآله: الآية ٧.

على سبيل المثال، سكوت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن حقّه على مضض لمدّة ٢٥ سنة؛ واضطرار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى عقد الصلح مع معاوية، واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على ذلك النحو المفجع؛ وحرمان الإمام السجاد والأئمة من بعده إلى الإمام العسكري عليهم السلام، من حقّهم في إقامة الحكومة، وتخلّيهم نهائياً عن أيّ محاولة مسلحة أو ثورة لاستعادة الخلافة الظاهرية وإقامة الحكومة وهداية المجتمع.

ويمكن الإشارة في هذا العصر إلى نهضتين تاريخيتين استطاع فيهما اثنان من الأئمة المعصومين عليهم السلام وبمعونة مجموعة من الأنصار القيام بعمل مسلح: النهضة الأولى فترة الخمس سنوات من خلافة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والنهضة التاريخية الثانية، ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

ولطالما شكى الأئمة أن لو كان لديهم العدد الكافي من الأعوان الأشداء لما انصرفوا أبداً عن الثورة على الظلم والظالمين.

طبعاً المقصود بالأعوان شيعة حقيقيون ثابتو القدم، لا يألون جهداً في نصرة أئمتهم المعصومين عليهم السلام من أجل تحقيق أهدافهم، ولكن هؤلاء الأعوان قلّة. قال مأمون الرقي:

كنتُ عند سيدي الصادق عليه السلام، إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلّم عليه ثم جلس فقال له: يا بن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال عليه السلام له: «اجلس يا خراساني، رعى الله حقّك»، ثم قال: «يا حنيفة اسجري التنور»، فسجرته، حتى صار كالجمرة وأبيضّ علوه، ثم قال: «يا خراساني قم فاجلس في التنور»، فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذّبني بالنار أقلني أقالك الله. قال: «قد أقلتك»، فبينما نحن كذلك، إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته، فقال السلام عليك يا بن رسول الله، فقال الصادق عليه السلام له: «ألق نعليك من يدك، واجلس في التنور»، قال: فألقى النعل من سبابته، ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام عليه السلام يحدّث الخراساني حديث خراسان، حتى كأنّه شاهد لها، ثم قال: «قم يا خراساني وانظر ما في التنور»، قال: فقمتُ إليه فرأيته متربعاً فخرج إلينا، وسلّم علينا فقال له الإمام عليه السلام: «كم تجد بخراسان مثل هذا»، فقال: والله ولا واحداً، فقال عليه السلام:

«أَمَا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةً مُعَاضِدِينَ لَنَا نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ»[١].

إنّ الاستعانة بالأعوان والأنصار في حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية، وكما هو الحال مع جميع النهضات الإصلاحية، أمر لا مفرّ منه؛ ذلك أنّ الله تعالى شاء أن يُجري هذه الثورة العالمية، في الأغلب، في مجاريها الطبيعية، ويسبّبها بأسبابها العادية[٢]. لقد ذُكر هؤلاء الأعوان والأنصار بصفات خاصة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يخرج القائم عليه السلام في أقل من الفئة و لا يكون الفئة أقل من عشرة آلاف»[٣].

قال أبو بصير: قال الإمام الصادق عليه السلام:

«لَا يَخْرُجُ الْقَائِمُ عليه السلام حَتَّى يَكُونَ تَكْمِلَةُ الْحَلْقَةِ قُلْتُ وَ كَمْ تَكْمِلَةُ الْحَلْقَةِ قَالَ عَشَرَةُ آلَافٍ»[٤].[٥]

وعن عبد العظيم الحسني قال: قلتُ لمحمد بن علي بن موسى الإمام الجواد عليه السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد عليهم السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما مُلئت ظلماً وجورا، فقال عليه السلام: «يا أبا القاسم، ما منّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلّ، وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيّه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛[٦] فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ وجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ»[٧].

---

١. *المناقب*، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٢٣٧؛ *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٤٧، ص ١٢٣.

٢. و مثله رواية سدير الصيرفي، *الكافي*، ج٢، ص ٤٢٢، و كتابنا بحوث علمية، ج ١، ص ٢٤٤.

٣. *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود العياشي، ج ١، ص ١٣٤، العدد ٤٤٤.

٤. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ٣٠٧، ح ٢.

٥. هذه الرواية تزيل قلق الذي يقول بأنّه من المستبعد أن يكون ضمن هذه القلّة الخاصة من الأنصار أي ٣١٣ رجلاً، ذلك أنّه سوف ينضم لاحقاً إلى هذا العدد أنصار كثر.

٦. سورة البقرة: الآية ١٤٨.

٧. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٧٧.

لذا، قد يكون عدد الأنصار المذكور (٣١٣ رجلاً) يشير إلى شرط الظهور، وبعد أن يقع الظهور، فإنّ تجمّع الأنصار سيكون بداية للثورة العالمية للإمام المهدي عليه السلام.

رابعاً. شعور المجتمع العالمي بالحاجة

ذكرنا سابقاً بأنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يخرج لكل شعوب العالم، لذا، لا بدّ لحكومته أن تكون بمستوى حاجات تلك الشعوب والقبول العام. بمعنى، ما لم يشعر عموم المجتمع العالمي بالحاجة له، لن يخرج الإمام. بعبارة أخرى، ينبغي لشعوب العالم أن تذوق مرارة هذه الأوضاع والظلم بدرجة كافية، وتدرك ضعف القوانين الوضعية وقصورها لإرساء العدل الاجتماعي، وتصل إلى حقيقة أنّ المشاكل لا تُحلّ في ظلّ المبادئ والعلاقات المادية وتطبيق القوانين التي وضعها البشر؛ بل لا بدّ للإنسان أن يكون متألّهاً ليمكنه حلّ جميع المعضلات والصعاب. ولتحقيق هذا الهدف العظيم، يلزم البشرية مبادئ ومنظومات جديدة مستندة إلى القيم الإنسانية والإيمان والعواطف البشرية والأخلاق؛ لا مجرّد مبادئ مادية خشبية قاصرة بلا روح.

أو لنقل بشكل أوضح، ما لم تُخلق إرادة وحاجة في شعوب العالم للإصلاح، فلن يكون لأيّ برنامج إصلاحي تأثير أو فائدة، و«قانون العرض والطلب» قبل أن يكون موضع اهتمام في القضايا الاقتصادية، أولى أن يحظى بالاهتمام بشكل خاص في مجال القضايا الاجتماعية.

لقد صدع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بعض الناس بهذه الحقيقة بعد طول ندم وذلّة على ما صدر عنهم من جهالة في حقّ الإمام، فهجموا على بيته بعد ٢٥ سنة من اعتزاله الحياة السياسية وبايعوه على أن يتولّى زمام أمورهم، فقال لهم الإمام:

«أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَي كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَي غَارِبِهَا، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا و...»[1].

في هذا الكلام النوراني دلالة على أنّ الإمام عليه السلام لم يبدِ استعداداً لتولّي الخلافة إلّا بعد أن أقبل عليه القاصي والداني ونصروه وأصرّوا على بيعته. والتاريخ يشهد بأنّه حيثما تحقّق الشرطان الثالث والرابع بالنسبة للأئمة المعصومين عليهم السلام لم يتوانوا عن بذل أيّ جهد لتطبيق العدالة والإنصاف.

---

١. الشريف الرضي، *نهج البلاغة*، الخطبة الثالثة (الشقشقية)، ص ٤٩.

والسؤال المطروح هنا: ما هي العوامل الكفيلة بتحقيق هذه الحالة من الظمأ والحاجة؟

الإجابة هي: قسم من تلك العوامل هو مرور الوقت والزمان، حيث يتعذّر بدونه، والقسم الآخر يعتمد على الإعداد والتربية على أساس التعاليم الدينية، إذ يجب أن تحدث نهضة فكرية من قبل المفكرين المؤمنين والمسؤولين الواعين في المجتمع لإعداد أعوان الإمام وأنصاره، ليشعر المجتمع العالمي من الداخل بحاجة إلى خروج الموعود المنقذ.

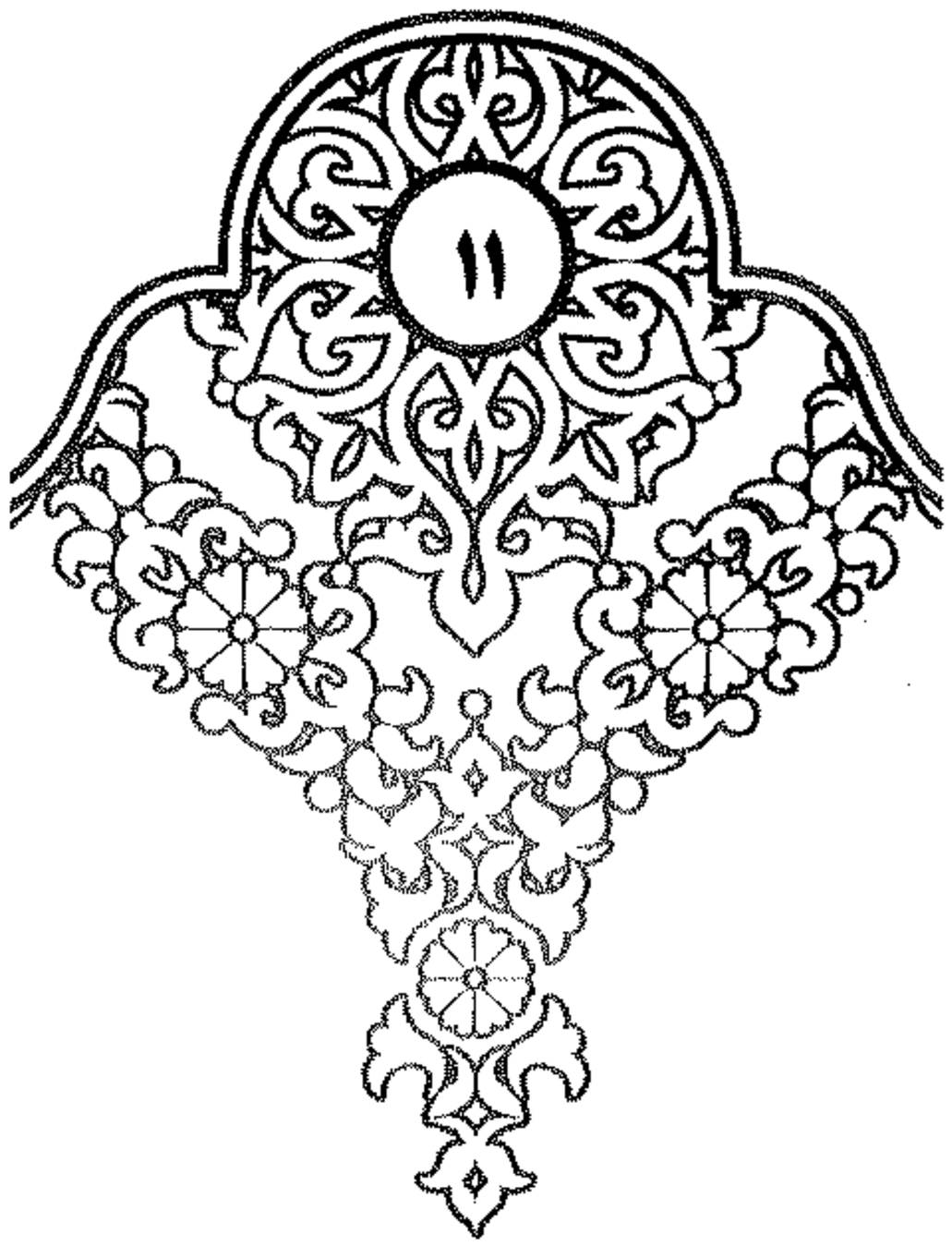

علائم الظهور

الظهور

عندما يدور الكلام عن الظهور، ينتاب الإنسان شعور محبّب. وكأنّه جالس في حديقة غنّاء على ضفاف نهر جارٍ وينصت إلى ألحان تغريدات البلابل العذبة. نعم، إنّ تجلّي الجمال ونشر الفضائل يضفي على الجسد والروح نشاطاً وحيوية، ليشعّ ضياء الفرح والسرور في مآقي الآملين المنتظرين.

في هذا الفصل، نتحدّث عن ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وما سيحدث تحت الظلال الوارفة لوجوده العيني، لنشاهد جماله الفريد وهو قادم من وراء حُجُب الغيبة.

توقيت الظهور

من الأسئلة التي تشغل أذهان الكثير من الناس هي: متى يظهر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ وهل

وُقّت أجل معيّن لظهوره؟

الجواب بالاستناد إلى كلام أئمة الدين هو أنّ وقت الظهور محجوبٌ عن الناس.

فقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله:

«كذب الموقّتون، ما وقّتنا فيما مضى، ولا نوقّت فيما نستقبل»[١].

لذلك، فالذين يوقّتون للظهور لا يستحقّون الاعتناء. لقد ورد التأكيد على هذا الأمر في الكثير من الروايات.

فعن الفضيل: سألتُ أبا جعفر الباقر عليه السلام هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون»[٢].

نستدل بوضوح من هذه الروايات أنّه كان هناك دائماً وقّاتون للظهور ولدوافع شيطانية. مثل هؤلاء الأشخاص سوف يظهرون في المستقبل أيضاً؛ لهذا السبب طلب الأئمة المعصومون عليهم السلام من شيعتهم تكذيب الوقّاتين وألّا يقفوا موقف اللامبالاة منهم.

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: «من وقّت لك من الناس شيئاً فلا تهابنّ أن تكذّبه، فلسنا نوقّت لأحد وقتاً»[٣].

سر إخفاء توقيت الظهور

كما قلنا، فإنّ وقت الظهور قد خفي علينا طبقاً لمشيئة الله الحكيم، ولا شكّ في أنّ هذه المسألة تعود لبعض أوجه الحكمة التي نستعرض بعضها فيما يلي:

استمرار الأمل

عندما يخفى علينا وقت الظهور، فإنّ نور الأمل يشعّ في قلوب المنتظرين في جميع العصور. فباستمرار الأمل وتواصله يستطيع المنتظرون مقاومة مصاعب الحياة ومضائق عصر الغيبة. فلو كان قيل للشيعة في القرون الماضية أنّ الظهور لن يقع في زمانكم، وإنّما في المستقبل البعيد، فكيف كانوا سيقاومون فتن عصرهم وبأيّ أمل؟ وكيف كان بإمكانهم تجاوز اللحظات الصعبة في عصر

---

١. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، الفصل ٧، ح ٤١٢، ص ٤٢٦.

٢. *المصدر نفسه*، ح ٤١١، ص ٤٢٥.

٣. *المصدر نفسه*، ح ٤١٤، ص ٤٢٦.

الغيبة بأمان وسلام؟

التوطئة والتمهيد

ممّا لا شكّ فيه أنّه لا يمكن تحقيق الانتظار البنّاء، الذي يعدّ من أهم عوامل النشاط والديناميكية، إلّا في ظلّ إخفاء توقيت الظهور؛ ذلك أنّ تعيين التوقيت سوف يسلب حوافز التحرّك والتوطئة للظهور من الذين لن يدركوا زمان الظهور، وسوف يجعلهم في خمود وركود. في حين أنّ إخفاء التوقيت سوف يزرع الأمل بالظهور في نفوس البشر في جميع العصور ويحفّزهم على التمهيد للظهور على أمل أن يدركوه في عصرهم، وتحويل مجتمعهم إلى مجتمع صالح ونابض.

علاوة على ذلك، فإنّه إذا تمّ تعيين توقيت الظهور، ولم يقع في الوقت الموعود لمصلحة ما، فقد يؤدّي ذلك إلى اهتزاز العقيدة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه.

عن الفضيل بن يسار عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له: لهذا الأمر وقت؟ **فقال: «كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، إنّ موسى عليه السلام لمّا خرج وافداً إلى ربّه، واعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا [تركوا دينهم واتّخذوا العجل إلهاً]، فإذا حدّثناكم بحديث فجاء على ما حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم بحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله تؤجروا مرّتين»**[1].

طبعاً وقت الظهور كما قلنا غير معلوم، ولكن ذكروا لهذا الظهور بعض العلائم، وقد رسموا ملامح مجتمع ما قبل الظهور، وهو ما سوف نناقشه في السطور التالية.

علائم الظهور

لثورة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية بعض العلائم ذُكرت في الكثير من الروايات الواردة في مصادر الشيعة وأهل السنّة على السواء. وتحتاج هذه الروايات لناحية درجة الوثاقة وكذلك المعنى والمفهوم إلى دراسة علمية، إذ بدون هذه الدراسة سنواجه في مواضع كثيرة منها غموضاً وإبهاماً.

الآثار والفوائد المترتّبة على معرفة علائم الظهور

إنّ معرفة علائم الظهور التي ذكرها المعصومين عليهم السلام تنطوي على العديد من الآثار الإيجابية نستعرض بعضاً منها كما يلي:

---

١. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٦، ح ١٣، ص ٣٠٥.

من ناحية، تعد هذه العلائم بشارات بفرج مهدي آل محمد عليهم السلام؛ لذا، فوقوع أيّ منها، سوف يزيد شعلة الأمل في قلوب المنتظرين، ومن ناحية أخرى، تعدّ هذه العلائم علامة إنذار وتحذير للمعاندين والمنحرفين ليتخلّوا عن نهج الشرّ والضلال الذي يسيرون فيه.

أضف إلى ذلك، إنّ وقوع هذه العلامات سوف يخلق استعداداً أكبر لدى المنتظرين لإدراك الظهور واكتساب جدارة الالتحاق والمواكبة والحضور في ركب الإمام الموعود. عدا عن أنّه سوف يساعد الشيعة على وضع الخطط المناسبة بفضل إطلاعهم على بعض الحوادث المستقبلية من قبيل ما ورد ضمن علائم الظهور تحت عنوان القيم المناقضة للأخلاق والرذائل والفساد الاجتماعي.

كما تشكّل علائم الظهور معياراً جيداً لتمييز الأفّاقين من مدّعي المهدوية. فإذا صادف أن ادّعى أحدهم المهدوية ولم يتطابق كلامه مع ما ورد من علائم للظهور في الروايات، فسوف ينفضح كذبه وينكشف.

أنواع علائم الظهور

ثمّة ملاحظة مهمة وهي أنّ بعض العلائم يبشّر بقرب الظهور؛ كما هو الحال مع صيحة السماء التي سوف نتحدّث عنها لاحقاً؛ والبعض الآخر يبشّر بأصل الظهور، ويهدف إلى تعزيز إيمان الشيعة واعتقادهم بالوعد بظهور المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ مثل اختلاف بني العباس على الحكم والذي ورد في أقوال الأئمة عليهم السلام كعلائم للظهور والتي تفصلها عن الظهور فترة طويلة.

وبعض علائم الظهور عبارة عن ظواهر طبيعية وعادية مثل قيام اليماني، وبعضها الآخر حوادث إعجازية غير عادية مثل صيحة السماء.

العلائم الحتمية وغير الحتمية

أهم تصنيف لعلائم الظهور هو الذي تمّ التصريح به في العديد من الروايات بتقسيمها إلى نوعين: «علائم حتمية» بمعنى أنّ وقوعها حتمي ومؤكّد، و«علائم غير حتمية» أي تقع فقط في حال توفّر شروطها وظروفها، وإذا لم تتحقّق شروطها، أو ظهرت موانع في طريق تحقّقها فلن تقع.

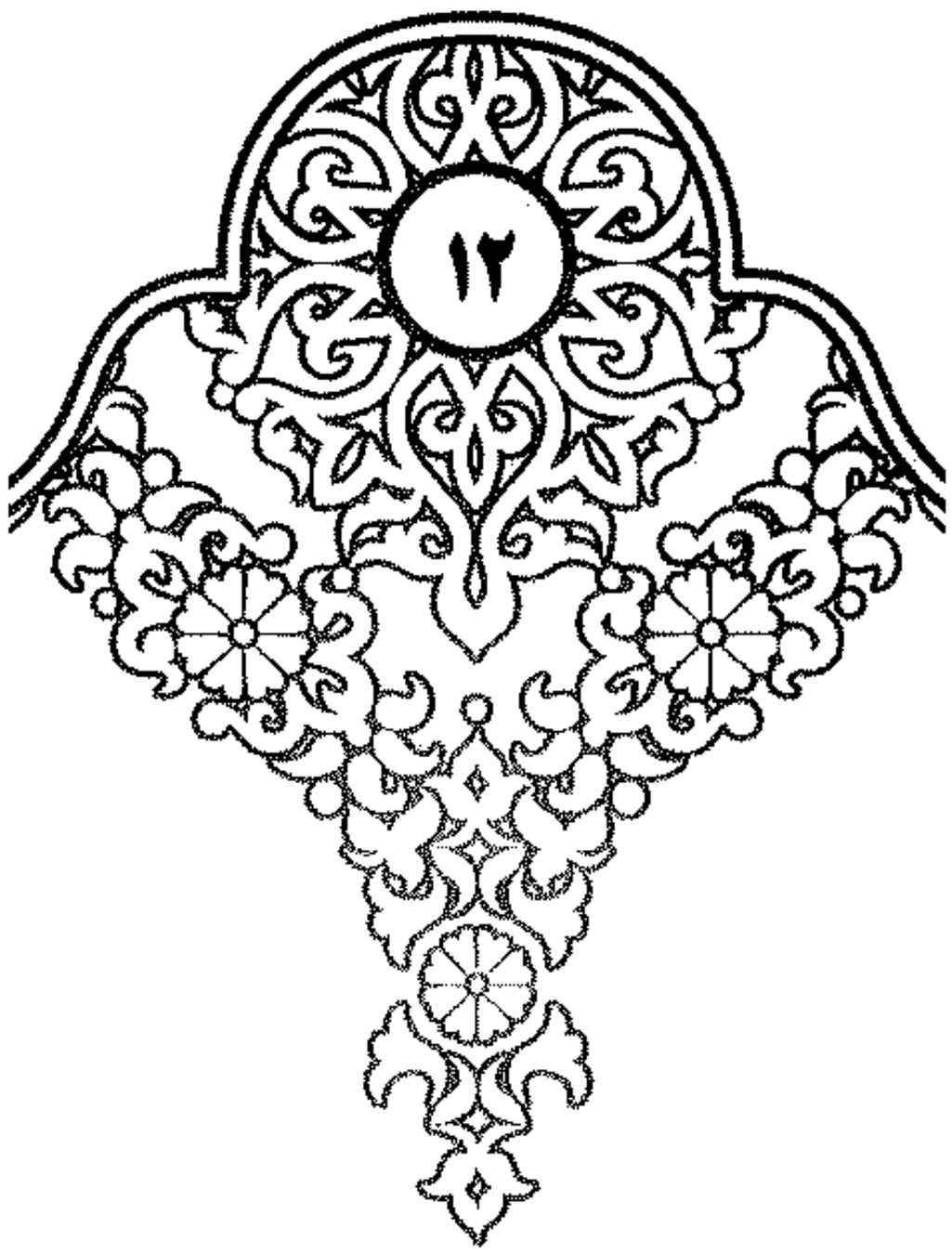

علائم الظهور الحتمية

أهم جزء في علائم الظهور هي تلك العلائم الحتمية المذكورة في العديد من الروايات، والتي استقطبت اهتمام العلماء وأهل الحديث أكثر من غيرها من العلائم وحازت على قبولهم وتأييدهم.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية»[1].

في ضوء الروايات التي استعرضناها نجد لزاماً أن نبسط البحث في هذه العلائم لنتعرّف عليها

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٥٧، ح ١، ص ٦٤٩.

بشكل أوسع وأفضل.

أ. خروج السفياني

خروج السفياني أحد العلائم الحتمية للظهور والذي ورد وصفه كثيراً في الروايات وعلى النحو التالي:

السفياني رجل من نسل أبي سفيان يخرج قبيل الظهور، وهو من العناصر الفاسدة حيث يتظاهر بالإيمان فيضلّ جماعة كبيرة من الناس، ويُعمل السيف في بعض البلدان الإسلامية فيقتل خلقاً كثيراً، ويتعاطى مع معارضيه بشكل مرعب وفظيع.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عنه:

«إنّك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس»[١].

بداية خروج السفياني يكون في شهر رجب، وبعد أن يستولي على الشام والمناطق المحيطة بها، يبعث بجيشه إلى العراق ويصيب من أهلها قتلاً وصلباً، واستناداً إلى بعض الروايات فإنّه يملك تسعة أشهر، ومن أوّل خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً[٢].

ب. خَسْف البَيداء

خسفت أي غارت وساخت، و «البيداء» منطقة بين مكة والمدينة. والمقصود بـ «خسف البيداء» هو أنّ السفياني يبعث جيشه صوب مكة لمواجهة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وحين يصل جيشه إلى منطقة البيداء، يخسف الله تعالى بجيشه الأرض.

ورد ذكر هذا الحدث في مصادر الشيعة وأهل السنّة كأحد علائم الظهور، وهو في الروايات الشيعية من العلائم الحتمية.

قال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام:

«ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة، فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه، حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران عليه السلام. فينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي منادٍ من السماء «يا

---

١. *المصدر نفسه*، ح ١٠، ص ٦٥١.

٢. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٨، ح ١، ص ٣١٠.

بيداء أبيدي القوم»، **فيُخسف بهم فلا يفلت منهم إلّا ثلاثة**»[١].

ج. خروج اليماني

خروج قائد من أرض اليمن علامة أخرى من العلائم الحتمية تقع قبيل ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وهو رجل صالح ومؤمن، يخرج على الشرور والانحرافات ويحاربها بكل ما أوتي من قوة. طبعاً تفاصيل حركته وما يقوم به غير واضحة لنا تماماً.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال في هذا الصدد:

«... وليس في الرايات رايةٌ أهدى من راية اليماني [حيث يخرج قبل ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] هي راية هدىً لأنّه يدعو إلى صاحبكم [الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] .. وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإنّ رايته راية هدىً، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه..»[٢].

د. صيحة السماء

من العلائم الحتمية الأخرى التي تقع قبيل الظهور صيحة (نداء) السماء. وطبقاً لبعض الروايات فإنّ هذا النداء هو نداء جبرائيل عليه السلام ويكون في شهر رمضان[٣]. ولمّا كان خروج المصلح العالمي عبارة عن ثورة عالمية والجميع ينتظر وقوعها، فإنّ إحدى الطرق لإطلاع شعوب الأرض على هذا الحدث العالمي هي صيحة السماء.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ينادي منادٍ من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب لا يبقى راقد إلا استيقظ»[٤].

هذه الصيحة مصدر سرور وفرح للمؤمنين، وفي نفس الوقت، إنذار للمفسدين ليرجعوا عن غيّهم ويلتحقوا بصفوف أعوان المصلح العالمي.

مضمون هذا النداء السماوي هو الدعوة إلى الحق ومساندة ونصرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واتباعه.

---

١. *المصدر نفسه*، باب ١٤، ح ٦٧، ص ٢٨٠.
٢. *المصدر نفسه*، ح ١٣، ص ٢٥٦.
٣. *المصدر نفسه*، ص ٢٥٤.
٤. *المصدر نفسه*.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«.. ولا يخرج القائم حتى يُنادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين [في شهر رمضان] ليلة جمعة»، قلت: بم يُنادى؟ قال: «باسمه واسم أبيه: ألا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلّا يسمع الصيحة.. وهي صيحة جبرئيل عليه السلام»[1].

وطبقاً لما ورد في بعض الروايات، بعد سماع صوت السماء، يخرج صوت ثانٍ من الأرض هو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنّه قُتل مظلوماً، يريد بذلك الفتنة وإضلال الناس وثنيهم عن اتباع صوت السماء ومبايعة الإمام المهدي عليه السلام. وعليه، فإنّ جبرئيل عليه السلام يدعو الناس إلى إمام الحقّ، بينما يدعوهم إبليس إلى الباطل والضلال. ومن الطبيعي أنّ المؤمنين بالإمام الغائب سوف يسعون في عصر الغيبة إلى نيل مرضاته، ويلبّون في ذلك اليوم نداء الحق، ويتّبعون إمامهم دون أدنى شك أو ترديد.

هـ. قتل النفس الزكيّة

«النفس الزكيّه» بمعنى النفس الطاهرة المنزّهة من المعاصي ولم ترتكب أيّ قتل.

من العلائم الحتمية الواردة في الروايات الشيعية ان يُقتل فتى ذو نفس زكية في المسجد الحرام بين الركن والمقام.

ويحدث هذا على يد أهل مكة وعلى مشارف خروج المهدي عليه السلام.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال:

«يقول القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف لأصحابه: «يا قوم إنّ أهل مكة لا يريدونني، ولكنّي مرسلٌ إليهم لاحتجّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجّ عليهم. ... فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: «امضِ إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلالة النبيين، وإنّا قد ظُلمنا واضطهدنا، وقُهرنا وابتز منّا حقّنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا». فإذا تكلّم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم

---

١. *المصدر نفسه*، باب ١٦، ح ٦، ص ٢٩٠.

أنّ أهل مكة لا يريدوننا»[١].

وطبقاً لما ورد في بعض الروايات: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمسة عشر ليلة»[٢].

العلائم غير الحتمية

بالإضافة إلى العلائم الخمس التي ذكرنا، هناك علائم كثيرة أخرى للظهور لكنّها غير حتمية. بعضها عبارة عن خروج الخراساني، خروج السيد الحسني، قيام شعيب بن صالح، كسوف الشمس، خسوف القمر في شهر رمضان، هطول أمطار غزيرة، وحدوث اضطرابات واسعة.

نبحث هنا في بعض هذه العلائم باختصار:

أ. خروج الخراساني

جاء في كثير من الروايات أنّ رجلا من خراسان سوف يخرج قبيل ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام وروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحقّ»[٣].

جدير بالذكر لم يرد في الروايات الشيعية بيان شافٍ عن خصوصيات الخراساني وعن خروجه؛ ولكن يبدو أنّه من الموطّئين لظهور المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ب. خروج الحسني

ذكرت الروايات الشيعية خروج رجل لقبه الحسني وعدّت ذلك من علائم ظهور الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف.

عن يعقوب السراج قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: مَتَى فَرَجُ شِيعَتِكُمْ؟ قَالَ: فقال: «إِذَا اخْتَلَفَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ... وَ ظَهَرَ الشَّامِيُّ وَ أَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ وَ تَحَرَّكَ الْحَسَنِيُّ وَ خَرَجَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ... وَ يَسْتَأْذِنَ اللهَ فِي ظُهُورِهِ فَيَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَوَالِيهِ فَيَأْتِي الْحَسَنِيَّ فَيُخْبِرُهُ الْخَبَرَ فَيَبْتَدِرُ الْحَسَنِيُّ إِلَى الْخُرُوجِ فَيَثِبُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ وَ يَبْعَثُونَ بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِيِّ فَيَظْهَرُ عِنْدَ

---

١. *بحار الانوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٠٧، ح ٨١.

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٥٧، ح ٢، ص ٥٥٤.

٣. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ح ٤٤٣، ص ٤٤٦.

ذَلِكَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فَيُبَايِعُهُ النَّاسُ وَ يَتَّبِعُونَه»[١].

يتّضح لنا من الرواية أعلاه أنّ تحرّك الحسني يحدث قبل أن ينجلي لشعوب العالم أمر ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروج الحسني ما هو إلّا توطئة للخروج الأكبر للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ج. فتنة الدجّال

«الدجّال» مشتقة من الجذر «دجْل» بمعنى الكذاب والمخادع. لقد استخدمت هذه الكلمة مراراً قبل مجيء الإسلام في المسيحية في الكتاب المقدّس (الإنجيل) بمعنى «ضدّ المسيح».

فقد جاء في الرسائل الأولى ليوحنّا:

> من هو الكذّاب، إلّا الذي يُنكر أنّ يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضدّ المسيح، الذي يُنكر الأب والابن، كلّ من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً[٢].

يبدو أنّ النبي عيسى عليه السلام قد أخبر عن خروج الدجّال، وكان يحذّر الناس من فتنته. في الدين الإسلامي أيضاً هنالك كلام حول الدجّال وخاصة في روايات أهل السنّة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأصحابه:

> «أيّها الناس، ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلّا وقد أنذر قومه الدجّال»[٣].

وكذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم:

> «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً كلّهم يزعم أنّه رسول الله»[٤].

نلاحظ في هذه الروايات أنّ الدجال ليس اسماً لشخص معيّن، بل لقب يطلق على كل كذّاب وضالّ، أمّا ما ورد في بعض الروايات بأنّه اسمٌ لشخص معيّن، وذُكرت له ولراحلته أوصاف عجيبة وغريبة فلم يثبت عندنا؛ بل يمكن أن نقول عن الدجال أنّه سوف يظهر رجل في آخر الزمان قبيل ظهور صاحب الأمر عليه السلام شديد الحيلة والمكر، ويتفوق على دجالي التاريخ كذباً وإفكاً. يضلّ بمزاعمه قوماً، ويتظاهر لهم بأنّه يمسك بحياة الناس وعيشهم. يعرّف الخير شرّاً والشرّ خيراً، وقد

---

١. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٨، ح ٢٨٥، ص ٢٢٤.
٢. ***رسالة الأولى ليوحنّا***، الإصحاح ٢، الآية ٢٢.
٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٧، ح ٢، ص ٥٢٨.
٤. ***معجم أحاديث الإمام المهدي***، نخبة من الباحثين، ج ٣، ح ٤٠٠، ص ٦٩.

بان كفره للجميع.

يشار إلى أنّ بعض العلماء يعتقد أنّ الدجّال كناية عن الاستكبار العالمي والهيمنة الثقافية المادية على العالم؛ لأنّ الاستكبار بالاستناد إلى الثروات والسلطة المادية وكذلك المكر والخداع، يقود الكثير من الناس نحو الفساد والدمار، ليصدّهم عن طريق العبودية لله، ويسوقهم نحو عبودية الشيطان. طبقا لهذا التصوّر، فإنّ «الدجّال» عبارة عن تيار منحرف يتبلور قبيل ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. لكنّه بعيد و النصوص تدلّ على خلافه.

العالم على أعتاب الظهور

لقد غاب آخر حجج الله، ليظهر بعد توفّر أسباب الظهور، ليفيض على العالمين بنور هدايته المباشر. كان بمقدور البشرية أن تتصرّف على نحوٍ يعجّل من اجتماع الشروط اللازمة لظهور الإمام؛ لكنّها ضلّت بسبب اتباعها خطوات الشيطان وأهواء النفس الأمّارة بالسوء، وابتعادها عن أصول التربية القرآنية السليمة، ورفضها ولاية المعصوم وقيادته، ليشاد في كل يوم صرح للظلم، وينتشر الفساد في أرجاء هذا العالم. فهذا الطريق الذي اختارته أوصلها إلى مصير قاتم، عالم يزخر بالظلم والاضطهاد والفساد والانحلال، وعصر يعدم الأمن الأخلاقي والنفسي، وحياة فارغة من المعنوية والنقاء، ومجتمع مليء بالعدوان وغمط حقوق الطبقات السفلى، هذا هو نتاج البشر خلال عصر الغيبة. إنّها الحقيقة التي أخبر بها المعصومون عليهم السلام مراراً قبل قرون، والصورة الكالحة التي رُسمت.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام يعظ أحد الأصحاب:

«فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَ ذَهَبَ أَهْلُهُ وَ رَأَيْتَ الْجَوْرَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ وَ رَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خَلُقَ وَ أُحْدِثَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَ وُجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ وَ رَأَيْتَ الدِّينَ قَدِ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْمَاءُ[1] وَ رَأَيْتَ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدِ اسْتَعْلَوْا عَلَى أَهْلِ الْحَقِ، وَ رَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتاً لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ وَ رَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ وَ لَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ فِرْيَتُه، وَ رَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَت وَ رَأَيْتَ الثَّنَاءَ قَدْ كَثُر،وَ رَأَيْتَ سَبِيلَ الْخَيْرِ مُنْقَطِعاً وَ سَبِيلَ الشَّرِ مَسْلُوكا،وَ رَأَيْتَ الْحَرَامَ يُحَلَّلُ وَ رَأَيْتَ الْحَلَالَ يُحَرَّم، وَ رَأَيْتَ الْعَظِيمَ مِنَ الْمَالِ يُنْفَقُ فِي سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَ جَل،وَ رَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَرْتَشُونَ فِي الْحُكْم،وَ رَأَيْتَ الْمَلَاهِيَ قَدْ ظَهَرَتْ يُمَرُّ بِهَا

---

١. أي انقلب، كفأت الاناء أي قلبته.

لَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ أَحداً وَ لَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَى مَنْعِهَا، وَ رَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ وَ خَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاع الْبَاطِلِ،وَ رَأَيْتَ طَلَبَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ لِغَيْرِ اللهِ ,وَ رَأَيْتَ قُلُوبَ النَّاسِ قَدْ قَسَت، وَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُومُ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَقُولُ هَذَا عَنْكَ مَوْضُوعٌ، وَ رَأَيْتَ كُلَّ عَامٍ يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَ الْبِدْعَةِ أَكْثَرُ مِمَّا كَان، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَ اطْلُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ النَّجَاة»[1].

طبعاً هذه الصورة القاتمة عن عصر ما قبل الظهور، هي التي كانت سائدة آنذاك؛ ذلك أنّه في هذا العصر يثبت المؤمنون الحقيقيون على عهدهم مع الله تعالى، ويحافظون على خطوطهم الإيمانية والعقدية، ولا ينصهرون في أجواء الفساد المحيطة بهم، ولا يربطون مصيرهم بالمصير الأسود للآخرين. فهؤلاء هم الأخيار من عباد الله، وشيعة أئمة الأنوار الذين جاء مدحهم في الكثير من الروايات. إنّهم طاهرون ويدعون الآخرين للطهارة، لأنّهم يرون الصلاح في إشاعة الفضائل والخيرات وبناء أجواء معطّرة بعطر الإيمان، للتعجيل بظهور إمام الفضائل وإقامة حكومة العدل العالمية، لأنّ الثورة على الشرور ممكنة عندما يكون للمصلح الموعود أعوان صالحون.

بناءً عليه، فإنّ عالم ما قبل الظهور وإن كان عصراً مريراً، إلّا أنّ عاقبته ستكون عصر الظهور الجميل، وعلى الرغم من أنّ العصر هو عصر الفساد والظلم، إلّا أنّ التطهّر ودعوة الآخرين إلى الفضائل والخيرات، هي من الواجبات الحتمية للمنتظرين، التي لها تأثير مباشر على تعجيل الفرج وظهور مهدي آل محمد ﷺ.

أوان الثورة

الكل يريد أن يعرف ما هي الوقائع التي ستحدث أثناء الثورة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ من أين سيبدأ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ثورته وكيف؟ كيف سيتعامل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف مع الجماعات المعادية؟ وكيف يستولي في نهاية المطاف على جميع أنحاء العالم، ويمسك بزمام أموره؟ هذه الأسئلة وغيرها هي التي تشغل أذهان التائقين للظهور؛ لكنّ الحقيقة هي أنّ الحديث عن وقائع الظهور أمر جدّ مشكل، لأنّه إخبارٌ عن حوادث المستقبل، والتنبؤ بحوادث لم تقع بعد، ممّا يتعذّر، بطبيعة الحال،

---

١. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٨، ح ٧، ص ٣٦.

إعطاء معلومات دقيقة عن تلك الحوادث.

لذا، فما سنذكره في هذا الفصل، عبارة عن حوادث ووقائع عصر ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالاستناد إلى روايات مستقاة من عدّة مصادر، والتي تتيح رسم پانوراما عن حوادث عصر الظهور.

كيفية الثورة

عندما يتوشّح وجه العالم بسواد الظلم وظلمة الفساد، وحين يجعل الظالمون من طول الأرض وعرضها مضماراً لشرورهم وغدرهم، ويرفع مظلومو العالم أيديهم بالتضرّع والدعاء إلى السماء، سوف تصدح السماء فجأةً بصيحة تجلجل ظلمة الليل، لتزفّ بشارة ظهور الموعود الأكبر في شهر الله رمضان المبارك[١]. فتنبض القلوب لهذه البشرى، وتشخص الأبصار، فيضطرب خفافيش الليل لبزوغ فجر الإيمان، فيشرعون بالتفتيش عن مخارج وحلول، بينما تجد منتظري المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يسألون كل مستطرق عن ديار الحبيب، وتراهم ضيّعوا الكلمات والحروف من أجل لقائه والالتحاق بزمرة أعوانه وأنصاره.

في ذلك العصر، عندما تستوسق الأمور للسفياني ويبسط سلطانه على بلاد واسعة بدءاً بسورية والأردن وفلسطين، سوف يجهّز جيشاً لمواجهة الإمام. وفي مسيره إلى مكة لملاقاة الإمام تخسف به الأرض وبجيشه في منطقة يقال لها البيداء وتبتلعهم[٢].

بعد شهادة الفتى ذي النفس الزكية بفترة قصيرة يظهر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بمكة في هيئة شاب، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان، وقد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به، وينشد بين الركن والمقام[٣] نشيد الظهور، وبعد أن يحمد الله ويثني عليه ويصلّي على محمد وآله يقول:

«يا أيّها الناس! إنّا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس؟ فإنّا أهل بيت نبيّكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن أولى الناس بالله وبمحمد فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لمّا أبلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحقّ الله، وبحقّ رسوله وبحقّي، فإنّ لي عليكم حقّ القربى من رسول الله إلّا أعنتمونا، ومنعتمونا ممّن يظلمنا، فقد أُخفنا وظُلمنا، وطُردنا من ديارنا وأبنائنا، وبُغي علينا، ودُفعنا عن حقّنا، وافترى أهل

---

١. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٤، ح ١٧، ص ٣٦٥.

٢. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٣، ح ١، ص ١٠.

٣. المقصود بمقام النبي إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام بالقرب من الكعبة المشرّفة، والمقصود بـ«الركن»، ركن الحجر الأسود.

الباطل علينا، فالله الله فينا، لا تخذلونا، وانصرونا ينصركم الله تعالى».

وبعد انتهاء الإمام عليه السلام من خطبته، يسابق أهل السماء أهل الأرض، فينزلون أفواجاً أفواجاً لمبايعة الإمام، يتقدّمهم أمين الوحي جبرئيل عليه السلام، فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة ثلاثة عشر رجلاً، ويجمعهم الله له على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف، فيبايعونه بين الركن والمقام، وما يخرج إلّا في أولي قوة، وما تكون أولو القوة أقلّ من عشرة آلاف[١].

ثم يسير الإمام عليه السلام بجحافل الأعوان رافعاً راية الثورة، فيستولي على مكة وأطرافها بسرعة، ويطهّر أرض النبي الأكرم من دنس الأرجاس. بعد ذلك يتّوجه صوب المدينة المنوّرة لينشر العدل والمحبة في ربوعها، ويقمع أشرارها. ومن ثمّ يشدّ الرحال إلى العراق، ويتّخذ الكوفة عاصمة لحكومته العالمية، ومنها يدير دفّة شؤون العالم، ويدعو العالمين إلى الإسلام والعيش في ظلّ أحكام القرآن، ويطوي بساط الظلم والجور، ويرسل فيالق النور إلى مختلف أرجاء المعمورة.

وسوف يفتح الله تعالى على يدي الإمام عليه السلام كل بلدان العالم الواحدة تلو الأخرى، لأنّه سوف يحظى بمدد إلهي من الملائكة بالإضافة إلى أعوانه الأوفياء المؤمنين، ويسير بسيرة جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعانة بجيش الرعب؛ بمعنى أن الله القادر سوف يلقي الرعب في قلوب أعدائه فتعجز أيّ قوة عن الوقوف بوجهه.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«القائم منّا منصورٌ بالرعب، مؤيّدٌ بالنصر»[٢].

هذا وقد روي بأنّ إحدى البلاد التي سيقوم الإمام عليه السلام بفتحها هي القدس[٣]. ومن ثمّ يقع حدث مبارك جداً يكون مصيرياً في مسار ثورة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فيقوّي جبهته، هذا الحدث هو نزول النبي عيسى المسيح عليه السلام من السماء. فالنبي عيسى عليه السلام حيّ في السماء كما يقول القرآن الكريم، وسوف ينزل إلى الأرض ويصلّي خلف الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليعلن للجميع عن فضل الإمام الثاني عشر للشيعة عليه، وسيره خلفه.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

---

١. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٤، ح ٦٧، ص ٣٩٤.
٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٢، ح ١٦، ص ٦٠٣.
٣. ***معجم أحاديث الإمام المهدي***، نخبة من الباحثين، ج ٤، ح ٦٦١، ص ١٧٥.

«والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[١].

وبعد أن يصلّي النبي عيسى عليه السلام خلف المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يؤمن خلق كثير من المسيحيين الذين يشكّلون أغلبية سكانية في العالم بإمام الشيعة، وكأنّ الله تعالى قد أبقى على النبي عيسى عليه السلام لمثل هذا اليوم، ليكون سراجاً يهتدي بنوره طلاب الحق.

طبعاً وقوع المعجزات على يد الهداية المهدوية، ووضع المشاريع الفكرية لهداية البشرية، هي من بين برامج الثورة الكبرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لتفتح طريق الهداية أمام الناس.

وفي هذا الإطار يستخرج الإمام عليه السلام ألواح التوراة الأصلية غير المحرّفة – الكتاب المقدس عند اليهود- المدفونة في نقاط معينة من العالم[٢]، وبعد أن يجد اليهود أوصاف الإمامة للمهدي في الألواح، يؤمنون به، وكذلك الحال مع أتباع الديانات الأخرى يدخلون في زمرة الإمام أفواجاً أفواجا، بعد أن يواكبوا هذا التحوّل العظيم، ويسمعون نداء الحقّ من الإمام، ويشاهدوا المعجزات المتتالية على يده. وبذلك ينجز الله تعالى وعده المحتوم، وينتشر الإسلام الحنيف في ربوع هذا العالم، تماماً كما بشّر بذلك القرآن الكريم:

﴿هُوَالَّذِي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَ دينِ الْحَقِّ لِيظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّه وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

وفي ظلّ هذه الصورة المرسومة، فإنّ الجبارين والظالمين فقط سوف يتخلّفون عن اتّباع الإمام، والتسليم للحقّ والحقيقة. ولكن لا قِبل لهذه الشرذمة القليلة بمقاومة التيار الغالب والأكثرية المؤمنة، لذا، فسوف تنال القصاص العادل بسيف العدالة المهدوية، جزاءً على ما اقترفته من أعمال شريرة، وتتطهّر وأهلها من الفساد والشرّ إلى الأبد.

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ص ٧١.
٢. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ٢٦، ص ٣٣٥.
٣. سورة التوبة: الآية ٣٣.

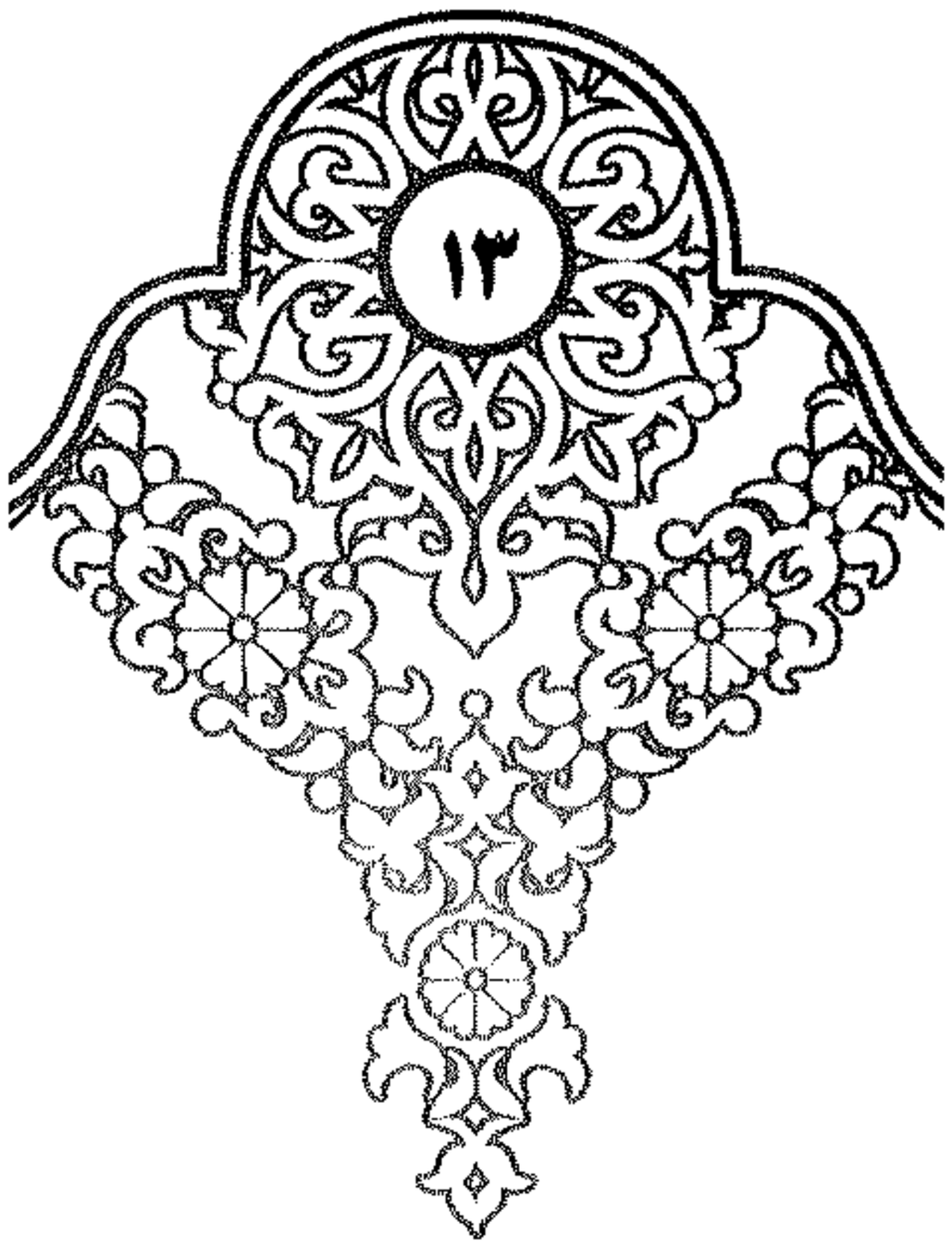

برامج حكومة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

بعد أن تنقشع السُحُب القاتمة، وتضيء الشمس على العالم بنورها وتقرّ عيون المنتظرين بالخضرة والمروج، بعد حرب لا هوادة فيها ضدّ الفساد والانحلال والنذالة، يأتي دور إرساء أسس حكومة العدل، فتقول العدالة كلمتها، ليوضع كلّ واحد وكل شيء في موضعه، وإعطاء كل ظاهرة سهمها بمقتضى الحقّ والعدل. ليعيش العالم، أخيراً، تحت ظلّ حكومة تتقوّم بالحقّ والعدل، حتى لا يتعرّض أحد يعيش في كنفها لأدنى ظلم أو إجحاف. حكومة تتجلّى فيها صفات الجمال والجلال لربّ العالمين، لتحقّق البشرية قاطبة في ربوعها جميع أهدافها.

أهداف الحكومة

من المعلوم أنّ الهدف من خلق الوجود هو كمال الإنسان وقربه من مصدر الكمال وهو الحقّ

تعالى، ولتحقيق هذا الهدف العظيم، لا بدّ من توفّر الأسباب والأدوات التي تتكفّل بهذه المهمة، والحكومة العالمية للإمام صاحب الزمان عليه السلام هي بصدد توفير أسباب القرب إلى الله تعالى ورفع الموانع والعوائق التي تعترض هذا الطريق.

الإنسان كائن مركّب من بعدين: الجسم والروح، وعلى هذا الأسس تنقسم احتياجاته إلى مادية ومعنوية، لذا، فمن أجل الوصول إلى الكمال، يلزمه أن يسير بخطوات مدروسة في كلا البعدين، وفي هذا الإطار، تظلّ «العدالة»، وهي الإنجاز الأعظم للحكومة الإلهية، الضمانة الأكيدة لسلامة رشد الإنسان في سيره المادي والمعنوي.

بناءً عليه، فإنّ أهداف حكومة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف تتوزّع على محورين: الرشد المعنوي وتطبيق العدالة.

الرشد المعنوي

من أجل الوقوف على عظمة الأهداف المذكورة وأهميتها يلزمنا أن نلقي نظرة سريعة على حياة البشرية عبر مسيرتها تحت حكم الطواغيت.

في البدء، نريد أن نتعرّف على الموقع الذي صارت المعنويات والقيم المعنوية تحتلّه اليوم في حياة الإنسان بعد طول ابتعاده عن حكومة الحجّة الإلهية. تعيش البشرية في العصر الراهن في تيه وضياع، وما انفكّت تعود القهقرى في طريق المعنوية، بسبب انقيادها وراء الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية، ممّا أدّى بها إلى فقدان جماليات الحياة وفضائلها الواحدة تلو الأخرى، وقامت بدفنها بيديها في مقبرة شهواتها. فحلّت الرذائل والأهواء والشهوات والغرائز الحيوانية والكذب والغش والأنانية والانتهازية والخيانة والجريمة والطمع والحرص محلّ الطهارة والعفّة، والصدق والاستقامة، والتعاون والتعاضد، والصفح والإيثارية، والإحسان؛ وباختصار، فإنّ المعنوية البشرية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وفي كثير من البلاد ومعظم الأفراد لم يتبقّ منها سوى بعض الآثار الأطلال.

لذا، فحكومة آخر الذخائر الإلهية سوف تعمل على إحياء هذا الجزء في وجود الإنسان، ونفخ الروح من جديد في هذا الجسد المكتئب؛ لتعيد حلاوة الحياة الحقيقية مرة أخرى إلى الإنسان، مسجود الملائكة، ولتذكّر الجميع أنّه كان مقرّراً لهم منذ البداية أن يتنفسّوا أنسام هذه الحياة، وأن تملأ أنوفهم عبقات الطهارة والفضائل، وفقاً لما يقوله القرآن الكريم:

﴿يا اَيهَا الَّذينَ امَنُوا اسْتَجيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ اِذا دَعاكُم لِما يحْييكُم...﴾[1].

إذن، فالحياة المعنوية تشكّل المائز الذي يميّز بني البشر عن الحيوانات، والقسم الأعظم والرئيسي في وجود الإنسان؛ ذلك أنّه لم يُسمَّ «ابن آدم» إلّا لأنّه يحوز على الحياة المعنوية التي توصله إلى الله تعالى خالق الحياة، ليحظى بمقام القرب من الله.

من هنا فإنّه في ظلّ حكومة ولي الله، سوف يتمّ تنشيط هذا البعد في الوجود الآدمي للفرد، وإحياء القيم الإنسانية في جميع الأبعاد وإبرازها. ونشر النقاء والحميمية والإيثارية والوفاء والصدق والاستقامة و.. وكل ما يطلق عليه فضيلة في كل نقطة من هذا العالم.

طبعاً بلوغ هذا الهدف العظيم والنقطة المضيئة، يحتاج إلى برنامج دقيق وشامل، وهو ما سنأتي على شرحه في الفقرات القادمة.

نشر العدل

لعلّ أكبر جرح في جسد المجتمع البشري على مدى القرون والعصور الماضية هو الظلم والجور الذي ينتشر في هذا المجتمع. لقد حُرمت البشرية على الدوام من حقوقها في مختلف الميادين، ولم يتم توزيع الثروات المادية والمعنوية بالعدل والإنصاف بين الناس أبداً. فغالباً ما تجد بطون متخومة إلى جانب أكباد حرّى وبطون خاوية، وعلى مقربة من القصور الفارهة الممتدة لآلاف الأمتار أناس يعيشون على هامش الحياة ويصلون الليل بالنهار على أرصفة الشوارع، أو في عشوائيات تفتقر لأبسط مقومات العيش الكريم. وأنّ مراكز القوى الممسكة بالمال والسلطة تسترقّ الضعفاء والبؤساء وتستعبدهم، لتهوي سياط الموت للجنس الأبيض على ظهور الجنس الأسود – لا ذنب لهم سوى لونهم الأسود-. وبكلمة واحدة، فإنّ حقوق الضعفاء والبؤساء تسحق دائماً تحت وطأة أهواء المتسلّطين وأطماعهم، فأصبح الإنسان يعدّ الأيام واللحظات لبلوغ حلم العدالة والمساواة، وينتظر اللحظة التي يحين فيها عصر ازدهار العدالة.

وعاقبة هذا الانتظار حلول العصر الأخضر لحكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بوصفه أعظم إمام عادل خرج لتطبيق العدل في العالم وفي جميع ميادين الحياة. لقد ذُكرت هذه الحقيقة الرائعة في الكثير من الروايات وهي بشارة ظهوره.

---

١. سورة الأنفال: الآية ٢٤.

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، كذلك سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول»[١].

ولدينا العشرات من الروايات التي تتحدّث عن العدالة العالمية واجتثاث الظلم والجور في ظلّ حكومة آخر موعود.

لا بأس أن نعلم بأنّ العدل هو من أبرز خصوصيات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ بنحوٍ أصبح لقبه في بعض الأدعية:

«اَللّهُمَّ وَ صَلِّ عَلى وَلِي اَمْرِكَ الْقائِمِ الْمُؤَمَّل وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَر»[٢].

نعم، لقد وضع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف العدل على رأس أهداف ثورته، لأنّه القاعدة التحتية للحياة الحقيقية في جميع أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية، فأهل الأرض بدون عدل هم أموات بلا أرواح.

قال الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير الآية الكريمة «اِعْلَمُوا اَنّ اللهَ يحْيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها»[٣]:

«ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله عزّ وجلّ رجالاً، فيحيون العدل، فتحيا الأرض لإحياء العدل، و لإقامة الحدّ فيها، أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحا»[٤].

وتعبير «يحْيي الأَرْضَ» إشارة إلى أنّ العدالة المهدوية هي عدالة شاملة تغطّي أنحاء المعمورة، لا في بعض البلاد أو لبعض الأفراد.

برامج الحكومة

بعد أن تعرّفنا على أهداف الحكومة، يلزمنا الآن مناقشة برامج الحكومة للوصول إلى الأهداف المذكورة، ليتسنّى رسم نموذج لعصر ما قبل الظهور، من خلال معرفة مسار النشاطات في عصر الظهور المشرق، وكذلك ليتعرّف منتظرو المنقذ الأكبر للعالم على مناهج الحكم والبرامج التنفيذية

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٠، ح ٤، ٥٨٤.

٢. ***مفاتيح الجنان***، دعاء الافتتاح.

٣. سورة الحديد: الآية ١٧.

٤. في ضوء الروايات الأخرى التي فسّرت الآية بعصر الإمام المهدي عليه السلام فإنّ المقصود بـ«الرجال» في هذه الرواية الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره (***تفسير البرهان***، ذيل الآية أعلاه).

للإمام صاحب الزمان عليه السلام، ليهيّأوا أنفسهم ومجتمعهم للحركة في هذا الطريق.

لو رجعنا إلى العديد من الروايات المتاحة حول عصر حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سنجد أنّ برامج الحكومة تتوزّع على ثلاثة محاور رئيسية: البرامج الثقافية، البرامج الاجتماعية، البرامج الاقتصادية.

بعبارة أخرى، لقد ابتلي المجتمع البشري بالانحطاط الثقافي لابتعاده عن التعاليم الأصيلة للقرآن وسيرة أئمة الدين، ممّا يستدعي إعادته إلى حضن القرآن والعترة في ظلّ ثورة ثقافية كبرى.

كما يقتضي الأمر وضع «**برنامج اجتماعي شامل**» ليبرء المجتمع من الجروح المختلفة التي أصيب بها جسده، ووضع وتنفيذ خطط سليمة تضمن حياة حقيقية للمجتمع، وأن يتمتّع الجميع بحقوق إلهية وإنسانية، بدلاً من الأساليب الظالمة التي جرّت المجتمع إلى الفوضى والفساد والانحلال وضياع حقوق الضعفاء.

ومن أجل تهيئة أجواء الاعتلاء الثقافي والرشد الاجتماعي، هناك حاجة ماسة لوضع برنامج اقتصادي متكامل يتيح استغلال جميع الإمكانات المادية الأرضية بشكل عادل ومنصف وفي إطار مناسب. او بعبارة اوضح، من خلال الاستفادة القصوى من المواهب الربانية، يمكن تحقيق النمو الاقتصادي وتأمين العيش الكريم لجميع الطبقات وفي جميع الأجواء والبلاد.

بعد عرض إجمالي لبرامج حكومة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف نتناولها بالبحث المفصّل بالاستناد إلى روايات المعصومين عليهم السلام، ونقف عند أهم برامج الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في كل حقل:

أ. البرنامج الثقافي

جميع النشاطات الثقافية في حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية تسير في إطار الرشد والاعتلاء العلمي والعملي للناس، ومحاربة الجهل والخرافة على جميع المستويات.

أهم محاور الجهاد الثقافي في حكومة الحقّ ستكون:

١. إحياء الكتاب والسنّة

بعد أن كان في جميع العصور غريباً ومهجوراً ومنسياً على هامش الحياة، سوف يعود القرآن الكريم بتعاليمه الحياتية إلى جميع مجالات الحياة الإنسانية في ظلّ حكومة آخر الحجج الإلهية. وكذلك الأمر مع السنّة الشريفة المتجسّدة في سيرة أئمة الدين، التي سوف تُتّخذ كأفضل قدوة للحياة الإنسانية، ليكون القرآن الكريم والعترة الطاهرة ميزاناً وحكماً لتقييم أعمال كل إنسان.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلام بليغ يصف فيه حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف القرآنية:

«يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن، إذا عطفوا القرآن على الرأي»[١].

وفي كلام آخر له عليه السلام يبشّر فيه بعصر ظهور القرآن وحضوره في حياة البشر:

«... كأنّي أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة، قد ضربوا الفساطيط، يعلّمون الناس القرآن كما أُنزل، أما إنّ قائمنا إذا قام كسره، وسوّى قبلته»[٢].

تعلّم القرآن وتعليمه هي نقطة الشروع لترويج الثقافة القرآنية وحاكمية القرآن وأحكامه في جميع الميادين الفردية والاجتماعية.

٢. نشر المعرفة والأخلاق

جلّ تركيز القرآن الكريم وتعاليم أهل البيت عليهم السلام على الرشد الأخلاقي والمعنوي للبشر؛ ذلك أنّ الأخلاق هي أهمّ عامل وراء رشد الإنسان وكماله وسيره نحو الهدف المتعالي للخلقة. فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف الهدف من نبوته هو تتميم مكارم الإخلاق[٣]، كما أنّ القرآن يصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه أعظم قدوة سلوكية لجميع البشر[٤]، ولكن بسبب ابتعاد البشرية عن إرشادات القرآن وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، بانت مظاهر الانحطاط الأخلاقي على جميع مفاصل المجتمعات الإنسانية، لا سيّما المجتمع المسلم، وهذا الانحراف عن القيم الأخلاقية هو في حدّ ذاته من العوامل المهمة في تحطيم الحياة الفردية والاجتماعية للبشر.

إنّ حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المجسّدة لحكومة الله والقيم الإلهية في العالم، تضع موضوع الترويج للأخلاق على رأس برامجها.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إِذا قامَ قائمُنا وَضَعَ يدَهُ عَلى رُؤُوسِ الْعِبادِ فَجَمَعَ بِهِ عُقُولَهُمْ وَ اَكْمَلَ بِهِ اَخْلاقَهُمْ»[٥].

---

١. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٣٨.

٢. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ٢١، ح ٣، ص ٣٣٣.

٣. قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّما بُعثتُ لأتمّمَ مكارمَ الأخلاق» (*بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٦٨، ح ١٧، ص ٣٨٢).

٤. إشارةً إلى الآية الكريمة ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾. (سورة الأحزاب: الآية ٢١).

٥. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٧١، ص ٣٣٦.

نستنبط من هذا التعبير الكنائي الرائع أنّه في ظلّ حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، حكومة الأخلاق والمعنوية، سوف تتهيّأ الأرضية المناسبة من أجل الرشد والكمال العقلي والأخلاقي للبشرية، فكما أنّ الأخلاق الرذيلة والمنحطة هي من نقص العقل البشري، فكمال العقل مدعاة لبروز الأخلاق الصالحة والحسنة لدى الإنسان.

من ناحية ثانية، فإنّ الأجواء المفعمة بالهداية القرآنية والسنن الإلهية، تسوق الإنسان نحو الفضائل والخيرات، لذا، فجميع الانجذابات في الباطن والخارج تنساق صوب الفضائل والجماليات، وعلى هذا النحو تصبح الفضائل الإلهية والإنسانية عالمية وشمولية.

٣. النهضة العلمية

من بين البرامج الثقافية لحكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو نفسه مصدر العلوم ورأس كل علماء عصره[١]، النهضة العلمية وتنمية العلوم البشرية التي سوف تحدث بشكل عظيم وغير مسبوق.

ففي حديث شريف للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تناول هذا الموضوع بعد أن بشّر بظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قائلاً:

«... تاسعهم القائم الذي يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض نوراً بعد ظلمتها، وعدلاً بعد جورها، وعلماً بعد جهلها،[من صلب الإمام الحسين عليه السلام]...»[٢].

هذه النهضة العلمية والفكرية سوف تكون عامة وشاملة لجميع الشرائح والطبقات في المجتمع، ولا فرق بين الرجل والمرأة في خضم هذا التطوّر والازدهار؛ إذ إنّ المرأة أيضاً سوف ترتقي أرفع الدرجات العلمية والدينية.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«وتؤتون الحكمة في زمانه [الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

ويدلّل هذا الكلام على الوعي العميق بآيات القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام لأنّ مسألة القضاء

---

١. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً». *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ١، ص ٣٠٥).

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٢٤، ح ٥، ص ٤٨٧.

٣. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ٣٠، ص ٣٣٧.

أمر جدّ صعب وثقيل.

٤. محاربة البدع

البدعة في مقابل «السنّة» وتعني إدخال الآراء الشخصية داخل الدين والاعتقاد.

وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أهل البدع بقوله:

«أمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا»[١].

إذن، فالبدعة تعني مخالفة الله وكتابه ونبيّه، وتحكيم الأهواء النفسانية، والعمل بالاستناد إلى الميول الشخصية، وهي طبعاً تختلف عن البحث التحليلي المبتكر المستلهم من الكتاب والسنّة والقائم على أسس المعايير الإلهية. البدعة تهدم نهج الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا آفة أكثر ضرراً وتحطيماً على الدين من البدعة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ماهَدَمَ الدّينَ مِثْلُ البِدَعِ»[٢].

لهذا، فإنّ من واجب المتمسّكين بالسنّة أن يقفوا بوجه المبتدعين، ويميطوا اللثام عن غشّهم ومكرهم، وتعرية نهجهم الضالّ أمام الناس لئلا يقعوا في حبائل الضلال.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ»[٣].

من المؤسف القول أنّه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسنّته الواضحة، لم يتورّع المبتدعون عن إدخال البدع في الدين، ونشر الانحرافات والتدليس في طريق الإيمان، وفتح باب الضلالات أمام الناس! وبذلك تمكّنوا من قلب صورة الدين وتشويهها، وتغطية وجهه الناصع بحُجُب أهوائهم وميولهم الشخصية. وفي هذه الأثناء بذل الأئمة المعصومون عليهم السلام ومن ورائهم علماء الدين جهوداً حثيثة في هذا الصدد، لكنّ تيار البدعة والتنكّر للسنّة كان قوياً وازداد قوة وشراسة في عصر الغيبة.

والآن، العالم ينتظر صاحب الدين وموعود القرآن أن يظهر، لتُبعث السنن الإسلامية الأصيلة من

---

١. ***كنز العمال***، المتقي الهندي، ج ١٦، ح ٤٤٢١٦، ص ١٨٢.
٢. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٧٨، ح ٩٨، ص ٩١.
٣. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، باب البدع والرأي والمقاييس، ح ٢، ص ٥٤.

جديد تحت الظلال الوارفة لحكومته الرشيدة، وتُمات البدع وتجتثّ. ولا شكّ في أنّ محاربة البدع والضلالات سوف تكون على رأس أولويات حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وبرامجها الإصلاحية، لتتبلور ظروف هداية البشرية ورشدها وتعاليها.

في حديث طويل وصف فيه عصر ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قال الإمام الباقر عليه السلام:

«... وَلايَتْرُكُ بِدْعَةً اِلاّ اَزالَها وَ لاسُنَّةً اِلاّ اَقامَها...»[1].

ب. البرنامج الاقتصادي

الاقتصاد السليم هو من المؤشّرات البارزة على المجتمع السليم. إذا استطاع المجتمع الاستفادة القصوى من ثرواته وعلى أكمل وجه، وحال دون احتكار فئة قليلة لوسائل الإنتاج والتوزيع، وكان اهتمام الحكومة موزّعاً على جميع الشرائح والطبقات، ووضعت في متناول الجميع إمكانية الاستفادة من الثروات، فإنّها بذلك ستعمل على صنع مجتمع تتوفر فيه المحفّزات بشكل أكبر على الرشد المعنوي. حظي البعد الاقتصادي وتحسين الوضع المعيشي للناس برعاية واهتمام القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام؛ من هنا نتبيّن أنّ لدى حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف القرآنية برنامج شامل ومدوّن للاقتصاد العالمي يقوم أولاً على تنظيم موضوع الإنتاج، والاستفادة القصوى من مصادر الثروة الطبيعية والمواهب الربانية على أفضل وجه، ثانياً، توزيع الثروة الحاصلة على جميع الطبقات بصورة عادلة. ومن المناسب هنا أن نلقي نظرة على الروايات في هذا الصدد.

١. الانتفاع من مصادر الثروة الطبيعية

من بين المشاكل التي يعاني منها حقل الاقتصاد الاستغلال غير الرشيد وغير المناسب للمواهب الربانية، فنحن نلاحظ في الوقت الحاضر عدم الاستغلال الأمثل لطاقات الأرض، وكذلك الحال بالنسبة للمياه، فهي لا تُستغلّ بصورة صحيحة في عملية إحياء الأراضي. في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وببركة قيام حكومة الحق، سوف ترسل السماء خيراتها مدراراً لترتوي الأرض ولا تدع شيئاً من النبات إلّا أخرجته.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«... وَلَوْ قَدْ قامَ قائِمُنا لاَنْزَلَتِ السَّماءُ قَطْرَها وَ لاَخْرَجَتِ الاَرْضُ نَباتَها...»[1].

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٨، ح ١١، ص ١١.

في عصر حكومة آخر حجج الحقّ، ستكون الأرض وكل إمكاناتها في متناول يد إمام الأخيار، وبذلك تتوفّر ثروة هائلة من أجل وضع خطط اقتصادية سليمة.

روي عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«...تُطْوي لَهُ الأَرْضُ وَ تَظْهَرُ لَهُ الْكُنُوزُ...»[٢].

٢. التوزيع العادل للثروة

تكديس الثروات عند فئة خاصة وقليلة هو من أهم أسباب الاقتصاد المريض في المجتمعات الإنسانية. وقد كان الحال على هذا المنوال على مرّ العصور، وهو أن تمنح قلّة من الأفراد أو الجماعات لنفسها، لأيّ سبب كان، امتيازات واسعة، فتقبض على منابع الثروة الوطنية وتستغلّها لأغراضها ومصالحها الشخصية والفئوية الخاصة. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يتصدّى لهذه الفئة المستغلّة، ويضع الثروة العامة في متناول كل الناس، وسوف يبيّن للجميع حقيقة العدل العلوي.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إِذا قامَ قائِمُ اَهْلِ الْبَيتِ قَسَّمَ بِالسَّوية وَعَدَلَ فِي الرَّعِيةِ...»[٣].

في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يتمّ تطبيق مبدأ المساواة، وسوف يتمتّع الجميع بحقوقهم الإنسانية والإلهية بشكل تامّ.

وفي هذا الصدد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«أبشّركم بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يُبعث في أمّتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسّم المال صحاحاً»، فقال له رجل: وما صحاحاً؟ قال: «السويّة بين الناس»[٤].

وثمرة هذه المساواة على صعيد المجتمع اجتثاث جذور الفقر والعوز، ورفع الفواصل الطبقية.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

---

١. ***الخصال***، باب أربعمائة، ح ١٠، ص ٦٨٥.

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٢، ح ١٦، ص ٦٠٣.

٣. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ٢٦، ص ٢٤٢.

٤. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ح ٣٧، ص ٨١.

«... الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يسوّي بين الناس، حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة»[١].

٣. العمران

في الحكومات البشرية يجري إعمار مجالات معينة في البيئة الحياتية تكون مرتبطة بالحكام والمقرّبين منهم ومناصريهم أو الطبقة الارستقراطية والوجهاء وأصحاب النفوذ، بينما يتمّ تجاهل سائر الطبقات الأخرى؛ أمّا في حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه سيتمّ تنظيم مسألة الإنتاج والتوزيع بشكل يكفل وصول الثروة والعمران إلى جميع المناطق.

يقدّم الإمام الباقر عليه السلام وصفاً لعصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«... فَلا يبْقى فِي الأَرضِ خَرابٌ إِلاّ عُمِّرَ...»[٢].

ج. البرنامج الاجتماعي

أحد أبعاد إصلاح هيكل المجتمع الإنساني يتمثّل في وضع البرامج الاجتماعية. في حكومة ناشر العدل الأكبر في العالم هنالك برامج منبثقة من تعاليم القرآن الكريم والسنّة المطهرة لأهل البيت عليهم السلام من أجل تنظيم المجتمع، وبفضل تطبيق هذه البرامج فإنّ بيئة الحياة ستكون أكثر تهيّؤاً واستعداداً لرشد الأفراد وكمالهم. في عالم تحكمه حكومة إلهية، فإنّ الفرصة سوف تكون مواتية لترويج الفضائل والنهي عن الرذائل، والتصدّي للأشرار طبقاً للقوانين. كما سوف تُمنح الحقوق الاجتماعية للأفراد طبقاً لمبدأ المساواة، ويتمّ تطبيق العدالة الاجتماعية بحذافيرها وبالمعنى الحقيقي للكلمة.

ومن المناسب أن نتوقّف هنا عند الروايات لنطلّ من هذه النافذة على بعض المناظر الرائعة من ذلك العالم:

١. إحياء ونشر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

سوف تعمل الحكومة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العظيمة وبصورة واسعة؛ تلك الفريضة التي لطالما أكّد عليها القرآن الكريم، وعدّها من

---

١. *المصدر نفسه*، ح ٣٨، ص ٩٢.

٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٣٢، ح ١٦، ص ٦٠٣.

خصوصيات الأمة الإسلامية بوصفها صفوة الأمم[١]، والتي بها تقام كلّ الفرائض الإلهية[٢]، وفي تركها سبب رئيسي في تحطيم الفضائل، وتنامي الرذائل في المجتمعات وانتشارها.

من أفضل وأسمى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون الحاكم والمسؤولون هم أنفسهم الآمرون بالفضائل والناهون عن القبائح.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«اَلْمَهدي وَ اصْحابُهُ... يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ ينْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»[٣].

٢. محاربة الفساد والرذائل الأخلاقية

في ظلّ الحكومة المهدوية لن يكون النهي عن المنكر، الذي يشكّل أحد سمات الحكومة الإلهية، باللسان فقط، وإنّما بالعمل والتصدّي للمنكرات والقبائح، حتى لا يبقى ملجأً آمناً للفساد والرذائل الأخلاقية في المجتمع، وتطهير بيئة الحياة من الموبقات.

نقرأ في دعاء الندبة الشريف الذي ينشد لحن الفراق وأنين البعد عن الحبيب الغائب:

«أَينَ طامِسُ آثارَ الزَّيغِ وَالاَهْواءِ، أَينَ قاطِعُ حَبائلَ الْكِذْبِ وَالاِفْتِراءِ»[٤].

٣. تطبيق الحدود الإلهية

ثمّة طرق عديدة لمحاربة المفسدين في المجتمع، وفي حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هنالك الأساليب التربوية وتعليم المعارف وتحكيم العقائد والإيمان التي تستخدم لإصلاح الفاسقين والفاسدين وهدايتهم نحو طريق الصلاح والاستقامة، ومن ناحية ثانية، يتمّ تأمين متطلبات الحياة المشروعة والمعقولة وتطبيق أصول العدالة الاجتماعية لإغلاق الباب أمام أيّ فساد وانحلال؛ أمّا الذين يختارون طريق الاعتداء على حقوق الآخرين، وتجاهل الأحكام الإلهية وعدم الانصياع للأطر القانونية على الرغم من جميع هذه الحلول المطروحة، فسوف يتمّ التعامل معهم بصرامة وحزم، لسدّ الطريق على فسادهم وانحرافهم، والحؤول أيضاً دون استمرار نهج الفساد في

---

١. سورة آل عمران: الآية ١١٠.

٢. عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام حول هذا الواجب قال: «إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر... فريضة عظيمة بها تقام الفرائض». (*الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٥ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ١، ص ٥٥).

٣. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ح ٩، ص ٤٧.

٤. *مفاتيح الجنان*، الشيخ عباس القمي، دعاء الندبة.

المجتمع من قبل الآخرين، ويتمثّل ذلك في تطبيق الحدود الإلهية بحقّ المفسدين، وقد وردت تفاصيل تلك الحدود في القوانين الجزائية الإسلامية.

في حديث شريف طويل رواه الإمام محمد الجواد عليه السلام عن جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يذكر فيه خصوصيات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف جاء فيه:

«ويقيم حدود الله»[١].

٤. العدالة القضائية

في صدر برامج حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تطبيق العدالة في جميع الميادين. فهو الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً، والقضاء هو من أهم مجالات تطبيق العدالة، وهو المجال الذي شهد أشدّ حالات الظلم والإجحاف بحقّ المظلومين. مصادرة الأموال بغير وجه حق، وسفك الدماء، وانتهاك حرمات الأبرياء. فالمحاكم القضائية في العالم هي المكان الأكثر ظلماً بحقّ المستضعفين، فكم من أفراد وجماعات كثيرة أبيدت وسُلبت أموالهم بسبب الأحكام الجائرة الصادرة بحقّهم بوحيٍ من نفوذ المتسلّطين والحكام الظالمين. وكم من القضاة الدنيويين الذين أصدروا ونفّذوا أحكاماً جائرة من أجل تحقيق مصالح مادية. وكم من الأبرياء عُلّقوا على أعواد المشانق، وكم من الفاسدين والمجرمين الذين لم تقام عليهم حدود الله، وأفلتوا من حكم الشريعة.

حكومة العدل الشامل للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هي خط النهاية لجميع تلك الظلامات والتجاوز على الحقوق. والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بوصفه مظهر العدالة الإلهية، سوف يقيم محاكم العدل، ويختار القضاة الصالحين والمنفّذين الصارمين للأحكام الذين لا يخشون إلّا الله، لئلا يصيب أيّ أحد في أيّ مكان أدنى ظلم أو تعسّف.

نقرأ في جانب من حديث طويل للإمام الرضا عليه السلام وصف فيه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعصر ظهوره الذهبي:

«فَإِذا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها، وَ وَضَعَ ميزانَ الْعَدْلِ بَينَ النّاسِ، فَلا يَظْلِمُ اَحَدٌ اَحَداً»[٢].

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، باب ٢٧، ح ٤، ص ٣١١.
٢. *المصدر نفسه*، ح ٢٩، ص ٣٢٢.

يتبيّن لنا من هذه الرواية أنّ العدالة القضائية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف تكون شاملة ودقيقة بحيث تغلق الطريق على الظَلَمة والانتهازيين، وتمنع تكرر الظلم والإجحاف أو استسهال وتطبيع مسألة الاعتداء على حقوق الآخرين.

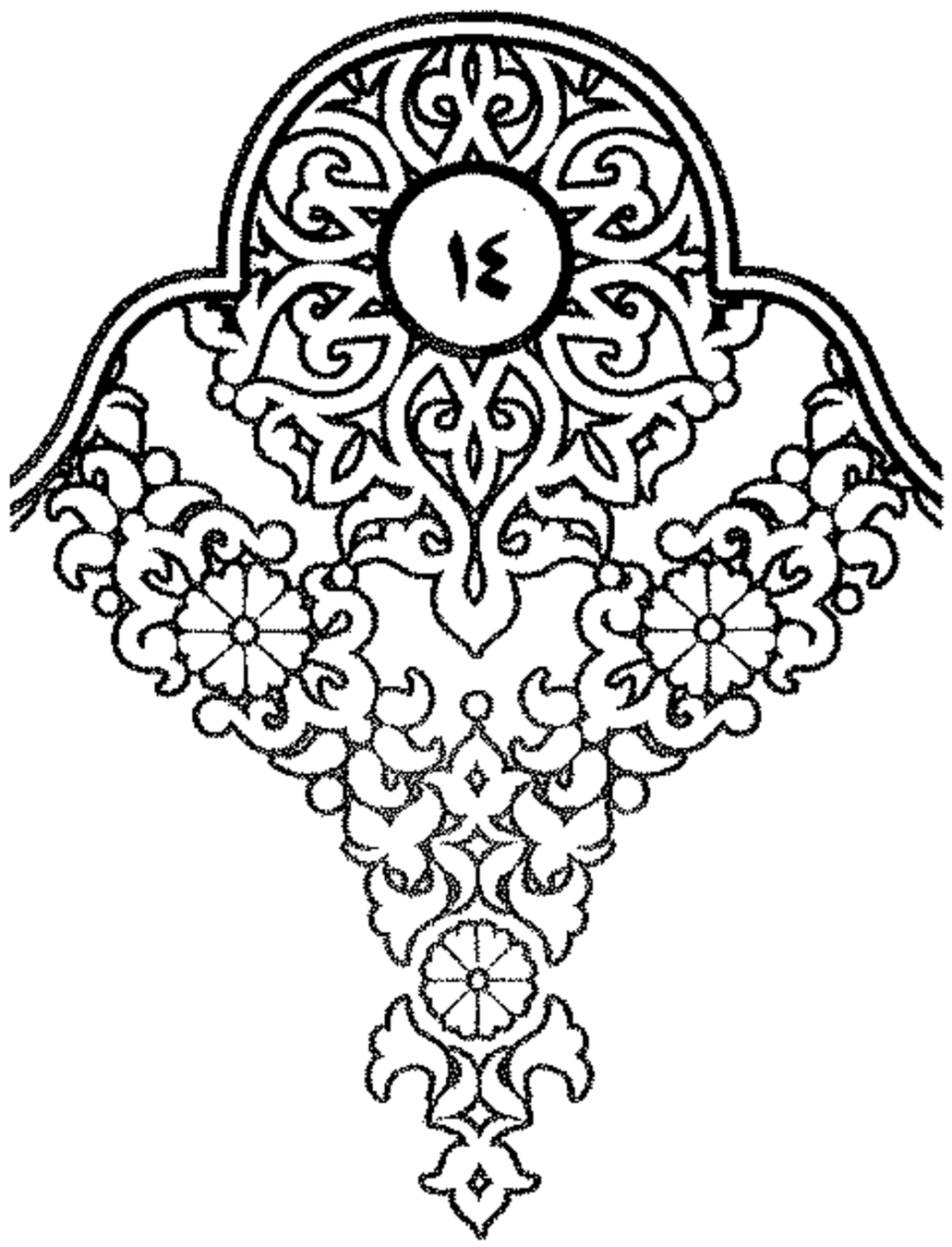

مكتسبات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

جرت العادة أن يعلن الأشخاص والأحزاب عن أهدافهم في الحكومة قبل استلامهم مقاليد السلطة، وربما يعلنون أيضاً عن برامجهم الخاصة الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف؛ لكن بمجرّد استلامهم للسلطة، ومع مرور الوقت يفشلون في تحقيق تلك الأهداف، وأحياناً يتنصّلون من وعودهم التي قطعوها للشعب، أو إنّهم يتناسون تماماً كلّ تلك الأفكار والأهداف التي طرحوها.

وربّما يكون السبب وراء عدم تحقيق الأماني والأهداف المخطّط لها مسبقاً هو أنّها أهداف غير واقعية وغير مبدئية، أو إنّ البرامج التي وضعتها الحكومة للوصول إلى تلك الأهداف غير شاملة أو غير تامة، أو قد تكون عدم كفاءة المنفّذين لتلك البرامج وراء الكثير من حالات الفشل تلك.

بيد أنّ أهداف حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واقعية وأصيلة وتضرب بجذور عميقة في ضمير البشرية، والجميع يسعى إلى بلوغها. كما أنّ هذه البرامج موضوعة على أساس تعاليم القرآن

الكريم وسيرة المعصومين وقابلة للتنفيذ في جميع المجالات؛ وبناءً على هذه المعطيات فإنّ مكتسبات هذه الثورة العظيمة أيضاً عظيمة ومهمة. باختصار نقول: إنّ مكتسبات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تلبّي جميع المتطلبات المادية والمعنوية للبشرية، التي أودعها الله تعالى الإنسان.

وفيما نستعرض بعض تلك المكتسبات في ضوء الروايات المتوفرة:

١. العدالة الشاملة

ورد كثيراً في الروايات أنّ أهم إنجاز لثورة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أنّه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهو ما سوف نتناوله في فصل أهداف الحكومة. ولكن في هذا الفصل نضيف إلى الحقيقة المذكورة آنفاً حقيقة أخرى هي أنّ العدالة في حكومة قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف تجري في جميع عروق المجتمع ومفاصله على شكل تيار جارف، وبذلك، لن تتبقّ أيّ مؤسسة أو مجموعة صغيرة أو كبيرة إلّا ساد فيها العدل، وعلى هذا الأساس سوف تتبلور العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض.

قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد:

«أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ»[1].

أن يتحوّل البيت، وهو أصغر وحدة في المجتمع، إلى بؤرة للعدالة، وتصبح العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة مبنية على العدالة أمرٌ يشي بأنّ حكومة العدل العالمية المهدوية لن تحكم بالقوة والقانون، وإنّما على أساس التربية القرآنية للأفراد التي تحتكم إلى العدل والإحسان. في ظلّ هذه الأجواء، سوف يعمل الجميع بحكم ما يمليه عليهم واجبهم الإنساني والإلهي، وتكون حقوق الآخرين محترمة حتى وإن لم يكونوا على درجة رفيعة من المقام والجاه.

في المجتمع المهدوي الموعود، تضحى العدالة تياراً ثقافياً أصيلاً يستند إلى القرآن والحكم، بحيث أنّ قلّة قليلة فقط من الأفراد قد تخالفها، وتؤثر أنانيّتها ومنافعها عليها، فئة تربّت على غير تعاليم القرآن وأهل البيت عليهم السلام. وطبعاً في هذه الحالة، سوف تتصدّى حكومة العدل لهذه الفئة الباغية وتتصرّف معها بكل حزم، ولن تسمح لها بالنمو والتوسّع؛ وسوف تحول، بشكل خاص، دون نفوذها في دوائر الحكم.

---

١. *المصدر نفسه*، ح ١٣١، ص ٣٦٢.

نعم، إنّ هذه العدالة الشاملة والجامعة أكبر إنجاز لحكومة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وبذلك تتمكّن من تحقيق أنبل أهداف ثورة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بشكل تامّ ألا وهو ملء الأرض بالعدل والقسط. ليس فقط تحقيق العدالة الاجتماعية فحسب، وإنّما العدالة في جميع أبعادها الإنسانية، واجتثاث الظلم والجور وغمط الحقوق في جميع زوايا المجتمع بما في ذلك العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة.

٢. الرشد الفكري والأخلاقي والإيماني

ذكرنا في عنوان سابق أنّ شمولية العدالة في المجتمع هو نتاج التربية الصحيحة للأفراد ونشر ثقافة القرآن والعترة في المجتمع. لقد تحدّثت الروايات الشيعية صراحةً عن الرشد الفكري والأخلاقي والإيماني للناس في عصر حاكمية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم»[١].

يقيناً أنّ كل الفضائل والجماليات تكمن في كمال عقل الإنسان؛ فالعقل هو نبي الإنسان الباطني، إذا تحكّم في دولة الجسم والروح صنع إنساناً صالحاً ومستقيماً، ليعبّد طريق العبودية لله ونيل السعادة.

سُئل أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام ما العقل؟، فقال:

«مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَ اكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَان»[٢].

إنّنا نلاحظ اليوم كيف أنّ المجتمع بدون إمام تغلب فيه الشهوات على العقل، والنفس الأمّارة هي وحدها التي تتحكّم في الأشخاص والجماعات والأحزاب. ولا غرابة في أن تكون النتائج في مثل هذه الأوضاع ضياع حقوق البشر، وتجاهل القيم الإلهية، ولكن في المجتمع الموعود وتحت قيادة حجّة الله، عقل الكلّ، فإنّ عقول الناس هي التي تقود المشهد، وهي التي تقرّر وتنفّذ. ومن البديهي أنّ العقل الذي يبلغ الكمال لا يأمر إلّا بالخير والجمال.

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٧١، ص ٣٣٦.
٢. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، كتاب العقل و الجهل، ح ٣، ص ١١.

٣. الوحدة والألفة

طبقاً للروايات المتوفرة فإنّ الأمم التي تعيش في ظلّ الحكومة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف متحدة ومتآلفة، ولن تبقى أيّ آثار للأحقاد والعداوات في قلوب عباد الله بعد قيام الحكومة المهدوية.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَلَوْ قَدْ قامَ قائِمُنا... لَذَهَبَتِ الشَّحْناءُ مِنْ قُلُوبِ الْعِبادِ...».

في ذلك العصر لا عذر للأحقاد، لأنّه عصر العدل والإنصاف، ولن يضيع حقّ أحد، فهو عصر العقلانية لا عصر الشهوات ومحاربة العقل. من هنا، لن تكون هناك أيّ ذريعة للعداوات والأحقاد؛ وإذا كانت قلوب الناس قبل ذلك العصر متفرقة ومشتّتة، فإنّ الله تعالى سوف يجمعها على التآلف والمحبة، ويعود الجميع إلى الأخوة القرآنية[١]، ليصبحوا متحابين ومتآلفين.

قال أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في وصف ذلك اليوم المهدوي الأخضر:

«[في ذلك العصر] ويجمع الله الكلمة، ويؤلّف بين قلوب مختلفة»[٢].

وما دامت مشيئة الله وراء كلّ ذلك، فلا غرابة إذاً أن يبلغ هذا التآلف والحب مرحلة لا يمكن لأحد أن يتصورها في عالمنا الراهن الذي وصلت فيه أزمة التناقضات والنزاعات المادية ذروتها.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يجيء أحدهم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته؟ فقال: لا»[٣].

٤. السلامة الجسمية والنفسية

إحدى المشاكل التي يعانيها البشر اليوم هي ظهور أمراض مستعصية تعزى إلى تضافر عدّة عوامل مثل تلوثّ البيئة بسبب استخدام الأدوات والأسلحة الكيميائية والنووية والجرثومية. وتعزى كذلك إلى شيوع العلاقات غير المشروعة بين الأفراد، بالإضافة إلى تدمير الغابات وتلويث مياه البحار والمحيطات والتي تسبّبت في الكثير من الأمراض مثل الجذام والطاعون والشلل والنوبة

---

١. إشارة إلى الآية الكريمة ﴿**إنّما المؤمنون إخوة...**﴾(سورة الحجرات: الآية١٠).

٢. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٥٥، ح ٧، ص ٥٤٨.

٣. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ١٦٤، ص ٣٧٢.

القلبية وعشرات الأمراض الأخرى التي تعجز الوسائل الصحية والعلاجية المتقدمة في عصرنا من القضاء عليها. وتضاف إلى هذه الأمراض الجسمية، قائمة طويلة أخرى من الأمراض النفسية والعقلية التي جعلت حياة الإنسان مريرة لا يمكن تحمّلها، وهذه أيضاً تعزى إلى العلاقات غير السليمة السائدة في العالم وبين بني البشر.

في دولة المهدي الكريمة حيث يسود العدل وتنتشر الفضائل والجماليات، ستكون العلاقات على أساس الأخوة والمساواة، سوف ينزع الإنسان لباس الأمراض والعاهات الجسمية والنفسية، ويلبس لباس الصحة والعافية الجسمية والنفسية ويصبح قوياً بشكل عجيب.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة وردّ إليه قوته»[١].

في دولة ذلك المولى سوف تتطور العلوم وتتقدّم بشكل مذهل، ولن يستعصي أيّ مرض أو عاهة على العلاج، وسوف يرتقي علم الصحة والطب مراقي عالية. كما سيبرء الكثير من المرضى من أسقامهم ببركة وجود الإمام عليه السلام.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«من أدرك قائم أهل بيتي عليه السلام من ذي عاهة برأ، ومن ذي ضعف قوي»[٢].

٥. خيرٌ وبركات وفيرة

من المنجزات العظيمة لحكومة قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف أن يعمّ الخير والبركة بشكل لم يسبق له مثيل. ففي ربيع دولته سوف يضحى كل مكان أخضراً يانعاً ونابضاً بالنشاط والحياة. وسوف تمطر السماء مدرارا، وتنبت الأرض وتعمّ البركات الإلهية بشكل لا يعدّ ولا يحصى.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«... ينتج الله تعالى في هذه الأمة رجلاً منّي وأنا منه، يسوق الله تعالى به بركات السماوات والأرض، فينزل قطرها، ويخرج الأرض بذرها»[٣].

---

١. *المصدر نفسه*، ح ١٣٨، ص ٣٦٤.

٢. *المصدر نفسه*، ح ٦٨، ص ٣٣٥.

٣. *الغيبة، الشيخ الطوسي*، ح ١٤٩، ص ١٨٨.

إذن، في ظلّ حكومة المهدي عليه السلام لن تكون في الأرض صحراء جرداء أبداً، بل كل الأرض ستكون مخضرّة ويانعة ومفعمة بالحياة. وهذا التحول العظيم والوفرة التي لا مثيل لها هو لأنّ عصر المهدي هو عصر تفتّق براعم النقاء والتقوى، وتفتّح زهور الإيمان، والناس بجميع شرائحهم وطبقاتهم في مدرسة التربية الإلهية، ويتواصلون فيما بينهم على أساس القيم والفضائل الربانية. وقد وعد الله تعالى أنّه سوف يغدق من خيراته الوفيرة ونعمه السابغة على هذه البيئة الطاهرة النقية.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ القُري امَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيهِمْ بَرَكات مِنَ السَّماءِ وَالاَرْضِ﴾[1].

٦. اقتلاع جذور الفقر

عندما تتهيّأ جميع ثروات الأرض ومواهبها للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتنزل البركات على أهل ذلك العصر من السماء ومن الأرض، وتقسّم تلك الخيرات بالعدل والتساوي، فلن يبقى مكان للفقر والعوز، وسوف تتخلّص البشرية في ظلّ حكومة الإمام المهدي عليه السلام وإلى الأبد من نير الفقر والحرمان[2].

في عصره سوف تزدهر العلاقات الاقتصادية على أساس من الأخوة والمساواة، وتغادر مفاهيم الانتهازية والمنفعة الشخصية لتحلّ محلّها مشاعر التعاطف والتعاضد والمواساة بين أخوة الدين. وحينئذ سوف يشعر الجميع وكأنّهم أعضاء أسرة واحدة، وسوف تفوح عبقات الوحدة والمساواة في زاوية من زوايا الحياة.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا ظهر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ... يعطي الناس عطايا مرتين في السنة، ويرزقهم في الشهر رزقين، ويسوّي بين الناس حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة ...!»[3].

يستفاد من هذه الروايات أنّ عدم حاجة الناس وعوزهم هو لسيادة روح القناعة والاكتفاء

---

١. سورة الأعراف: الآية ٩٦.

٢. انظر: ***منتخب الأثر***، لطف الله الصافي الكلبايكاني، فصل ٧، البابان ٣ و ٤، ص ٥٨٩ ـ ٥٩٣.

٣. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٢١٢، ص ٣٩٠.

الروحي. أو بعبارة أخرى، قبل أن يغتني الناس من الخارج مادياً ويكتفون، سوف تغتني أرواحهم من الداخل، فيقنعون بما أنعم الله تعالى عليهم من فضله ويرضون بقسمه، ولن يمدّوا أعينهم إلى أموال الآخرين.

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصف عصر حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قال:

«... ويجعل الله الغنى في قلوب هذه الأمة»[١].

هذا، في حين أنّ روح الطمع والحرص قبل عصر الظهور تشكّل عاملاً مؤثراً في المنافسات غير الشريفة وتكنيز الأموال وعدم إنفاقها.

خلاصة الكلام، إنّ الاكتفاء أو القناعة في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف تكون باطنية وخارجية. فمن جهة سوف تقسّم الثروات الوفيرة بالسوية والعدل، ومن جهة ثانية ستكون القناعة خصيصة أخلاقية للناس.

في حديث نبوي شريف، تحدّث فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن سخاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعطائه للناس، ثم قال:

«وَ يَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صل؟ غِنًى وَ يَسَعُهُمْ عَدْلُهُ حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِياً يُنَادِي يَقُولُ مَنْ لَهُ فِي الْمَالِ حَاجَةٌ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَقُولُ: أَنَا، فَيَقُولُ: ائْتِ السَّدَّانَ يَعْنِي الْخَازِنَ فَقُلْ لَهُ إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ احْثُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حَجْرِهِ وَ أَبْرَزَهُ نَدِمَ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْساً أَعْجَزَ عَمَّا وَسِعَهُمْ فَيَرُدُّهُ وَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئاً أَعْطَيْنَاه»[٢].

٧. حاكمية الإسلام وزوال الكفر

لقد وعد الله تبارك وتعالى في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم بعولمة الدين الإسلامي الحنيف:

﴿هُوَالَّذي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَ دِينِ الْحَقِّ لِيظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ...﴾[٣].

ولا ريب في أنّ وعد الله تعالى ناجز، وأنّه لا يخلف وعده، كما يقول القرآن الكريم:

---

١. *المصدر نفسه*، ج ٥١، ح ٣٧، ص ٨٤.

٢. *المصدر نفسه*، ح ٣٨، ص ٩٢.

٣. سورة التوبة: الآية ٣٣؛ سورة الفتح: الآية ٢٨؛ سورة الصف: الآية ٩.

﴿...إِنَّ اللّهَ لايخْلِفُ الْميعادَ﴾[١].

لكن من الواضح أنّه على الرغم من جميع الجهود المباركة التي بذلها النبي الأكرم ﷺ وأولياء الله عليهم السلام لم يقع الحدث الميمون حتى الآن[٢]، لذلك يأمل جميع المسلمين بوصول ذلك اليوم السعيد. طبعاً لهذا الأمل الحقيقي جذور في كلام الأئمة المعصومين.

إذن، في ظلّ حكومة آخر حجج الله فإنّ نداء «أشهد أنْ لا إله إلّا الله» الذي يمثّل راية التوحيد، ودعوة «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» علم الإسلام سيرتفع في كل مكان، ولن يبقى للكفر أو الشرك أيّ أثر.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حَتّي لاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيكُونَ الدّينُ كُلُّه لِلّه...**﴾[٣]، قال:

«إِنَّهُ لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ[٤] هَذِهِ الْآيَةِ وَ لَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا سَيَرَى مَنْ يُدْرِكُهُ مَا يَكُونُ مِنْ تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَ لَيَبْلُغَنَّ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللهُ»[٥].

طبعاً هذه العولمة الإسلامية هي نتيجة لحقيّة «الإسلام» وواقعيّته التي سوف تتجلّى بشكل أكبر وأوضح في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لينجذب إليها الجميع، سوى أهل اللجاج والعصيان الذين سيعلنون تمرّدهم، فيتصدى لهم سيف العدل المهدوي الممسوك بيد الانتقام الإلهي.

والملاحظة الأخيرة في هذا الفصل هي أنّ هذه الوحدة العقدية المتبلورة في ظلّ حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف تشكّل أرضية جدّ مناسبة لتأسيس المجتمع العالمي الموحّد، ذلك أنّ ضالّة العالم ومبتغاه هذه الوحدة العقدية والنظام التوحيدي. لينطلق بعد ذلك في ظلّ هذه الوحدة لتنظيم علاقاته الفردية والاجتماعية على أساس المعايير المنبثقة من العقيدة الواحدة والنهج الواحد. وتأسيساً على ما قيل، فإنّ الوحدة العقدية واجتماع جميع الأمم تحت راية واحدة ودين واحد تمثّل ضرورة وحاجة جدية سوف تتحقّق من خلال إقامة حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

١. سورة آل عمران: الآية ٩.

٢. هذا الكلام ليس ادّعاءً بل حقيقة تاريخية تناولها كبار مفسّري الشيعة وأهل السنّة؛ مثل الفخر الرازي في ***التفسير الكبير***، ج ١٦، ص ٤٠؛ والقرطبي في ***تفسير القرطبي***، ج ٨، ص ١٢١؛ والطبرسي في ***مجمع البيان***، ج ٥، ص ٣٥.

٣. سورة الأنفال: الآية ٣٩.

٤. ذكروا في التأويل معاني مختلفة من بينها تلك التي وردت في الآيات.

٥. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ح ٤١، ص ٥٥.

٨. الأمن والاستقرار العام

بفضل حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعصر عولمة الفضائل في جميع مناحي الحياة، سوف يتحقّق الأمن والاستقرار الذي يعدّ أعظم نعم الله، وأسمى آمال الإنسان.

فعندما يتبع الناس عقيدة واحدة ويسيرون على نهج واحد، ويتمثّلون في علاقاتهم الاجتماعية المبادئ الأخلاقية الرفعية، فتجري روح العدالة في عروق الحياة الفردية والجمعية للبشر، لن تكون ثمّة ذريعة للإخلال بالأمن والخوف في أيّ ميدان من ميادين الحياة. فلا غرو عندما يحصل أفراد المجتمع على حقوقهم الإلهية والإنسانية، ويتمّ التعامل مع أيّ اعتداء أو سلب للحقوق – حتى في الطبقة الحاكمة ومهما كان حجمه صغيراً- بالوسائل القانونية، سوف يستتب الأمن والاستقرار الاجتماعي العام في ربوع ذلك المجتمع.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«بنا يفتح الله وبنا يختم الله ... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض بناتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلّا على النبات، وعلى رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا مخافة»[1].

طبعاً تصوّر مجيء مثل هذا العصر الأخضر بالنسبة لنا نحن الذين نعيش في عصر الظلم والطمع والأحقاد أمر جدّ صعب، ولكن كما ذكرنا، لو تأمّلنا في أسباب كل هذه القبائح والشرور، وأنّها جميعاً سوف تُجتثّ عند قيام حكومة الحقّ، لعرفنا بأنّ وعد الله بتأسيس مجتمع آمن ومستقر ناجز.

فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في معنى هذه الآية قال:

---

١. *الخصال*، باب أربعمائة، ح ١٠، ص ٦٨٥.

٢. سورة النور: الآية ٥٥.

«نزلت في القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه»[١].

٩. توسعة العلم

في عصر حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، سيظهر الكثير من الأسرار العلمية في العلوم الإسلامية والإنسانية، ويتوسّع العلم البشري بنحو لا يمكن تصوّره.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس، وضمّ إليها الحرفين حتى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً»[٢].

من البديهي في هذه الظروف أن يحقّق الإنسان توسّعاً علمياً كبيراً في جميع الميادين. لقد وردت إشارات في العديد من الآيات تبيّن حجم الهوّة العلمية الصناعية بين عصرنا الحالي وذلك العصر[٣]، كما هو الحال بين الصناعة المعاصرة وبين ما كانت عليه قبل قرون، حيث يفصلها بون شاسع.

نشير هاهنا إلى بعض الروايات في هذا الصدد:

عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في وصف حال الاتصالات في حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»[٤].

وعنه أيضاً أنّه قال عليه السلام:

«إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى (لا) يكون بينهم وبين القائم بريد [أربعة فراسخ] يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه، وهو في مكانه»[٥].

---

١. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، ح ٣٥، ص ٢٤٠.
٢. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٧٣، ص ٣٣٦.
٣. طبعاً ربما تكون الروايات المذكورة تشير إلى الإعجاز أيضاً.
٤. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ح ٢١٣، ص ٣٩١.
٥. ***المصدر نفسه***، ح ٧٢، ص ٣٣٦.

وبالنسبة لمستوى إحاطة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بأحوال الناس بوصفه قائداً للحكومة ومركز اتخاذ القرار والقيادة، جاء في الرواية عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام:

«... حتى إنّ أحدهم يتكلّم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار»[1].

وفي ضوء تطوّر أجهزة الاتصالات في عصرنا، فإنّ إدراك هذه المسألة المذكورة في الروايات أصبح أيسر؛ ولكن من غير الواضح ما إذا كانت نفس هذه الأجهزة الحالية سوف تستخدم ولكن بصورة أكثر تطوّراً وتقدّماً، أم إنّ منظومات أخرى أكثر تعقيداً، سوف تحلّ محلّ الأجهزة الحالية. و الظاهر هو الاحتمال الثاني.

---

١. *المصدر نفسه*، ح ٢١٢، ص ٣٩٠.

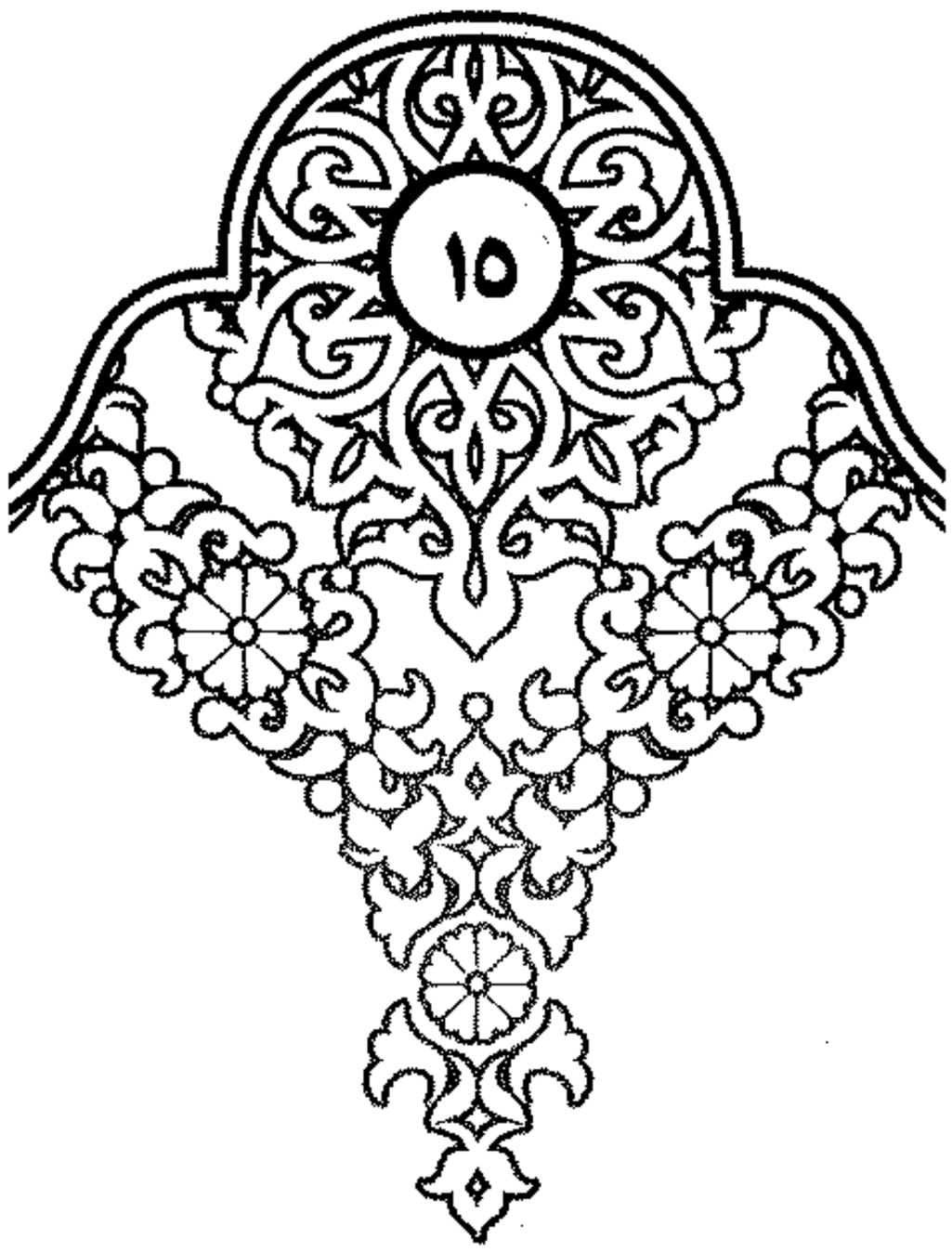

خصوصيات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسيرته

تحدّثنا في الفصول السابقة عن أهداف حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وبرامجها ومنجزاتها. ونختم الكتاب باستعراض بعض الخصوصيات الأخرى لهذه الحكومة مثل: خارطتها وعاصمتها وفترة حكمها ونهج حكامها والتعريف بهم وكذلك سيرة قائدها الأعظم.

خارطة الحكومة وعاصمتها

من المعلوم أنّ حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هي حكومة عالمية، فهو موعود كلّ البشر ومحقّق أحلامهم؛ لذا، فكل ما سوف يصدر من جماليات وفضائل في ظلّها، سيعمّ الأرض كلّها. هذه حقيقة تنطق بها جمهرة من الروايات، حيث نشير فيما يلي إلى فئات من هذه الروايات.

أ. ثمّة أحاديث وروايات كثيرة تنطوي على هذا المضمون: المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من ولدي .. يملأها

عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلما[١]. والمراد بكلمة «الأرض» هنا الكرة الأرضية برمّتها، وليس جزءاً منها حيث لا يوجد دليل على التخصيص.

ب. الروايات التي تتحدّث عن سيطرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على بلاد مختلفة من العالم، وسعة تلك البلاد وتوزّعها الجغرافي وأهميتها تشير إلى بسط الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف سلطته على كل أنحاء المعمورة، كما يفيد ذكر أسماء بعض المدن والبلاد المذكورة في الروايات من باب استعراض الأمثلة وكذلك مراعاة مستوى معلومات المخاطب في ذلك العصر.

ففي روايات مختلفة وردت أسماء الروم والصين والديلم أو جبال الديلم، والترك، والسند، والهند، والقسطنطينية وكابل شاه والخزر كمناطق يقوم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بفتحها وبسط حكومته عليها[٢].

وجدير بالذكر أنّ أسماء تلك المناطق كانت تطلق في عصر الأئمة عليهم السلام على بلاد أوسع بكثير ممّا يطلق عليه في عصرنا، فمثلاً بلاد الروم كانت تشمل في ذلك الوقت جميع قارة أوروبا بل وحتى قارة أمريكا، والمراد بالصين جميع شرق آسيا والتي تشمل اليابان أيضاً، كما أنّ الهند تشمل الباكستان الحالية. ومدينة القسطنطينية أي اسطنبول الحالية كانت في عالم ذلك العصر رمزاً لأهم المدن والبلاد المحصّنة، وأنّ فتحها كان في الحقيقة نصراً عظيماً ونجاحاً باهراً؛ لكونها كانت تشكّل إحدى الممرات الرئيسية للدخول إلى قارة أوروبا. وخلاصة الكلام أنّ سيطرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على مناطق حسّاسة ومهمة في العالم، تعبير عن سعة حكومته العالمية.

ج. عدا روايات المصادر الأصلية والفرعية، ثمّة روايات عديدة تبيّن بوضوح عالمية حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فقد جاء في حديث قدسي شريف للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تبارك وتعالى قال:

> «... فنوديت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك. وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها...»[٣].

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، باب ٢٥، الأحاديث ١، ٤، ٥ و....

٢. ***الغيبة***، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ٢٢، ص ٣٣٠.

٣. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٢٣، ح ٤، ص ٤٧٧.

وعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«اَلْقائِمُ مِنّا... يبْلُغُ سُلْطانَهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَ يظْهِرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ دينَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَ لَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ...»[١].

أمّا بالنسبة لعاصمة الحكومة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهي الكوفة، هذه المدينة التاريخية العريقة، حيث ستكون مترامية الأطراف في ذلك العصر لتشمل مدينة النجف التي تبعد بضعة كيلومترات عنها. لهذا السبب نقرأ في بعض الروايات أنّ الكوفة هي عاصمة حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفي روايات أخرى النجف ستكون العاصمة.

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في رواية طويلة قال:

«... دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها»[٢].

وجدير بالذكر أنّ مدينة الكوفة ومنذ قديم الزمان كانت موضع اهتمام آل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعاصمة حكومة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومسجدها الشهير هو أحد المساجد الأربعة الشهيرة في الإسلام، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصلّي فيه ويخطب، وكان يسيّر فيه شؤون القضاء، وفي محراب هذا المسجد ارتشف من كأس الشهادة.

فترة حكومته

بعد عصور طويلة مظلمة عانت فيها البشرية ويلات الظلم والاضطهاد، يبدأ العالم مع ظهور آخر الحجج الإلهية بالسير نحو إقامة حكومة الفضائل على يد حكّام صالحين وأخيار، وهذا وعد إلهي ناجز.

سوف تبدأ حكومة الصالحين بقيادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتستمر حتى نهاية عمر الدنيا، ولن تشهد الدنيا عودة عصور الظلم والظالمين أبداً.

لقد قرأنا في الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه آنفاً أنّ الله سبحانه وتعالى قد بشّر نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقيام حكومة آخر الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد جاء في ختام الحديث:

«ثمّ لأدينّ ملكه ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة»[١].

---

١. *المصدر نفسه*، ج ١٦، ص ٦٠٣.

٢. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٣، ص ١١.

من هنا، فإنّ الدولة العادلة التي يقيمها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لن تعقبها دولة أخرى، وفي الحقيقة، سوف يبدأ تاريخ جديد في حياة البشرية تعمّ فيه الحاكمية الإلهية كلّ الأرض.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء»[٢].

لذا، فإنّ الحكومة الإلهية بعد الظهور سوف تستمر حتى بعد حكم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، حيث أنّ الإمام طبقاً للروايات سوف يظلّ حاكماً بقية عمره، حتى يوافيه الأجل المحتوم ويرحل عن هذه الدنيا في نهاية المطاف.

ما من شكّ في أنّ فترة حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف تستمر بالمقدار الذي يتيح إحداث تحوّل عالمي وإرساء أسس العدل في جميع أرجاء العالم؛ أمّا كم من السنوات سيحتاج لتحقيق هذا الهدف، فهذا موضع حدس وتخمين يلزمنا الرجوع إلى روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام. طبعاً إذا ما أخذنا بالاعتبار قدرات هذا القائد الإلهي والمدد الغيبي الذي سوف يحظى به وأصحابه وأعوانه الأخيار، والاستعداد العالمي للقبول بحاكمية القيم والفضائل في عصر الظهور، فإنّ كل هذه العوامل ربما تقصّر من المدة التي يحتاجها الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف لتحقيق رسالته الإلهية، فالحدث الذي عجزت البشرية عن تحقيقه على مدى قرون متمادية، قد يتحقّق في أقل من عشر سنوات.

الروايات التي تذكر مدّة حكم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على قدر كبير من التنوّع والاختلاف. فبعضها يذكر هذه المدة بخمس سنوات، وبعضها الآخر سبع سنوات وروايات أخرى تقول ثماني سنوات أو تسع أو عشر سنوات. بل هناك روايات ترجّح فترة حكومته بـ ١٩ سنة وبضعة أشهر، وهكذا حتى ورد في بعض الروايات أنّه سوف يملك ٤٠ أو ٣٠٩ سنة.

من غير الواضح تماماً سبب اختلاف الروايات هذا، والذي يصعّب علينا الوقوف على الرقم الحقيقي لفترة حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ إلّا أنّ بعض علماء الشيعة اختار الروايات القائلة

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ١، باب ٢٣، ح ٤، ص ٤٧٧.

٢. ***كتاب الغيبة***، الشيخ الطوسي، فصل ٨، ح ٤٩٣، ص ٤٧٢.

بالسبع سنوات لكثرتها وشهرتها[١].

وهناك من أيّد روايات السبع سنوات أيضاً لكنّه قال بأنّ كل سنة من سنوات حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تعادل عشر سنوات من سنواتنا، وهو ما ذكرته أيضاً العديد من الروايات مثل:

سُئل أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام : كم يملك القائم؟ قال: «**سبع سنين يكون سبعين سنة من سنيّكم هذه**»[٢].

وقال المرحوم العلامة المجلسي رحمه الله:

> الأخبار المختلفة الواردة في أيام ملكه عجل الله تعالى فرجه الشريف بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على زمان استقرار دولته. وبعضها على حساب ما عندنا من السنين والشهور، وبعضها على سنيّه وشهوره الطويلة والله العالم[٣].

والذي يبدوا لنا أنّ حكمه باق الي اربعين يوما قبل القيامة و هذا ما أثبتناه خلال بحثنا الخارج و هو راي المفيد و الطبرسي و غيرهما، فراجع.

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحكم

لكل حاكم منهج وسيرة خاصة في الحكم وفي مختلف ميادين الإدارة والقيادة، تطبع حكومته بسمة خاصة. وعندما يستلم الإمام الموعود والمهدي المنتظر عليه السلام مقاليد الحكومة العالمية، فمن الطبيعي أن يكون له نهجه الخاص في تدبير النظام العالمي. في المباحث الماضية تناولنا جوانب من نهجه وسيرته عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ونظراً لأهمية هذا الموضوع، نجد من المناسب هنا أن نتناوله بصورة مستقلة مستلهمين من نمير أحاديث النبي المصطفى والأئمة المعصومين عليهم السلام الصافي لنتعرّف بشكل أفضل وأوسع على سيرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحكم.

ولكن في البدء ينبغي التأكيد على نقطة وهي أنّ الروايات تقدّم صورة عامة عن سيرة هذا الإمام العظيم، وهي نفس سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه، فكما أنّ النبي الأكرم حارب في زمانه جاهلية البشر في جميع الأبعاد، وحكّم الإسلام الأصيل، الضامن لسعادة الدارين، على بيئته،

---

١. انظر: «*المهدى*»، السيد صدر الدين الصدر، ص ٢٣٩؛ *تاريخ ما بعد الظهور*، السيد محمد الصدر.

٢. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، فصل ٨، ح ٤٩٧، ص ٤٧٤.

٣. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٨٠.

فسوف يسير الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد الظهور على نهج جدّه فيحارب الجاهلية الجديدة والتي هي أشدّ إيلاماً من الجاهلية القديمة، وسوف يعيد بناء صرح القيم الإسلامية والإلهية على أنقاض الجاهلية الحديثة.

فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فقال:

«يصْنَعُ كَما صَنَعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدَمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم اَمْرَ الْجاهِلِيةِ وَيسْتَأنِفُ الإِسْلامَ جَديداً»[1].

هي ذي سياسة الإمام الموعود عليه السلام العامة خلال فترة حكومته. طبعاً تطرأ بعض التغييرات على أسلوب الإدارة والحكم تبعاً للظروف الزمانية، وهو ما أتت على ذكره الروايات، وبدورنا سنشير إليها ضمن مباحث منفصلة.

السيرة الجهادية والنضالية

بثورته العالمية يطوي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بساط الكفر والشرك من على وجه الأرض، داعياً الجميع إلى الدخول في الدين الإسلامي الحنيف.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الصدد:

«.. وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّ وجلّ»[2].

طبعاً سوف يظهر الإمام في ظروف يكون فيه الحقّ قد بان، والحجّة قد تمّت على أمم العالم. مع ذلك، وطبقاً لبعض الروايات سوف يستخرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف التوراة والإنجيل الأصليين غير المحرّفين من غارٍ في منطقة أنطاكيا ويحتجّ بهما على اليهود والمسيحيين في العالم فيدخل معظمهم في الإسلام[3].

وممّا يزيد من وتيرة دخول الأمم المختلفة في الإسلام في ظلّ تلك الأوضاع، أنّ الجميع سيرى كيف أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مسدّد بالمدد الغيبي، ويحمل علائم الأنبياء مثل عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ويلبس درع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويتقلّد سيفه ويرفع رايته[4]، وقيامه من أجل

---

١. *الغيبة*، محمد بن إبراهيم النعماني، باب ١٣، ح ١٣، ص ٢٣٦.
٢. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٣٩، ح ٦، ص ١٢٢.
٣. انظر: *الفتن*، نعيم بن حماد المروزي، ص ٢٤٩-٢٥١.
٤. انظر: *إثبات الهداة*، الحرّ العاملي، ج ٣، ص ٤٣٩ - ٤٩٤.

تحقيق أهداف الأنبياء، ووضع أسس العدل العالمي. وأمام هذه الأوضاع حيث نور الحقيقة ساطع للعالمين كالشمس في رابعة النهار، فإنّ الذين يصرّون على البقاء في معسكر الباطل هم الذين فقدوا هويتهم الإنسانية والإلهية بالكامل. وهم أنفسهم الذين لم يصدر منهم إلّا الفساد والانحلال والظلم، ولذا لزم تطهير الدولة المهدوية من دنس وجودهم. وهنا يأتي دور سيف العدالة المهدوية لكي يُستلّ من غمده، ويهوي بكل قوة واقتدار على هامات الظالمين المعاندين، لكيلا يُبقي ولا يذر أحداً منهم. وهو نفس نهج وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام[١].

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في القضاء

لقد ذُخر الإمام الموعود المنتظر ليوم إرساء قواعد العدل في جميع أنحاء المعمورة، ومعلوم أنّ النهوض بهذه المهمة العظيمة يحتاج إلى منظومة قضائية قوية، لذا، سوف يسير الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بسيرة جدّه العظيم أمير المؤمنين عليه السلام بجدّ واقتدار في إحقاق الحقّ وإحياء حقوق الناس الضائعة حيثما كانت.

سوف يلتزم نهج العدالة لدرجة يتمنّى فيها الأحياء، كما جاء في الروايات، أن يعود الأموات لينعموا بنعمة عدله وإنصافه[٢].

وترسم بعض الروايات صورة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو في مسند القضاء يحكم بما عنده من العلم الإلهي على غرار ما كان يفعل النبي سليمان والنبي داوود عليهما السلام لا بالاستناد إلى الشهود.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

> «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بين الناس بحكم داوود وسليمان عليهما السلام لا يحتاج إلى بيّنة يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه»[٣].

وربّما كان السرّ وراء هذا القضاء هو اعتماده على العلم الإلهي، فيقيم العدالة الحقيقية؛ ولكن عندما يتمّ الاستناد إلى البيّنة والشهود، تقام العدالة الظاهرية؛ لأنّ الشهود هم بشر، واحتمال خطأهم قائم على أيّ حال.

ومع ذلك فإنّ فهم أسلوب القضاء عند الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أمر صعب؛ ولكن كل ما يمكن

---

١. *المصدر نفسه*، ص ٤٥٠.

٢. *الفتن*، نعيم بن حماد المروزي، ص ٩٩.

٣. *إثبات الهداة*، الحرّ العاملي، ج ٣، ص ٤٤٧.

فهمه هو أنّ هذا الأسلوب ينسجم مع أوضاع عصر الإمام.

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الإدارة

يشكّل الموظفون أو المسؤولون أحد الأركان المهمة في الحكومة، فإذا كان المسؤولون أفراداً يتمتّعون بالجدارة والكفاءة، انتظمت شؤون الدولة والشعب على أفضل ما يرام، وكان الطريق إلى تحقيق أهداف الحكومة سالكا ومعبدا.

والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بوصفه قائد الحكومة العالمية، سوف يختار من بين أفضل أعوانه حكاماً لمختلف بلاد العالم. حكاماً يتمتّعون بكل المواصفات والخصوصيات المطلوبة للحاكم الإسلامي من قبيل علم الإدارة والإيمان والالتزام وصفاء النية والإخلاص في العمل والشجاعة في اتّخاذ القرارات. مع هذا، فإنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه كقائد أعلى ومصدر قيادة العالم سوف يكون مشرفاً على أعمال الحكّام، ويتابع أداءهم بصرامة ودقّة وبلا محاباة. هذه المواصفات المهمة التي لم تكن تؤخذ بعين الجدّ قبل حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وردت في الروايات كإحدى علائم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلامَةُ الْمَهْدي اَنْ يكُونَ شَديداً عَلَى الْعُمّالِ جَواداً بِالْمالِ رَحيماً بِالْمَساكين»[1].

سيرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في الاقتصاد

نهج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الشؤون المالية للحكومة يقوم على مبدأ المساواة. وهو نفس النهج المفضّل الذي كان متّبعاً في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكنّ الذين جاؤوا بعده انحرفوا عنه وغيّروه، وحلّت محله معايير مزيّفة تبيح إغداق الأموال والعطاء بغير حساب على المقرّبين والأرحام ما أدّى فيما بعد إلى حدوث هوّة طبقية كبيرة في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت. فالإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام كانا ملتزمين بنظام التسوية في العطاء بين المسلمين الذين عمل به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لكنّ بني أمية وبعد استيلائهم على السلطة اعتبروا بيت مال المسلمين ملكا خاصا لهم يتصرّفون فيه كيفما شاؤوا، وبما يخدم مصالحهم الشخصية، ومن هذا الطريق عملوا على تقوية أركان حكومتهم اللامشروعة. كانوا يوزعون الأراضي الزراعية الخصبة أو

---

١. ***معجم أحاديث الأمام المهدي*** عليه السلام، نخبة من الباحثين، ج ١، ح ٩٤، ص ٣٠٤.

غيرها من الثروات والأموال العامة على المقرّبين، وبلغ هذا العمل ذروته في أيام الخليفة الثالث وفي عهد حكومة بني أمية واتّخذ صبغة رسمية.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف رمز العدالة والإنصاف، وبيت مال المسلمين عنده عبارة عن ثروة عامة يشترك الجميع في ملكيتها، فلا يفضّل أحداً على آخر، ولا يمنح امتيازات خاصة لأحد، وبذلك تكون القطائع ومنح الثروات والأراضي محرّم بتاتاً.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«... إِذا قامَ قائِمُنا اضْمَحَلَّت الْقَطائِعُ فَلا قَطائِع»[1].

من بين العلائم الأخرى للسيرة المالية للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أنّه يمنح أموالاً وفيرة للناس في إطار تلبية احتياجاتهم المادية وتحقيق مستوى من الرخاء المعقول في حياة جميع الأفراد، وأيّ محتاج يطلب منه أموالاً في عهد حكومته سوف يُمنح الأموال حثواً.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«... فَهُوَ يَحْثُو الْمالَ حَثْواً»[2].

سلوك هذا النهج هو من أجل خلق أرضية للإصلاح الفردي والاجتماعي، الذي يشكل هدف إمام الفضائل عجل الله تعالى فرجه الشريف. فهو يسعى من خلال رفع احتياجات الناس المادية، إلى خلق بيئة مناسبة لكي ينصرف الأفراد إلى طاعة الله تعالى وعبادته، وهو ما سيأتيك تفصيله تحت عنوان أهداف الحكومة.

السيرة الشخصية للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

سيرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الشخصية وكذلك علاقاته بالناس تجسيد للحاكم الإسلامي المثالي الذي ينظر إلى الحكومة كوسيلة لخدمة الناس، والأخذ بأيديهم لبلوغ ذرى الكمال، وليس فرصة لاكتناز الثروات، وممارسة الظلم والتعسّف والاستغلال.

في الحقيقة إنّ إمام الصالحين المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو على كرسي الحكم يستحضر حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فعلى الرغم من أنّ جميع الأموال والثروات تكون تحت تصرّفه، إلّا أنّه يحيى حياة في أدنى مستويات الرخاء، ويقنع بالأقلّ.

---

١. ***بحار الأنوار***، محمد باقر المجلسي، ج ٩٧، ح ٠٤، ص ٥٩.

٢. ***معجم أحاديث الإمام المهدي*** عليه السلام، نخبة من الباحثين، ج ١، ح ٨٥، ص ٢٨٣.

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بالقول:

«إنّه [الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف] يأخذ البيعة عن أصحابه ... ويشترط على نفسه لهم [وإن كان الحاكم وقائد المجتمع البشري] أن يمشي حيث يمشون، ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون، ويرضى بالقليل»[١].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام على هذه السيرة، فكان يزهد في حياته وطعامه وملبسه زهد الأنبياء. والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يقتدي بسيرة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ قائِمَنا إِذا قامَ لَبِسَ لِباسَ عَلِي عليه السلام وَ سارَ بِسيرَتِهِ»[٢].

وإذا كان مع نفسه شديداً وصارما، فإنّه مع أمّته كالوالد الشفيق، يسعى إلى توفير الأمن والراحة لأبنائها؛ على ما جاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام في وصفه للإمام عليه السلام:

«اَلإِمام، الأَنيسُ الرَّفيق وَالوالِدُ الشَّفيق وَالأَخُ الشَّقيق، وَالأُمُّ البَرَّةِ بِالْوَلَدِ الصَّغير، مَفْزَعُ الْعِبادَ فِي الدّاهِية النّاد»[٣].

نعم، إنّه بأمّته رؤوف شفيق حميم، بحيث ينظر إليه الجميع كملجأهم.

روي حديث شريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«تأوي إليه أمّته كما يأوي النحل إلى يعسوبها»[٤].

إنّه تجسيد تامّ للقائد المنتخب من قبل الناس، ويعيش بين ظهرانيهم وعلى شاكلتهم؛ ولذلك يشعر بآلامهم جيداً ويعرف علاج تلك الآلام. يجعل كل همّه تحسين أحوالهم، ولا ينشد في ذلك إلّا مرضاة الله تعالى. فكيف لا تشعر أمّته بالأمان والاستقرار إلى جانبه، وما الذي يجعلها تركن لغيره؟

---

١. ***منتخب الأثر***، لطف الله الصافي الكلبايكاني، فصل ٦، باب ١١، ح ٤، ص ٥٨١.
٢. ***الكافي***، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٦، باب اللباس، ح ١٥، ص ٤٤٤.
٣. ***المصدر نفسه***، ج ١، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح ١، ص ٢٠٠.
٤. ***منتخب الأثر***، لطف الله الصافي الكلبايكاني، فصل ٧، باب ٧، ح ٢، ص ٥٩٨.

القبول العام

من بين الهواجس التي تراود الحكومات هو حصولها على القبول العام لدى شعوبها، ولكن يندر أن يحصل هذا الأمر على أرض الواقع بسبب نقاط الضعف الكثيرة الكامنة في إدارة تلك الحكومات لمختلف الدوائر. أمّا الخصوصية الرئيسية التي تميّز حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كونها تحظى بهذا القبول العام من قبل الأفراد والمجتمعات البشرية. ليس أهل الأرض فقط بل سكان السموات أيضاً يبدون رضاهم التام عن الحكومة الإلهية والقائد العادل.

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أبشّركم بالمهدي يبعث في أمّتي على اختلاف من الناس ... يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض»[١].

كيف يمكن للمرء أن لا يرضى عن حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بينما يتّضح لكل العالم بأنّ صلاح البشرية وسعادتها في جميع الجوانب المادية والمعنوية إنّما هو في ظلّ الحكومة الإلهية للإمام؟!

ونرى من المناسب أن نختم هذا الفصل بمسك كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تأييد هذا الموضوع:

«... يؤيّده الله [الإمام المهدي] بملائكته، ويعصم أنصاره، وينصره بآياته، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرها، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافر إلّا آمن به، ولا طالح إلّا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيّامه وسمع كلامه!»[٢].

---

١. *بحار الأنوار*، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ح ٣٧، ص ٨١.
٢. *إثبات الهداة*، الحر العاملي، ج ٣، ص ٥٢٤.

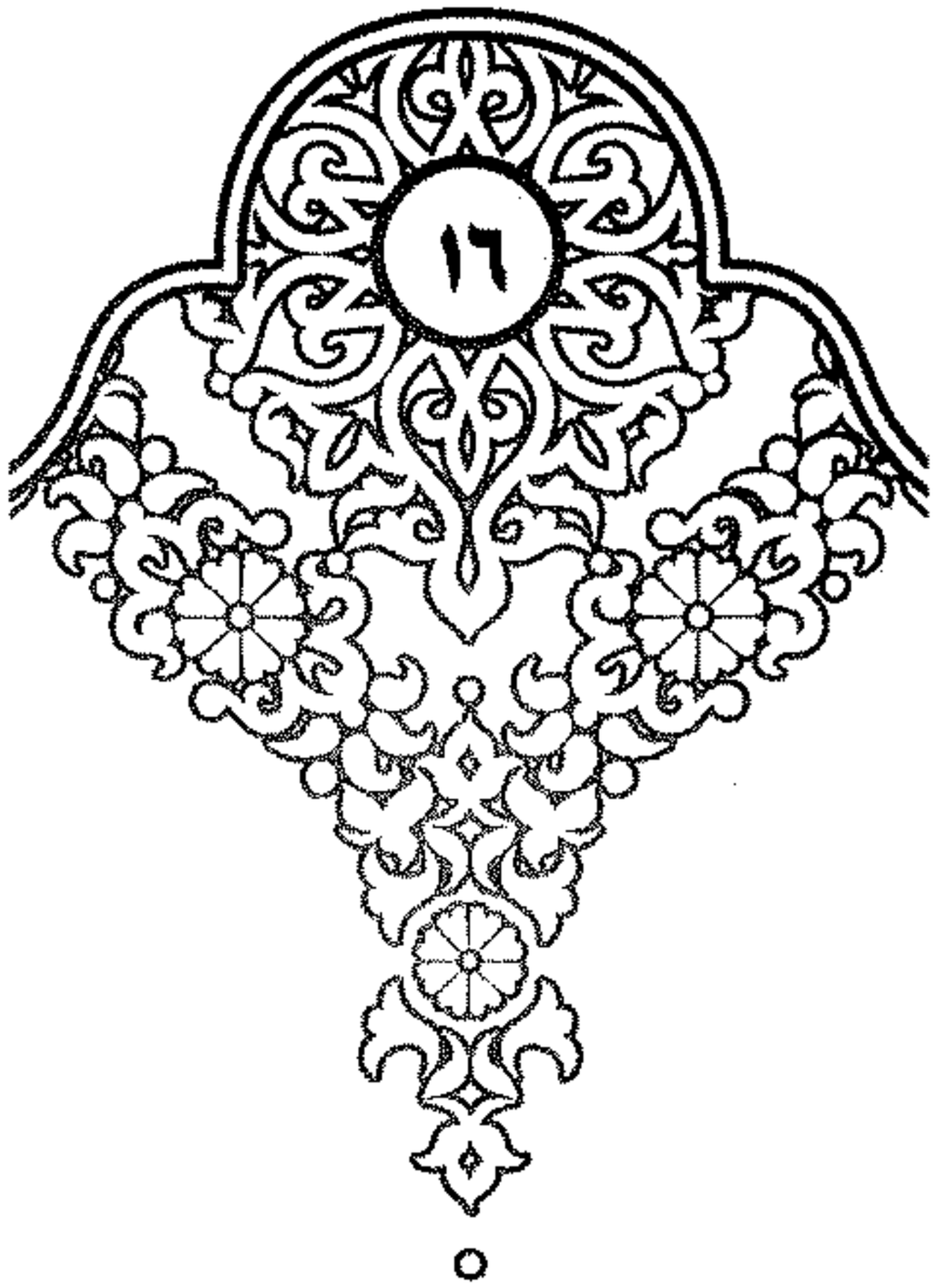

المحاربون للمهدي (أنواع أعداء المهدوية)

منذ بدء خلق آدم، خُلقت معه المواجهة بين الحق والباطل والصراع بين الخير والشرّ. ما انفكّ الشيطان بوصفه التجسيد التام للشرّ يخالف سعادة الإنسان وكماله، وقد سعى سعيه وجدّ جهده لدفع بني آدم إلى الحضيض. لقد وجدت قوافل النور للأنبياء والأولياء دوماً صفوفاً من الشياطين أمامها تضع الموانع والعراقيل في طريق الأهداف الإلهية. وازدادت هذه الحرب وذاك الصراع ضراوة وشراسة في عصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام وتصاعدت وتيرتها أكثر فأكثر، طبعاً بأشكال وأساليب أشدّ تعقيداً، وسوف تستمر حتى عصر الظهور في لباس الدجالين والسفياني.

محاربة المهدي عبارة عن تيار شيطاني هدفه محاربة ثقافة المهدوية الأصيلة والانتظار عبر توظيف أنواع الأدوات للقضاء على الحقيقة المهدوية أو تسقيطها أو تشويهها. وهذا التيار استمرار للصراع بين الحق والباطل، ويظهر في كل عصر بلبوس جديد وحلّة مختلفة. طبعاً مع وجود هذه

البشارة القرآنية دائماً بأنّ العدو يحاول إطفاء نور الله، والله متمّ نوره وسوف ينتشر في جميع أرجاء العالم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

من أهمّ الواجبات التي تقع على أنصار المهدي اليوم التعرّف على الخطط والأساليب التي يستخدمها المحاربون للمهدوية في هذا الصراع المحتدم، من أجل تحقيق الأهداف التالية:

أ. صيانة الجوهر الأصيل للمهدوية وثقافة الانتظار الصحيحة وعقيدة الموعود، والحؤول دون تشويهها أو تحريفها.

ب. التعرّف على سبل مواجهة المحاربين للمهدوية، وعملنتها واكتشاف مشاريعهم الخيانية.

ج. المحافظة على إيمان وعقيدة محبّي المهدي عليه السلام ومنتظريه، لئلا ينخرطوا في زمرة المحاربين للمهدوية لاإرادياً ودون علمهم.

أهداف المحاربين للمهدوية

بمحاربتهم لهذه الحقيقة القرآنية يسعى أعداء العقيدة المهدوية إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية:

١. إنكار المهدي أو على الأقل إضعاف الاعتقاد بالمهدي عليه السلام والإمامة؛

يحاول المحاربون للمهدوية وبمختلف الأدوات إلى تصوير هذه العقيدة على أنّها وهم وخرافة، ولا تستند إلى أيّ دليل واقعي يبرهن على صحّتها، وحتى لو عجزوا عن تحقيق هدفهم هذا، فإنّهم على الأقل قد عملوا على خدش صورة المهدي عليه السلام والمهدوية، فيعمدون إلى تحريف مسألة الانتظار وثورة الإمام وأهدافها لصالحهم، ويلقّنون جيل الشباب المؤمن قراءات مغلوطة وغير صحيحة.

٢. رفض عقيدة المدينة المهدوية الفاضلة والحكومة العالمية التوحيدية؛

يحاول المحاربون للمهدوية القضاء على العقيدة الكبرى للمسلمين وخاصة الشيعة وأملهم في الظهور القريب لحجة الله، وتحقيق حكومة العدل الإلهية في ربوع الأرض، ليعملوا بدلاً من ذلك على إشاعة اليأس والانفعال إزاء هيمنة المستكبرين والتسليم لأطماعهم. ومن البديهي أنّه عندما

---

١. سورة الصف: الآية ٨.

يُسلب المؤمنون والمنتظرون أملهم بالمستقبل، ينعدم أو يقلّ الحماس والسعي والنشاط لتهيئة الأرضية المناسبة للظهور.

٣. تغيير المعايير والقيم الدينية؛

الهدف الآخر وراء العداء للمهدوية محو الهوية الدينية والمذهبية للمؤمنين، وتغيير الإطار السلوكي لهم. فالأعداء بصدد إزالة أو إضعاف إيمان المنتظرين بالدين أو التعاليم الدينية عبر إنكار العقيدة المهدوية أو تحريف تيار الإيمان بالمهدي أو الانتظار.

أنواع المحاربين للمهدوية

لا شكّ في أنّ المهدوية عقيدة المؤمنين الكبرى على مدى التاريخ، حيث سيعمل جميع الأنبياء والأولياء في المجتمع البشري على تطبيقها. لقد انبرى أعداء هذه العقيدة الإلهية والإنسانية ولدوافع وأغراض شتى وبمختلف الخطط والأساليب لمواجهة هذه العقيدة. لذا، فمعرفة أنواع الأعداء للعقيدة المهدوية هي من أهم واجبات المؤمنين بالمهدي عليه السلام، ليتسنّى لهم عبر هذه المعرفة وتبعاً لها التصدّي الصحيح وفي الوقت المناسب للإعداء المحاربين للمهدي عليه السلام، وفي نفس الوقت تقوية وترسيخ جبهة المؤمنين والمعتقدين بالإمامة، وإذكاء جذوة الحماس للظهور وانتظار موعود الإسلام في قلوب المنتظرين.

١. الصهيونية المسيحية

تشكّل هذه الفرقة جزءاً من المسيحيين البروتستانت، وهي تؤمن بأنّ من الشروط المهمة لظهور المسيح، الموعود العالمي، قيام دولة إسرائيل. لذا، في إطار تقديم الدعم التام لدولة إسرائيل اللقيطة، طرحت هذه الفرقة مشروع «آرمجدون». وهو اسم منطقة على مقربة من مدينة حيفا بفلسطين، وقد فُسّرت في معاجم اللغة على أنّها المعركة النهائية بين الحق والباطل في آخر الزمان. وبناءً عليه فإنّ تصوّرات الصهيونية المسيحية وقراءاتها للعهد الجديد بأنّ تلك المعركة الكبرى سوف تقع في تلك المنطقة، حيث سيحارب الإمام المهدي عليه السلام، بوصفه الشخصية الرئيسية المعادية للمسيح، مع أصحابه المسلمين ضدّ المسيح الموعود وأصحابه. وقد تمّ تصوير هذه الخدعة الكبرى في الفلم الشهير «الرجل الذي رأى المستقبل» الذي أنتج عام ١٩٨١م، وفيه يستعرض صانعوه نبؤات العرّاف الشهير «نوستر آداموس» ومن بينها أنّ الإمام المهدي عليه السلام الذي يطلق عليه هذا العرّاف لقب «ملك الرعب»، سوف يشنّ حرباً مدمرة لا مثيل لها وسيحرق العالم،

لكنّ جيش المسيح المؤمن سيتصدّى له، ليكون النصر في نهاية المطاف حليف المسيحيين، حينئذ سيأخذ المسيح عليه السلام بمقاليد أمور العالم، ويعمل على إرساء أسس السلام العالمي.

تعتقد هذه الفرقة أنّ المعركة النهائية ستقع بمشاركة الإمام المهدي عليه السلام، الذي سوف يسعى إلى تدمير إسرائيل والصهيونية العالمية بقنبلة نووية؛ الأمر الذي يفسّر محاولات هذه الفرقة على صعيد وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية إلى ربط قضية سعي إيران للحصول على الطاقة النووية وعداء الجمهورية الإسلامية لإسرائيل بعقيدة الموعود الشيعية ووضعهما في إطار واحد، وتصوير معركة الغرب تحت عنوان محاربة نزعة الشرّ والحرب عند الشيعة والإرهاب المهدوي.

على سبيل المثال، عرضت شبكة CBS في أحد برامجها مقابلة مع أحد القساوسة المنتمين إلى الصهيونية المسيحية أعلن فيها أنّ الكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) قد تنبّأ بالمعركة التي ستدور رحاها بين المسلمين من جهة وبين المسيحيين واليهود من جهة ثانية، ومن أجل التعجيل بقيام السيد المسيح يجب محاربة المسلمين، وإقامة دولة صهيونية في إسرائيل، وفي هذا البرنامج يعرّف القس كتاباً بعنوان Left behind (المتبقي) ويتضمّن رسم صورة لمعركة آرمجدون.

كما نقرأ مقالات وتحليلات حول الإمام المهدي عليه السلام متاحة على موقع شبكة CBN[1] تصوّر المسلمين بقيادة الإمام المهدي عليه السلام كمجموعة من الإرهابيين؛ على سبيل المثال، مقالة تحت عنوان «أحد الكليبات الإيرانية التي تقول: بأنّ ظهور المهدي قريب» متاحة على الموقع المذكور، حيث تقوم المقالة بتحليل الوثائقي الانحرافي «الظهور قريب جداً».

من الواضح أنّ المحاربين للمهدوية يريدون من وراء هذا المشروع الخياني تصوير المهدوية التي هي بشارة القرآن الكريم بالسلام العالمي وترسيخ القيم الإلهية والإنسانية على الأرض، على أنّها تيار معادٍ للسلام والأمن ومبدأ العدالة، والإمام المهدي عليه السلام، وهو حجة الله ومنجز أهداف الأنبياء والكتب السماوية، على أنّه عدو للنبوة والمسيح، للتعريف بالمهدوية كتيار معارض للمسيح عليه السلام ـ باعتباره منجي أهل الكتاب ـ، لاستعداء مذاهب المؤمنين في جميع أنحاء العالم وحتى المسلمين ضدّ التيار المهدوي.

---

١. هذ الشبكة تابعة لـ بت روبرتسون أحد الزعماء الإنجيليين في الولايات المتحدة.

٢. الفرق المنحرفة

أحياناً تؤدّي التصوّرات المغلوطة عن تعاليم أحد الأديان السماوية إلى تأسيس تيار فكري منحرف، والأمثلة كثيرة على ذلك مثل الخوارج[١] والإسماعيلية[٢] في الماضي البعيد، والبهائية والوهابية[٣] وبعض الفرق المنحرفة مثل جماعة الصرخي واليماني في الأونة الأخيرة. الفرق المنحرفة منذ أن جنحت الفرق المنحرفة نحو العقائد الباطلة بدأت بمواجهة العقائد الصحيحة في الدين الإسلامي. وفي هذا الإطار كان الاستكبار العالمي وأعداء الإسلام في الخارج يشكّلون الظهير والسند لتلك الفرق من خلال تقديم الدعم الواسع لها من أجل تحقيق أهدافها الخبيثة.

فالفرقة البهائية التي انشقّت عن الشيعة الإمامية، أنكرت عقيدة المهدي الموعود كآخر إمام من أئمة الشيعة يظهر في آخر الزمان، وابتدعت ديناً وكتاباً ونبياً جديداً، أنكرت أيضاً خاتمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك الفرقة الوهابية الضالّة التي انبرت لمعارضة مهدي الشيعة بمختلف الوسائل الدعائية، وهي اليوم تسعى إلى تصوير هذه العقيدة كوهم وخيال، أو على الأقل رسم صورة دموية لها مناقضة للإسلام وللنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والسنّة المطهرة. من بين الخطط التي تعتمدها هذه الفرقة توزيع الكتب بأعداد هائلة على حجاج بيت الله الحرام أثناء موسم الحج والعمرة وبمختلف اللغات ومنها اللغة الفارسية (كتب في مخالفة الشيعة والعقيدة المهدوية الشيعية). وبقية الفرق المنحرفة ولا سيّما في المدن الشيعية.

٣. المنشقّون

تقوم الأصول الدينية والأحكام الإسلامية والقرآنية على الوحي، فهي تستلهم من كلام الله وأحاديث نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ومن البديهي أنّ تفسير هذه الأحكام والمعارف يحتاج إلى إحاطة بطائفة واسعة من العلوم، ومعرفة عميقة بالمبادئ القرآنية والحديثية. وبأسف عميق لا بدّ أن

---

١. كانوا من جند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتمرّدوا عليه في حرب صفين وانشقّوا عن جيشه، واضطرّوه إلى معركة النهروان. ابن الملجم المرادي قاتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خرج من هذه الفرقة.

٢. عقيدتهم أنّ إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لم يمت، وهو نفسه المهدي الموعود.

٣. أتباع محمد بن عبد الوهاب من أهل السنّة، وله عقائد خاصة في التوحيد والشرك، ظهر في شبه الجزيرة العربية حوالي سنة ١١٠٠ هـ.

نعترف أنّه على مدى تاريخ الإسلام، ظهرت تفاسير غير صحيحة للتعاليم الدينية في المجتمع الإسلامي. ولا سيّما في التاريخ المعاصر، حيث يمّمت التيارات الموسومة بالتنويرية وجهها نحو هذه الأساليب المضلّة والمضلّلة بهدف مواءمة التعاليم الإسلامية والقرآنية مع أفكار العالم الجديد، فكانت النتيجة رفض وإنكار بعض أصول الإسلام مثل الوحي والنبوة أو على الأقل تحريف بعض هذه الحقائق، لدرجة ذهب بعض المتنورين والمنشقين الإيرانيين إلى حدّ إنكار أصل العقيدة المهدوية.

وقد تحوّل هذا التيار الثقافي الضالّ، عن قصد أو دون قصد، إلى تيار محارب للمهدوية بشكل علني، وبدأ يتصدّى للحقيقة المهدوية من خلال إثارته الشبهات حولها.

٤. المستشرقون

يمكن تقسيم الباحثين الغربيين الذين تناولوا بالبحث والدراسة الأديان والمذاهب الشرقية ولا سيّما الإسلام إلى فئتين: فئة على شاكلة الباحث الفرنسي هنري كوربان[١]، الذي كان يبحث في الدين الإسلامي من منطلق الهواجس العلمية وحرص شديد على معرفة حقائق هذا الدين؛ وفئة ثانية مثل جولدتسيهر[٢]، وجميز دارمستتر[٣]، وفان فلوتن[٤] الذين اتّخذوا من بحوثهم ودراساتهم حول الدين الإسلامي ذريعة لتحقيق أهداف ثقافية إمبريالية[٥]، وإضعاف أسس الإسلام وتسخيف المعارف الإسلامية، ظنّاً منهم أنّهم بهذا العمل يعزّزون الأسس الثقافية للّيبرالية الغربية[٦]. تناولت هذه الفئة العقيدة المهدوية بالبحث والدراسة، وهي ترى أنّ المهدوية في الإسلام لا أساس لها،

---

١. (Henry corbin) أحد أبرز المختصّين الغربيين بالدراسات الإسلامية، له عدّة مقالات عن الإمام المهدي عليه السلام، وكان يعتقد أنّ العقيدة المهدوية يمكن أن تتحوّل إلى نظرية جامعة في العرفان الإسلامي.

٢. (Ignaz Goldziher) مواطن مجري من أصل يهودي، يعتقد البعض أنّه مؤسّس الدراسات الاستشراقية الإسلامية في أوروبا. تناول موضوع العقيدة المهدوية في كتابه الموسوم ***العقيدة والشريعة في الإسلام***.

٣. (James Darmesteter) مستشرق فرنسي متخصّص في الثقافة الشرقية ولا سيّما بلاد فارس القديمة.

٤. (Gerole Van Vloten) مستشرق هولندي، له عدّة كتب في الثقافة الإسلامية. يتحدّث عن الإمام المهدي عليه السلام في كتابه باللغة العربية الموسوم ***السيادة العربية و الشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية***، وقد تُرجم كتابه.

٥. الإمبريالية الثقافية عبارة عن توظيف السلطة السياسية والاقتصادية لفرض القيم الثقافية للسلطة الاستعمارية وإشاعتها في أوساط الناس والمجتمع الهدف، ليتمّ تدمير ثقافة ذلك المجتمع واستبدالها بثقافة مستوردة ومفروضة؛ على سبيل المثال إشاعة الثقافة الأمريكية في أوساط المجتمع.

٦. الليبرالية عنوان يطلق على مدرسة الرأسمالية.

وهي مقتبسة من بقية الأديان والفرق الأخرى مستندة في هذا الرأي إلى أقوال واهية وأدلة غير حقيقية.

٥. مدّعو المهدوية

على مرّ التاريخ الإسلامي، وخاصة في القرن الأخير، ظهر مدّعون كثر للمهدوية، استقطبوا شرائح كثيرة من الناس إليهم، فحرفوهم عن النهج الصحيح للعقيدة المهدوية في الإسلام. كما ظهر في المجتمع الكثير ممّن ادّعوا نيابة الإمام المهدي عليه السلام والبابية أو ممّن ادّعوا الاتصال بالإمام، فكانوا السبب في جنوح الناس نحو الضلال، وظهور سلوكيات منحرفة في حقل العقائد والأخلاق؛ للمثال، ادّعى عدد من الأفراد أنّ الإمام المهدي عليه السلام اتّصل بهم وحمّلهم رسائل، وبذلك حجزوهم عن مراجعة الفقهاء وتلقّي أحكام دينهم منهم، فجعلوا إيمان الناس في مهبّ رياح أهوائهم وأغراضهم الشخصية، ووسيلة للارتزاق والشهرة. لقد قامت هذه الجماعات بمحاربة المهدوية عن علم ووعي، فكانت وسيلة لانحراف الناس بشكل أكبر وأعمق عن دينهم وأصولهم.

وهناك جماعات أخرى لا تنطلق في محاربتها للمهدوية عن قصد مسبق، وإنّما عن جهل واعتناق أفكار خاطئة ورجعية، فتحول بذلك دون تطوّر المذهب الشيعي وحركة الشيعة على طريق التوطئة للظهور. فاستناداً إلى تفسيرات خاطئة للروايات، تعتقد تلك الجماعات أنّه لا راية قبل راية الإمام المهدي عليه السلام[1]، وعليه فكل حركة ثورية قبل ظهور الإمام عليه السلام باطلة، وبهذا الفكر المنحرف عارضت الثورة الإسلامية في إيران. بعض هؤلاء الأشخاص يعتقدون بأنّنا لا نتحمّل أيّ مسؤولية في مواجهة الظلم والفساد؛ رافعين شعار أنّ انتشار الفساد في المجتمع سوف يعجّل بظهور الإمام الغائب؛ هذا في حين أنّ النهي عن المنكر كان أصلاً من أصول الإسلام والقرآن، وهو على المستوى العام يعني نفي الطواغيت والفساد الحكومي والتصدّي للحكومات الفاسدة.

الأمر المؤسف حقّاً، إنّ هذه الجماعات كانت عوناً لأعداء المهدوية، دون أن تعلم، وسبباً في انحراف سلوك المنتظرين وغفلتهم عن واجباتهم الرئيسية في عصر الغيبة، حتى أنّها في بعض الأحيان تسبّبت في انحراف عقدي للشيعة.

---

٢. و قد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا: ***بحوث علمية في القضية المهدوية***، ج ١، ص ٢٦٢.

جذور محاربة المهدوية

إنّ رفض المهدوية ومحاربة هذه العقيدة الإلهية والبشرية الكبرى له جذور وأسباب مختلفة إذا ما عرفناها فسوف تحصّن الشيعة من التأثّر بشبهات الأعداء، كما تجعل من المؤمنين بالمهدوية أكثر استعداداً لمواجهة أيّ غزو ثقافي سياسي. من جذور وعوامل محاربة المهدوية نذكر:

١. الجهل

من وجهة نظر الإسلام، فإنّ الجهل يعدّ السبب الرئيسي وراء الكثير من معارضة الأقوام لأنبيائهم.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «النّاس أعداء ما جهلوا»[١].

وتاريخ الإسلام حافل بأمثلة كثيرة على التصرّفات الجاهلة للناس، مسلمين وغير مسلمين، إزاء الإسلام والأولياء، من بين تلك الأمثلة سلوك فرقة الخوارج مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

في موضوع العقيدة المهدوية، أحياناً كان الجهل وعدم الوعي بمقام الإمامة وصفات الإمام وأهدافه وأهداف الموعود المنتظر سبباً في العداء لثقافة المهدوية والانتظار ومحاربتهما. فعندما يرسم أحدهم في ذهنه صورة عنيفة ودموية عن إمام الرأفة والمحبة، ويعتبر ظهوره بداية للحروب والرعب وانعدام الأمن، فمن الطبيعي أن يلتحق بالمعسكر المقابل للإمام.

٢. اللهث وراء الدنيا والمصالح

المهدوية هي العقيدة الموطّئة لعبودية الله تعالى، والإمام المهدي عليه السلام هو الموعود الإلهي الذي يقضي على جميع أشكال الظلم، وإنهاء سلب الحقوق والأهواء والشهوات المحرّمة، ويزيل الظلم ويحلّ محلّه العدل والقسط.

من البديهي إنّ الذين لا يرون هدفاً للإنسان في هذا العالم سوى الأكل والشرب والنوم وقضاء الشهوات والملذات، سوف يعارضون أيّ حقيقة تتناقض مع هدفهم الدنيوي ويستعدونها ويحاربونها.

في عصرنا الراهن، نجد الاستكبار غارق في الماديات والشهوات ويسعى إلى دفع الجميع إلى مستنقع اللذات الرخيصة ليغفلوا عن السعادة والآخرة، ليتمكّن من تشديد قبضته على الثروات

---

١. *نهج البلاغة*، الكلمات القصار، العدد ١٧٢.

المادية الأرضية. انطلاقاً من هذه الرؤية، فمن الطبيعي أنّه لن يقبل بسيادة القيم المعنوية في المجتمع، والتي هي نتاج حكومة الإمام المهدي عليه السلام، فينبري إلى محاربة الثقافة المهدوية والانتظار بشتى الوسائل. وخصوصاً مع علم الأعداء بأنّ المهدوية عقيدة تدعو البشرية إلى رفض أيّ تسلّط أو ظلم، وفي عصر الغيبة، تدعو المنتظرين صوب أهداف حكومة الإمام المهدي عليه السلام العالمية المتمركزة حول العدل والحقّ.

التيارات المدّعية للمهدوية والبابية وتلك التي تزعم الاتصال بالإمام المهدي عليه السلام كلّها ارتأت محاربة الإمام المهدي عليه السلام بدافع تحقيق الشهرة والمصالح.

٣. العصبية الباطلة

لم يزل الإسلام يدعو الإنسان إلى التدبّر والتفكّر، وقيمة الإنسان من منظار القرآن الكريم هي في مقدار تعقّله وتفكّره[١]، وقد وبّخ الله تعالى في القرآن الكريم الأشخاص الذين يسيرون على النهج المنحرف لأجدادهم بدافع العصبية الباطلة[٢].

وتشكّل هذه الصفة البغيضة جزءاً من الأسباب التي تقف وراء العداوة للعقيدة المهدوية. فالعقيدة الوهابية التي تنسب نفسها إلى الإسلام، ترفض سائر المذاهب الأخرى وتعتقد بطلان كل العقائد سواها. وانطلاقاً من هذا التعصّب الأعمى والباطل تشنّ الوهابية حملات على معتقدات الشيعة، وتقوم بتشويه العقيدة المهدوية الشيعية بشكل خاص وتحريفها، وتستعدي هذه الحقيقة القرآنية ضمن هجوم واسع وعلني عبر جميع وسائل إعلامها.

٤. الأنانية والاستكبار

نظراً إلى سعي مستكبري العالم لبسط هيمنتهم على المستضعفين ومصائرهم، فإنّهم يناصبون العقيدة المهدوية العداء، وهي العقيدة التي تحارب الظالمين والمستبدين، وهذه العداوة منبثقة عن الطبيعة الاستكبارية وروح الاستبداد التي تسكنهم.

---

١. سورة البقرة: الآية ١٦٤؛ سورة يوسف: الآية ٢؛ سورة آل عمران: الآية ١٩١.

٢. سورة البقرة: الآية ١٧٠؛ سورة المائدة: الآية ١٠٤؛ سورة الأنبياء: الآية ٥٣.

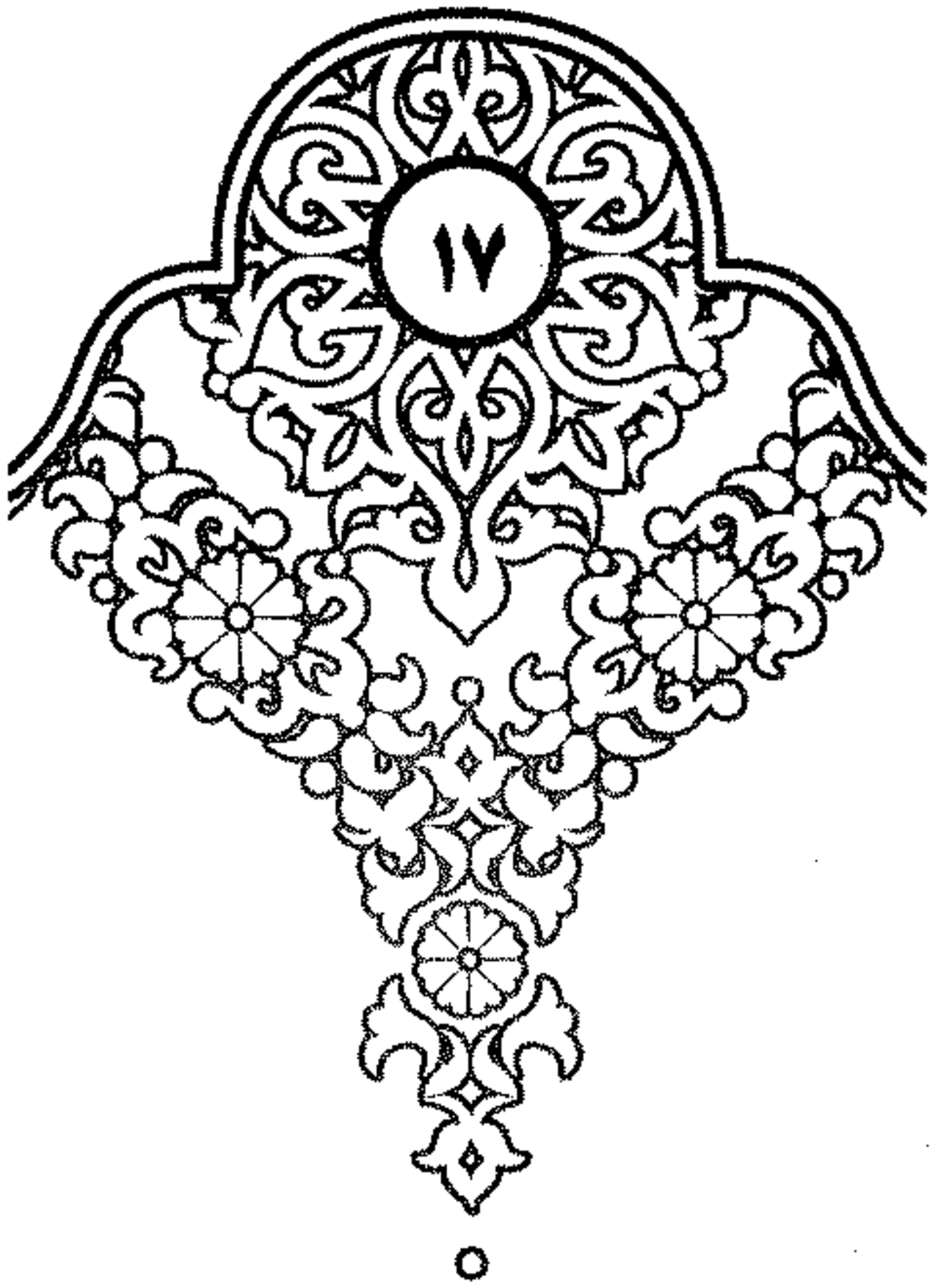

المحاربون للمهدوية (أساليب محاربة المهدوية)

أدوات المحاربة

في حرب الحضارات تتمثّل استراتيجية محاربي المهدوية الرئيسية لتدمير الثقافة المهدوية والانتظار في بثّ المعلومات والبيانات الخاصة، والتي من خلالها يتمّ التأثير على العقائد وكذلك السلوكيات بما ينسجم ومصالحهم. ويحصل انتقال المعلومات بثلاث طرق أصلية: الكلام، الكتابة، الصور. ومحاربو المهدوية يستخدمون هذه الطرق مجتمعة.

عقد المؤتمرات وإلقاء الكلمات هي من بين الأدوات المهمة التي استخدمتها هذه الجماعة من أجل إثارة الشبهات وقلب الحقائق. خطب القساوسة الأصوليين الألفيين[1] من أمثال هال ليندسي[1] و

---

١. الكلمة اللاتينية «**Millennialism**» تعني في اللغة الألفية دورة مؤلفة من ألف عام. وهي عقيدة تستند إلى أدبيات المكاشفة ←

پت روبرتسون[٢] في داخل الكنيسة وخارجها، كما تندرج الخطب والبرامج التلفزيونية لمشايخ الوهابية في هذا الإطار.

على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى برنامج كلوب ٧٠٠ الذي يشرف عليه پت روبرتسون، أو البرامج التلفزيونية التي يقدّمها هال ليندسي. يقوم پت روبرتسون في قناته التلفزيونية بتحليل أحاديث وخطب المسؤولين الإيرانيين وقصة تدمير إسرائيل بالتمحور حول الإمام المهدي عليه السلام، ويحاول في برنامجه (كلوب ٧٠٠) أن يشرح لمشاهدي القناة دور الإمام صاحب الزمان عليه السلام في الاضطرابات والفوضى الجارية في منطقة الشرق الأوسط.

وفي حقل الكتابة، تتم الاستعانة بشكل واسع بالكتب والمطبوعات وكذلك شبكة الإنترنيت لغرض تشويه صورة الإسلام والأحكام الإسلامية، وكذلك إظهار معاداة الإمام المهدي عليه السلام للمسيح عليه السلام وسوء استغلال النبؤات الرؤيوية، وهذه كلّها جوانب من محاولات محاربي المهدوية.

أمّا حقل التصوير، فهو الأكثر نشاطاً بالنسبة لهؤلاء الأعداء، لأنّه، بطبيعة الحال، الأكثر تأثيراً واستمرارية. في هذا النوع من العداء تحظى الألعاب الكومبيوترية بدور مهمّ وذلك لما تنطوي عليه من إثارة وحماس وحضور فعّال للّاعب. من الأمثلة المعروفة على هذه الألعاب، لعبة «يا مهدي». في هذه اللعبة يتوقّف انتصار اللاعب في كل مرحلة على تعداد الأشخاص الذين يقتلهم ممّن يهتفون بعبارة «الله اكبر» و «يا مهدي»، وبذلك يزرعون بذرة العداء للعقيدة المهدوية في ذهن وروح الناشئة والشباب.

في هذا الحقل أيضاً، هنالك الأفلام والسينما، وهما المضمار الأكثر فعالية بالنسبة للأعداء. عندما أقدم الصهاينة على تأسيس «هوليوود» جعلوا منها عاصمة السينما العالمية؛ بحيث نجد حوالي ٨٠ في المئة من الأفلام التي تعرض على شاشات السينما والتلفزيون في العالم من إنتاج

عند اليهود وسفر رؤيا يوحنا. وقد شاعت الألفية في اليهودية بشكل كبير، وفي عام ١٩٩٩م مع اقتراب نهاية الألفية الميلادية الثانية وبداية الألفية الثالثة، عادت هذه العقيدة إلى الحياة من جديد في العالم المسيحي. وطبقاً لنصوص الكتاب المقدس، فإنّ المسيح سوف يعود مرة أخرى إلى عالمنا هذا مع ملائكته والقديسين، وسوف يتغلّب على إبليس، ويؤسّس لملكوت الله، ويحكم لمدة ألف عام. وهذه هي قيامته الأولى، ومن ثمّ يتحرّر الشيطان من السجن، فيحاصر ضلال الأمم في الجهات الأربع للعالم جيش المقدسين والمدينة المحبوبة، ثم تنزل صاعقة من السماء فتبتلع الشيطان وأعوانه، ليبقى في النار إلى الأبد.

1 .Hallindsey

2 .Pat robertson

هذه الشركة. من بين الأفلام العالمية المختارة التي تشارك في المهرجانات المصطنعة، تحتل الأفلام ذات الموضوعات الرؤيوية أعلى نسبة مشاركة، حيث أنّ الرسالة الأصلية لهذه الأفلام إشاعة أجواء الاضطراب والخوف ومن ثمّ الشعور بالحاجة إلى منقذ على النمط الأمريكي المستند إلى التكنولوجيا المتطوّرة، والذي بمقدوره محاربة أعداء البشرية والقضاء عليهم. وبذلك تبرّر هذه الأفلام امتلاك المستكبرين ولا سيّما الولايات المتحدة والصهاينة للأسلحة المتقدمة والتدميرية، وفي نفس الوقت تشوّه العقيدة المهدوية الإسلامية بوصفها عقيدة مخلّصة.

أساليب محاربة المهدوية

يستخدم أعداء الإسلام والمهدوية شتى الأساليب من أجل محاربة هذه الحقيقة، وهي أساليب تمّ استخدامها عبر التاريخ، حيث أنّ أعداء الأنبياء لجأوا إلى نفس هذه الأساليب.

في هذا الفصل سوف نناقش أساليب الأعداء في محاربة المهدوية بالاستناد إلى هذا القول الحكيم:

١. الإنكار

من بين الإجراءات التي يلجأ إليها الأعداء إنكار العقيدة المهدوية. فهم يحاولون أن يبيّنوا بأنّ العقيدة المهدوية والموعود الإسلامي عقيدة خرافية وخاوية. وفي هذا الإطار يلجأون تارة إلى بثّ الدعاية بأنّ المهدوية عقيدة مستوردة دخلت الإسلام من سائر الأديان الأخرى مثل الزرادشتية. يقول أحد المستشرقين المشهورين أعني جولدتسيهر:

العقيدة المهدوية لها جذور في العناصر اليهودية والمسيحية، وتجد فيها أيضاً أجزاء من خصوصيات عقيدة السوشيانس (أو الموعود الزرادشتي) التي يؤمن بها الزرادشتيون[١].

وأحياناً يزعمون أنّ هذا الموضوع اخترعه العلويون والشيعة للتعويض عن هزائمهم المتتالية وفشلهم عبر التاريخ ليمنّوا أنفسهم بمستقبل وهمي، لئلا يصابوا باليأس والإحباط[٢].

هذا، ولا يقتصر أسلوب الإنكار على المستويات العليا، فأحياناً ينزل إلى مستويات أدنى والتي هي عبارة عن إنكار ولادة الإمام المهدي عليه السلام. ففي هذا المستوى يؤمن العدو بأصل العقيدة

---

١. *الإستشراق والمهدوية*، الجزء الأول، ص ١٣٥ و صص١١١ و ١١٠.

٢. *المصدر نفسه*، ص ١٩٣.

المهدوية بوصفها تيار إنقاذي إسلامي، لكنّه يزعم أنّ الإمام المهدي عليه السلام لم يولد بعد، ولا يوجد أيّ دليل على ولادته.

والحال، إنّ العقيدة المهدوية تيار إسلامي أصيل ورد ذكره في الكثير من الآيات القرآنية والروايات المذكورة في مصادر الفريقين، كما أنّ ولادة الإمام المهدي عليه السلام قد ثبتت في العديد من الوثائق التاريخية والروائية.

جدير بالذكر أنّ أسلوب إنكار الحقيقة هذا قد استُخدم مع الأنبياء والكتب السماوية وبشكل خاص مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم، إذ سعى أعداء النبي الأكرم إلى إنكار نبوته، وزعموا أنّ كتابه السماوي من بنات أفكاره[1].

٢. التشويه

الإجراء الآخر للعدو هو تشويه العقيدة المهدوية وتقبيح صورة ظهور المهدي عليه السلام وخدش الصورة الجميلة لهذا الإمام العظيم.

ويبدو أنّه كلما فشل الإعداء في إنكار العقيدة المهدوية والإمام المهدي عليه السلام لجأوا إلى الهجوم على مباحث ذات صلة بهذه الحقيقة، عبر نشر موضوعات مزيفة ومحرّفة لإضعاف إيمان المعتقدين بهذه العقيدة. والمثال الأبرز على ذلك هو تصوير الإمام المهدي عليه السلام على أنّه ملك الرعب، وأنّه سيقوم بسفك دماء غزيرة في هذا العالم، ويهدم مساجد ومعابد كثيرة؛ والحال، أنّ الإمام المهدي عليه السلام طبقاً للروايات الصحيحة هو تجسيد للمحبة والسلام والأمن والسلم العالمي، ويدعو جميع الأمم إلى الحق والعدل، وسوف يحقّق على أرض الواقع حلمهم الكبير في الحياة الطيبة والمثالية المنشودة. نعم، إنّ الإمام المهدي عليه السلام سوف يحارب الظلم والظالمين من أجل إقامة العدل في العالم، واستعادة الحقوق المسلوبة لمستضعفي العالم، ويُسقط المستبدين من عروشهم.

مثال آخر على محاولات العدو في هذا المجال هو أسلوب السخرية والاستهزاء. يزعم مخالفو المهدوية الشيعية أنّ مهدي الشيعة يعيش منذ قرون طويلة في سردابه بمدينة سامراء المقدسة بلا ماء أو طعام، وأنّ الشيعة في كل صباح جمعة ينتظرون خروجه من السرداب وظهوره. هذا في

---

١. سورة المدّثر: الآيتان ٢٤ و ٢٥؛ سورة الأنعام: الآية ٢٥.

حين أنّنا لو بحثنا في كل مصادر الشيعة لن نجد أيّ أثر لهذه الكذبة الكبرى[١].

وممّا يجدر ذكره هنا أنّ أسلوب التشويه هذا ليس بجديد، فقد كان موجوداً في الماضي أيضاً، حيث استخدم أعداء الحق في مواجهتهم للأنبياء وخاصة نبي الإسلام ﷺ أنواع التهم والافتراءات والاستهزاء والسخرية، فكانوا ينعتون نبي الرحمة ﷺ بشتى النعوت والأوصاف مثل شاعر، وساحر، ومجنون[٢]، سعياً منهم لصرف الناس عن الإيمان بدعوته. وفي عصرنا الراهن أيضاً نجد مشروع الإسلاموفوبيا وإظهار المسلمين على أنّهم إرهابيون[٣] الذي يحمل نفس الهدف.

٣. التحريف

يبيّن القرآن الكريم أنّ من بين أساليب الأعداء في إبراز عداوتهم تحريف الحقائق:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ...﴾[٤].

التحريف هنا بمعنى قلب الحقيقة وتغييرها[٥]، وهي من بين الأساليب التي يلجأ إليها أعداء الله وأعوانهم. وقد استعان أعداء الإسلام أيضاً بهذا الأسلوب في الكثير من الحالات، وفي هذا الصدد يقول سماحة قائد الثورة الإسلامية ﷺ:

كلّ العقائد البنّاءة تعرّضت لهجمات الأعداء، فهؤلاء قد ركّزوا على الأحكام والقوانين الإسلامية، وعارضوا كل عقيدة ووصية في الشريعة السمحاء تترك تأثيراً بارزاً على الحياة والمصير المستقبلي للفرد والجماعة والأمة الإسلامية، علّهم يستطيعون القضاء عليها أو على الأقل تشويه مضمونها.

إذن، عندما عجزوا عن تشويه العقيدة المهدوية، لجأوا إلى تحريفها وتشويهها ليتسنّى لهم عبر هذا الطريق تبديل آثار وبركات هذه العقيدة الإسلامية المهمة إلى آفات ومضارّ. إنّ التفسير الخاطئ لمسألة الانتظار والروايات ذات الصلة بثورات ما قبل الظهور، وبيان أنّ الحسني هو نفسه المهدي عليه السلام هي من بين أمثلة التحريف التي يشيعها المحاربون للمهدوية.

---

١. انظر كتابنا: ***بحوث علمية في القضية المهدوية***، ج ١، ص ٢٢١.

٢. سورة يونس: الآية ٢؛ سورة القلم: الآية ٥١؛ سورة الصافات: الآية ٣٦.

٣. مثل الأفلام الوثائقية: فتنة؛ الكذبات الحقيقية؛ إيران، أخطر الشعوب؛ إيرانيوم.

٤. سورة النساء: الآية ٤٦.

٥. ***لسان العرب***، ابن منظور، ج ٩، ص ٤١.

وصارت الشركات الغربية اليوم تصوّر المسلم الصالح والمثالي بأنّه الرجل الذي لا يحمل أيّ دوافع لمحاربة الظلم ومواجهة الأعداء، مسلمٌ يتصوّر أنّ الولايات المتحدة قوة وحيدة وحضارة عظيمة، وعلى الدول الإسلامية، بحسب رأيه أن تضع النموذج الأمريكي على رأس تشريعاتها وقوانينها.

تبرز هذه النظرة وتتوضّح من خلال المؤتمرات والكتابات ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة بدايةً، في أفلام من قبيل إسكندر، بدون ابنتي كلا، پرسپوليس، المنقذ وغيرها يتمّ تصوير المسلمين على أنّهم مجموعة من الأفراد غير المتحضّرين، وأخيراً في أفلام مثل «الذهب الأسود» الذي يقول بأنّه حتى منقذ المسلمين سوف يستعين بالتكنولوجيا والحضارة الغربية ليقود المسلمين نحو السعادة المنشودة، ويبدّل تخلّفهم ووحشيتهم إلى تحضّر وسعادة!

٤. عملية الاستبدال

أسلوب آخر من أساليب الأعداء هو الاستبدال، أي استبدال كل حقيقة بنموذج مزيّف وتصويرها على أنّها البديل لتلك الحقيقة، ليتلهّى الناس بها، وبالتالي يمكن بهذه الطريقة حرفهم عن الحقيقة. في البداية، عندما أسّس النبي الأكرم ﷺ مسجد قبا لكي يجتمع المؤمنون فيه ويعبدوا ربّهم، بادر المنافقون إلى تأسيس مسجد ضرار[1]. وعلى هذا المنوال، راح الأعداء يؤسّسون العرفان الكاذب لمواجهة العرفان الإسلامي الأصيل.

وفي موضوع العقيدة المهدوية أيضاً يحاول محاربو المهدوية ربط مسألة خلاص الإنسانية بالغرب ولا سيّما الولايات المتحدة في مقابل عقيدة المهدوية في الإسلام بوصفها عقيدة إلهية أصيلة، ليتمّ، على هذا الأساس، استبدال الموعود الإلهي بمستكبري العالم، وإظهارهم في صورة منقذي العالم[2]، أو أن يقدّموا الدعم لمدّعي المهدوية أو النيابة في أوساط المسلمين أو حتى الشيعة.

الملاحظة الأخيرة المهمة هي أنّه بالإضافة إلى الأساليب المذكورة آنفاً، يحاول الأعداء في إطار مساعيهم لمواجهة الإسلام والمذهب الشيعي وخاصة الثقافة المتعالية للمهدوية والانتظار، فكّ

---

١. سورة التوبة: الآيتان ١٠٧ـ١٠٨.

٢. مثل فلم آرمجدون، يوم الاستقلال.

ارتباط أتباع مدرسة أهل البيت وخاصة جموع منتظري المهدي عليه السلام بالإمام الموعود وأهدافه، عبر ترويج فكرة الدنيوية أو التشبّث بالدنيا والدعاية للسلع والمنتجات الغربية من جهة، وفي الجهة المقابلة ممارسة الضغوط وإشهار سلاح العقوبات الاقتصادية. كما أنّهم يعملون في هذا السياق على إشاعة الفساد والابتذال الثقافي على نطاق واسع، ليتمكّنوا من توجيه جميع قدرات وإمكانات واستعدادات المؤمنين بالعقيدة المهدوية نحو مسارات خاطئة ومن ثمّ تدميرها؛ ولكن على الرغم من كل هذه الأساليب والمناورات فإنّ إرادة الله تعالى هي الغالبة:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

طبعاً شرط تحقيق هذا الوعد الإلهي العظيم والتعجيل بظهور المنجي القرآني والسماوي هو وعي وفطنة المؤمنين بالعقيدة المهدوية في مقابل أعداء المهدوية.

طرق مواجهة محاربي المهدوية

من البديهي أنّ على الجبهة المقابلة للأعداء المحاربين أن تبذل جهداً هادفاً ومنسجماً لصدّ الهجمات والعداوات، ومن أهم واجبات العلماء في الحوزة والجامعات الدفاع عن الحدود العقدية والثقافية الأصيلة الإسلامية والمهدوية، وبصورة علمية ومنطقية واستدلالية، للتقليل من الآثار الثقافية الخبيثة لهجمات الأعداء. طبعاً بالإضافة إلى العلماء، يجب على الدولة الإسلامية أيضاً أن تنهض بمسؤوليتها في هذا المجال، وتستنفر كل طاقاتها وإمكاناتها وخاصة في ميدان الثقافة. وعلاوة على ذلك، فإلى جانب الحوزة والجامعات والدولة الإسلامية، على كل مؤمن فرداً فرداً أن يعمل بما تمليه عليه المسؤولية الإسلامية، وبشكل خاص، يجب على الأسر أن تراقب العقائد والأفكار الدينية لأبنائها، وتبدي اهتماماً وحساسية تجاه هذا الموضوع. من أهم الإجراءات التي تحتّمها المواجهة مع أعداء المهدوية هي:

١. زيادة المعرفة ومحاربة الجهل

من أهم طرق التصدّي لمحاربة أعداء العقيدة المهدوية، زيادة الوعي لدى المؤمنين على مختلف مستويات المجتمع. على العلماء والمفكرين وبالاستناد إلى دعم النظام الإسلامي أن

---

١. سورة الصف: الآية ٨ـ٩.

يوظّفوا كل قدراتهم وإمكاناتهم لتعزيز المعرفة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام ومختلف القضايا المهدوية مثل ولادة الإمام، وغيبته، وانتظاره، وبركات وجود الإمام الغائب، وشروط قيامه، وحكومة الإمام عليه السلام ...إلخ، وأن يقدّموا أجوبة صحيحة ووافية عن كل هذه الموضوعات والشبهات والأسئلة التي يطرحها الناس وبالأخص جيل الشباب. بالإضافة إلى تأسيس مراكز علمية وإعداد كوادر متخصصة في موضوع الإمام المهدي عليه السلام، وإنشاء مواقع قوية وفعالة على الشبكة العنكبوتية، وعرض أفضل الكتب. هذه الإجراءات وغيرها يجب أن تتواصل، مع متابعة مستمرة حتى يحصل الشباب في مختلف المستويات الدراسية على التوعية الدينية والإسلامية في هذا المجال والمتناسبة مع احتياجاتهم.

٢. فضح أساليب المحاربين للمهدوية

إذا أردنا إحباط المحاولات الدنيئة للأعداء في تشويه عقيدة المهدوية وحرفها، فذلك يستدعي فضح حركتهم المعادية لله وللإنسانية أمام جميع شرائح المجتمع والشباب، وتسليط الضوء على أهدافهم القصيرة الأمد والبعيدة الأمد، ليأخذ الجميع حذره إزاء أيّ حركة معادية، لئلا يقعوا في حبائلهم دونما علم أو قصد. على جميع العلماء والمفكرين في الحوزة والجامعات ووسائل الإعلام الجمعية أن يساهموا بأقلامهم وبيانهم العلمي وبعيداً عن لغة التعصب المذهبي والقومي، في تعرية الخطط الخيانية الخبيثة لأعداء المهدوية، وأن لا يكلّوا أبداً من توجيه الانتقادات لخطبهم وكتاباتهم، وأن يفضحوا توجهات الأعداء وأهدافهم من هذه الممارسات.

٣. تثبيت الهوية الدينية والشيعية

يحاول العدو أن يشكّك الشيعة في عقائدهم ليفقدوا الثقة بها، ويزرع في نفوسهم شعورا باللامبالاة تجاهها، لإجهاض الثقافة الشيعية الأصيلة وإضعافها، ومن ناحية ثانية، يقوم بإبراز النسخ المزورة والمغشوشة غير الإسلامية وغير الشيعية على أنّها النماذج المطلوبة والمثالية لوصول الإنسان إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة. وبإزاء هذه الخيانة العلنية والكذبة الكبرى، ينبغي لنا ترسيخ الهوية الشيعية للشباب عبر شرح استدلالي لأصول المذهب الشيعي، وخاصة في موضوع العقيدة المهدوية، من أجل استحكام قواعد الإيمان بإمامة هذا الإمام العظيم، وضرورة وجوده والأهداف المتوخاة من تأسيس حكومته. في هذه الحالة، سيشعر الشاب الشيعي بالفخر والاعتزاز بمذهبه وعقيدته بوصفها أفضل خيار، وسيقف بوجه تخرّصات أعداء

المهدوية انطلاقاً من إيمانه بحقيّة الطريق الذي يسلكه، ولن يحيد عن الصراط المستقيم لأهل البيت عليهم السلام والثقافة المهدوية الأصيلة.

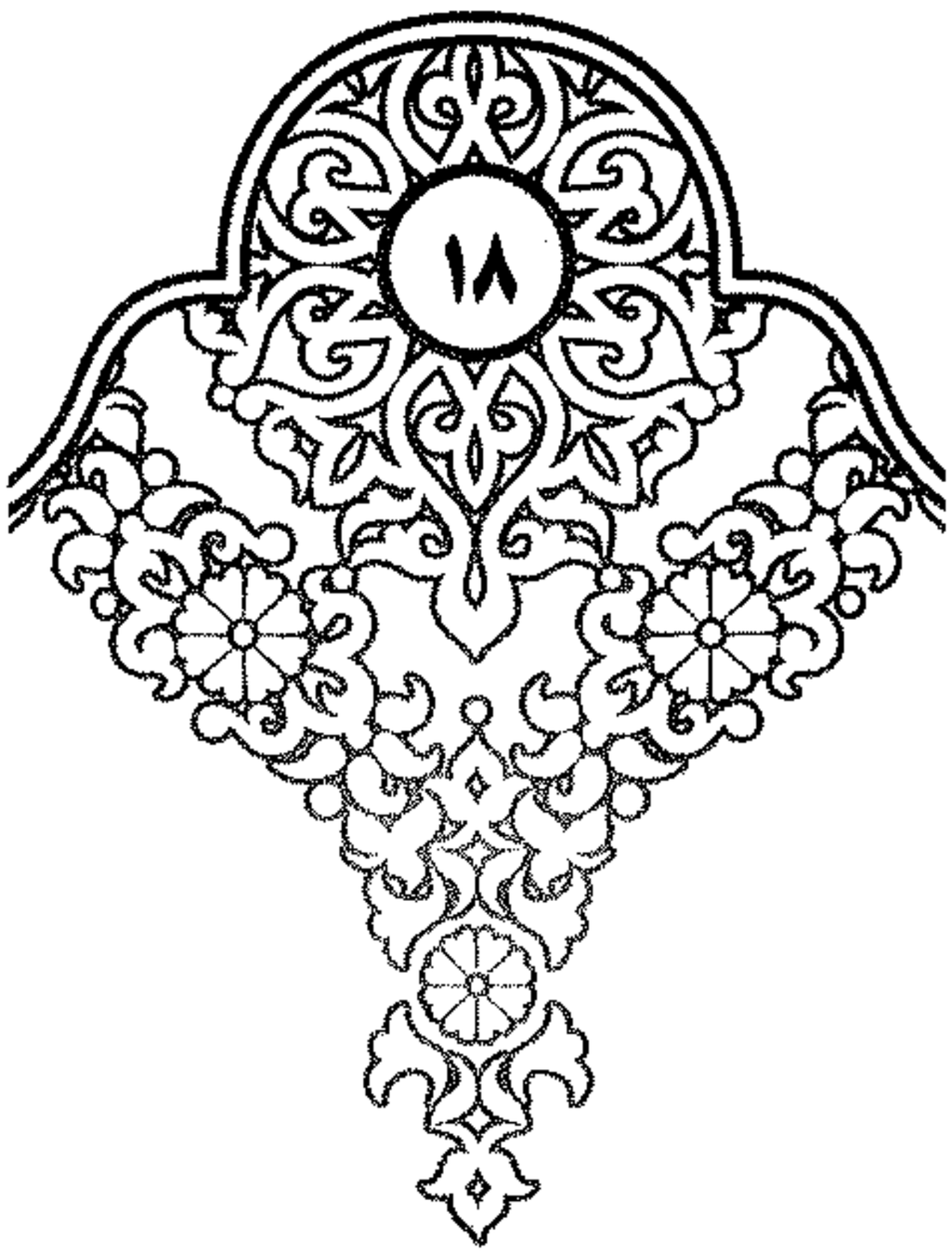

سيميولوجيا المباحث المهدوية

قد تصاب كل ثقافة ومنظومة معرفية ببعض الأمراض تمنعها من النمو والائتلاق. وينطبق هذا على الثقافة الدينية أيضاً التي قد تصاب أحياناً ببعض الأمراض والآفات تبطئ من حركتها نحو الكمال. يتكفل موضوع «السيمولوجيا الدينية» بتشخيص تلك الأمراض وأسلوب مواجهتها.

يلزمنا هنا أن نناقش ما يُعرف بأمراض الثقافة المهدوية الأصيلة، لننتقل بعد تشخيصها إلى اكتشاف طرق مواجهتها والقضاء عليها.

إنّ أمراض الثقافة المهدوية عبارة عن حالات إذا ما تمّ التغاضي عنها قد تؤدّي أحياناً إلى ضعف اعتقادات الناس وخاصةً الشباب إزاء مبدأ وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أو مختلف أبعاد معرفة هذا الإمام العظيم، وفي أحيان أخرى قد تكون سبباً في جنوح بعض الأفراد أو المجموعات وانحرافها عن الجادة. وبناءً عليه، ينبغي لمنتظري إمامنا المهدي التعرّف على هذه الأمراض صوناً لهم من

الزيغ في العقيدة والسلوك.

هاهنا نناقش أهم الأمراض التي قد تصيب الثقافة المهدوية ضمن عناوين مستقلة عن بعضها:

التصورات الخاطئة

من بين الأمراض الخطيرة التي قد تصيب الثقافة المهدوية القراءات والتصوّرات الخاطئة عن الثقافة الإسلامية. فالتحليل غير الصحيح والمنقوص للروايات ينتج فهماً غير صحيح أيضاً، وفيما يلي نشير إلى بعضها.

١. التصوّر الخاطئ عن مفهوم «الانتظار» أدّى بالبعض إلى الاعتقاد أنّه ما دام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الذي سيتكفّل بإصلاح العالم من الفساد، إذن، لا مسؤولية تقع على عاتقنا إزاء الفساد والانحرافات، بل قد يقال أنّه من أجل التعجيل بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا بدّ من نشر الشرور والقبائح في المجتمع. هذه الفكرة الخاطئة هي بالضدّ تماماً من رأي القرآن وأهل البيت عليهم السلام من أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوظائف الملقاة على كل مسلم.

٢. البعض يستنبط من بعض الروايات مثل لا راية قبل راية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أنّ كل ثورة قبل ثورته مرفوضة وغير مشروعة؛ لذلك تجده يتّخذ مواقف غير صحيحة إزاء أيّ ثورة ضدّ الطواغيت والاستكبار من أجل تطبيق الأحكام الإلهية.

وردّاً على هذا التصوّر نقول، لا يمكن تطبيق العديد من الأحكام الإسلامية مثل إقامة الحدود والقصاص وكذلك حكم الجهاد ضدّ الأعداء والمحاربة الشاملة للفساد إلّا في ظلّ حكومة إسلامية؛ لذا، فإنّ السعي لإقامة نظام إسلامي هو عمل ممدوح ومرضيّ، أمّا النهي المذكور في بعض الروايات فالمقصود به عدم المشاركة في الثورات الباطلة التي لا تقف وراءها دوافع إلهية، أو الثورات التي لا تأخذ بالاعتبار الظروف والشروط اللازمة، أو الحركات التي تقوم باسم الثورة المهدوية، وليس المقصود أيّ ثورة أو حركة على طريق إصلاح المجتمع.

٣. تصوّر آخر خاطئ في الثقافة المهدوية هو إبراز الوجه العنيف للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

على عكس تصوّر بعض الأشخاص الذين يعتقدون أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يجري أنهاراً من الدماء بسيف عدالته، ويسفك دماء الكثير، فالإمام صاحب الزمان عليه السلام هو مظهر رحمة الله ورأفته، وسوف يسير على سيرة جدّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي دعا الناس ابتداءً إلى الإسلام والقرآن ببيان واضح وأدلة ساطعة، ودخل معظم الناس في دعوته، ولبّوا نداءه والتحقوا به. كذلك الحال

بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام فإنّه لن يشهر سلاحه إلّا بوجه المخالفين المعاندين الذين يعرضون عن قبول الحقّ عن وعي وإرادة ولا يفهمون إلّا لغة السيف.

استعجال الظهور

أحد الأمراض الخطيرة التي تعاني منها الثقافة المهدوية هي استعجال الظهور. الاستعجال هو طلب حدوث الشيء قبل أوانه أو قبل توفّر الشروط اللازمة لتحقّقه ونضوجه. الإنسان العجول يفقد حصافته ورزانته وهدوءه بسبب ضعف نفسه وهلعه، ويستعجل وقوع الحوادث دون أخذ الظروف بالاعتبار.

بالنسبة للثقافة المهدوية الأصيلة والتعاطي مع مسألة الانتظار، فإنّ الإنسان المنتظر يسعى دوماً في طلب الظهور، ويرغب بكل جوارحه وقوع هذا الحدث، ويدعو باستمرار للتعجيل في فرج الإمام؛ لكنّه لا يستعجل أمر الظهور أبداً، ومهما طالت غيبة الإمام وطال الانتظار، فإنّه لا يفقد صبره وجلده؛ وإنّما يسلّم لأمر الله تعالى ومشيئته بالرغم من التياعه وشوقه لظهور الإمام، ويحاول توفير جميع الشروط اللازمة للظهور، ويوطّن نفسه عليها.

عن عبد الرحمن بن كثير قال:

«كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِهْزَمٌ فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي نَنْتَظِرُ مَتَى هُوَ؟ فَقَالَ: «يَا مِهْزَمُ كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ وَ هَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ وَ نَجَا الْمُسَلِّمُونَ»[1].

فالسبب وراء النهي عن الاستعجال في أمر الظهور هو لما يترتّب عليه من بثّ روح اليأس والقنوط عند الإنسان المنتظر، فيفقد صبره وهدوءه، وتتبدّل حالته من التسليم إلى العتب والملل والشكوى، فيتململ من تأخّر الظهور. فيعدي الآخرين بمرضه هذا، وأحياناً قد يبتلى بحالة إنكار وجود الإمام بسبب استبطائه الظهور.

وجدير بالذكر أنّ منشأ استعجال الظهور هو عدم معرفته بأنّ الظهور من السنن الإلهية، شأنه شأن بقية السنن يتحقّق بعد توفّر الظروف والشروط التي يستلزمها.

توقيت الظهور

من الآفات الكامنة التي تحفّ بالثقافة المهدوية أن يسعى البعض إلى توقيت الظهور؛ بينما قد

---

١. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، باب كراهية التوقيت، ح ٢، ص ٣٦٨.

خفي أمره عن الناس، حيث ورد في الروايات النهي الشديد لأئمة الدين عن توقيت الظهور، ووصفهم الوقّاتين بالكذّابين.

عن الفضيل قال: سألت أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون»[1].

ومع ذلك، نجد البعض يوقّت للظهور عن وعي أو دون وعي، وأقلّ الآثار المترتّبة عليه هو الشعور باليأس والإحباط عند من يصدّق هذه الوعود الكاذبة ويقع خلافها.

من هنا، يجب على المنتظر الحقيقي أن ينقذ نفسه من حبائل الأفّاقين والجهّال، وأن يكون تصرّفه إزاء وقت الظهور انتظار إرادة الله تعالى فحسب.

مطابقة علائم الظهور على أمثلة خاصة

ذُكرت في الكثير من الروايات علائم لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولكن من غير الواضح كيفية حصولها بدقّة وخصائصها، وهو ما فتح باب التحليلات والتفاسير الشخصية والاحتمالات على مصراعيه. فبين الحين والآخر يخرج علينا من يطابق علائم الظهور على بعض الحوادث الحاصلة فيتنبأ بقرب الظهور.

هذه الظاهرة أيضاً من بين الآفات التي تعاني منها الثقافة المهدوية، والتي تفضي أحياناً إلى اليأس والقنوط من الظهور؛ على سبيل المثال، عندما تتم مطابقة شخصية السفياني على شخص معيّن في منطقة معينة، وتُطرح تحليلات غير منطقية بالنسبة للدجال، ومن ثمّ تطلق بشارات الظهور في وقت قريب جداً، ثم تمضي السنوات ولا يرى الناس ظهور الإمام عليه السلام، فإنّ ذلك سيدفع بالبعض، بلا شك، إلى الانحراف والضلال، وأن تهتز ثقتهم بعقائدهم الصحيحة وتدخل في نفوسهم الشكوك.

طرح موضوعات عديمة الأهمية

يوجد في الثقافة المهدوية الأصيلة الكثير من المعارف التي تقتضي الضرورة تناولها والخوض فيها، وذلك لدورها الرئيسي في توعية الشيعة، وفي رسم أسلوب عملهم في عصر الغيبة.

أحياناً يطرح بعض الأشخاص والمجموعات في إطار الخطب والمقالات والصحف وفي

---

١. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، ح ٤١١، ص ٤٢٦.

المؤتمرات أيضاً موضوعات لا حاجة لطرحها، بل قد يتسبّب طرحها في إثارة بعض الشبهات والأسئلة المنحرفة في أذهان المنتظرين وأفكارهم.

من بين هذه الأسئلة نذكر مثلاً: هل تزوّج الإمام المهدي عليه السلام؟ هل لديه أبناء؟ أين يعيش؟ وغيرها من الأسئلة والموضوعات التي لا تحظى بأيّ أهمية، والتي ينبغي أن تستبدل بمباحث عملية ومؤثّرة. من هذا الباب أيضاً يحظى النقاش حول شرائط وعلائم الظهور بالأسبقية على مبحث علائم الظهور؛ لأنّ التعرّف على شرائط الظهور يحثّ المتلهّفين لظهور الإمام على التحرّك باتجاه تحقيق تلك الشرائط.

نقطة أخرى مهمة وهي، عند طرح المباحث المهدوية ينبغي للمرء أن يمتلك نظرة جامعة وشاملة، أي، عند مناقشة موضوع معيّن، ينبغي قبل ذلك مطالعة مجموعة المعارف المهدوية. لأنّنا نجد بعض الأفراد يطالعون بعض الروايات وتفوتهم مطالعة روايات أخرى غيرها، فيقدّموا تحليلات غير صحيحة عن العقيدة المهدوية؛ مثال على ذلك، عند قراءتهم للروايات التي تتحدّث عن الحروب الطويلة وسفك الدماء، فإنّهم يرسموا صورة عنيفة ودموية للإمام الغائب عليه السلام، ويغفلوا عن الروايات الأخرى التي تتحدّث عن مظاهر المحبة والرأفة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وتشبّه سيرته وأخلاقه بسيرة وأخلاق جدّه المصطفى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. من البديهي أنّ التمعّن في كلتا الفئتين من الروايات سوف يُظهر حقيقة أنّ تعاطي الإمام عليه السلام مع جميع طلاب الحقّ – ناهيك عن الشيعة ومحبّي ذلك الإمام العظيم ـ يضع المرء أمام بحر من المحبة والنقاء والحميمية، وأنّ سيف انتقام هذه الذخيرة الإلهية سوف يهوي على رقاب الظالمين وأعوانهم فقط.

إذن، فالنقاش حول موضوع العقيدة المهدوية يحتاج إلى أهلية علمية وافية، وأولئك الذين يفتقدون لهذه الأهلية يجب أن لا يخوضوا غمار هذه الساحة، لأنّهم بدخولهم هذا سوف يتسبّبون بأضرار لا تُجبر على الثقافة المهدوية.

مدّعو المهدوية

آفة أخرى من الآفات التي تتهدّد المعارف المهدوية هي ظهور مدّعين للمهدوية في هذا التيار المقدس. فعلى مدى سنوات غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ظهر أفّاقون كثر ادّعوا ارتباطهم بالإمام المهدي عليه السلام أو النيابة الخاصة للإمام.

وقد جاء في آخر توقيع للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى نائبه الرابع:

«.. فإنّك ميت ما بينك وبين ستّة أيام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلب، وامتلاء الأرض جوراً... سيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم»[1].

هذا البيان الصريح والواضح يلقي على كل شيعي مسؤولية تكذيب كل مدّعٍ يدّعي كذباً الارتباط بالإمام ونيابته الخاصة، ويغلق باب النفوذ والاستغلال على الانتهازيين والمتشبّثين بالدنيا.

بعض هؤلاء الأفّاقين ذهب إلى أبعد من ذلك، فبعد ادّعائه النيابة، زعم أنّه هو المهدي، وعلى أثر هذا الادّعاء الباطل أسّس لنفسه ديناً وفرقة منحرفة، فمهّد الطريق لانحراف عدد كبير من الناس، فضلّ وأضلّ[2]. لو تأمّلنا تاريخ هذه الفرق المنحرفة لاتّضح لنا أنّ الكثير منها ظهر واستمرّ بدعم وتأييد من الاستعمار.

من المعلوم أنّ السبب وراء نشأة الفرق والجماعات الضالة المنحرفة، وتصديق مدّعي المهدوية والنيابة والانضواء تحت لوائهم هو الجهل والتخلّف. إنّ الشوق الوافر للقاء الإمام عليه السلام دون معرفة ووعي كافٍ، والغفلة عن الأفّاقين المنتشرين في هذا الميدان، هو الذي يهيّئ للارتباط بأولئك المدّعين الكذّابين.

إذن، على الشيعي المنتظر أن يتوفّر على المعرفة اللازمة بالمعارف المهدوية الأصيلة لينجو بنفسه من شراك المدّعين الدجالين، وأن يسير على خطى العلماء المؤمنين الشيعة في طريق الدين الواضح.

أساليب المدّعين الأفّاقين

يسعى كل مدّعٍ كذّاب، بعد اكتسابه معرفة كافية بمخاطبيه، إلى ممارسة أساليب تكتيكية وطرق مناسبة لجذب أولئك المخاطبين صوبه، وبشكل عام، فإنّ أهم أساليب الأفّاقين في استقطاب الأفراد هي:

---

١. ***كمال الدين وتمام النعمة***، الشيخ الصدوق، ج ٢، باب ٤٥، ح ٤٤، ص ٥١٦. توضيح: المقصود بـ«المشاهدة» هو النيابة، لا مجرّد اللقاء، كما قال العلامة المجلسي رحمه الله.

٢. إحدى الفرق المنحرفة هي الفرقة البابية وزعيمها «علي محمّد الشيرازي»، في البدء، ادّعى نيابة الإمام المهدي عليه السلام، ومن ثمّ ادّعى أنّه المهدي الموعود نفسه، وأخيراً ادّعى النبوة. هذه الفرقة المنحرفة كانت بمثابة تمهيد لتبلور الفرقة البهائية الضالة.

١. استغلال التوجهات المعنوية للناس

تعاني البشرية في عصرنا من ظمأ شديد للقضايا المعنوية والروحانية، بعد أن سئمت المجتمع الحداثوي، وهي تسعى جاهدة إلى الوصول إلى مصادر الروحانية والمعنوية، ومن بين هذه المصادر التي ترتقي بالإنسان إلى درجات رفيعة، الاهتمام بالقرآن والعترة، وهو ما دفع مدّعو المهدوية إلى التوشّح بهالة قدسانية وبمظاهر التصنّع والرياء على ظواهرهم والبيئة التي يمارسون نشاطهم الديني فيها بغية جذب المخاطب، ومن خلال تجويز وصفات وطرق عملية في السير والسلوك، وإقامة مجالس تزكية النفس عبر تنفيذ برامج تتعارض أحياناً مع أحكام الشرع، مثل سوق مسألة غفران ذنوب المريد باتجاه يصعب معه الرجوع عنه، طبعاً يحدث هذا بعد أن يكسبوا ثقة المخاطب، ويلقوا في روعه أنّ بقعاً غير معنوية تلطّخ روحه لا بدّ له من إزالتها، أو يقولوا له: إذا كنت ترغب في لقاء الإمام فاعمل على محو ذنوبك بالطرق التي نمليها عليك حتى تتحقّق هذه الرغبة، والإيحاء إلى المخاطب بأنّهم هم أنفسهم قد جرّبوا هذا الطريق ونجحوا، وبذلك يدفعون المريد الجاهل إلى تقديم الأموال والهدايا النفيسة لاستحضار ذنوبه، في حين أنّ هذا العمل يحطّ من كرامة الإنسان ويتنافى مع ستر العيوب من قبل الله تعالى، وبمقدور الإنسان بقليل من الفطنة أن يدرك أنّ واجبه هو تهذيب النفس بالتمحور حول الله تعالى، لا لقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. نعم، لا شكّ في أنّ لقاء الإمام إذا حصل من جانب الإمام نفسه يشكّل لطفاً وعناية من لدنه، لكنّه لا يندرج ضمن واجباته في عصر الغيبة، لذا يجب الالتفات إلى ضرورة المشاركة في مجالس يعمل فيها القائمون على الشؤون الروحية على تقريبنا أكثر إلى الله تعالى، وأن نتمحور حوله تقدّس اسمه، لا أن يطرحوا علينا قضايا تتعارض مع الأصول الإسلامية، وتدعونا إلى الأشخاص. وخلال انشغال الناس في المجتمع الإسلامي بمسألة الارتقاء بالمعنوية، عليهم أن يحذروا الأشخاص المنحرفين والمتشيطنين. فمدّعو المهدوية يراؤون الناس ويتظاهرون بأنّ لهم كرامات واستئناس بالغيب وبالمعصومين عليهم السلام، ليستقطبوا أكبر عدد من المريدين وحرفهم عن الطريق.

٢. الاستغلال المادي والمعنوي

يستهدف مدّعو المهدوية الأشخاص السذّج ممّن يعطون صفقة قلوبهم لكل من هبّ ودبّ، بغية توسيع شبكة مريديهم وكسب الثروة والشهرة وذيوع الصيت، ولذلك يقومون ببعض

الخطوات لتحقيق هذه الأهداف، فيتظاهرون لهذه الشريحة من الناس بأنّهم وحدهم القادرون على حلّ مشاكلهم المادية والنفسية، وعادةً ما يسعى المبتلون بالمشاكل العويصة إلى اللجوء إلى أهل البيت عليهم السلام وبثّ شكواهم إليهم للعثور على حلول مناسبة لما ألمّ بهم، وهنا يظهر بعض الدجّالين الذين يزعمون أنّهم واسطة الفيض الإلهي، وقدرتهم على المكاشفة وطرح بعض الخرافات والقضايا المنحرفة، والادّعاء أنّ لهم الحظوة بالتشرّف بلقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبذلك يمكن أن يشكّلوا ملاذاً مزعوماً، وفي هذا الإطار عادة ما يقدّموا بعض الأذكار والرقيات التي ليس لها أيّ اعتبار أو وثاقة، ويوهمونهم بأنّها تمنحهم الأمان النفسي الذي يحتاجون، وأنّهم قد نجوا من مصيبة كبيرة كادت أن تحلّ بهم، وقد اعتادوا على مخاطبة المريد بالقول: إنّك أصبحت موضع عناية ورعاية إمام العصر، وإنّ حقّي عليك أكبر من حقّ زوجتك عليك، ثم يملي عليه بعض التوجيهات من أجل تحسين معيشته، ولا يحصل هذا في العادة بل تزداد أوضاعه سوءاً، وتُرفع عنه الخطوط الحمراء، ويتفوّهون بأكاذيب عجيبة وغريبة مدّعين أنّ لهم الولاية التكوينية، أي التصرّف في جميع الأمور، وهنا إذا لم يكن المخاطب يتمتّع بالحد الأدنى من الفطنة والذكاء، فسوف تنطلي عليه أكاذيبهم، وبالتالي يقع في شراكهم، كأن يقولوا له: نحن الذي أوقفنا الحرب، أو منعنا الزلازل من أن تقع، أو طرح مزاعم كاذبة عن الأخبار والأمور الغيبية، مثلاً، أنّ باستطاعتهم التحدّث إلى الجماد والنبات، أو أنّنا مطلعون بخزائن الأرض وذخائرها.

٣. تكفير الشخصيات

لمّا كان حظّ مدّعي المهدوية من العلم قليلاً، ولهم باع طويل في مسائل الضلالة والانحراف، وأنّهم في العادة غير مطلعين على أصول الإسلام وقضاياه الجوهرية، فإنّك تجد في كلامهم تناقضات كثيرة في كلامهم وكتاباتهم، ولذلك يحاولوا أن يُظهروا لمريديهم أنّ العلوم العصرية والقضايا النظرية والعقلية تحول دون فهمهم، ويكفّروا كل من له استدلالات في هذا النوع من القضايا، ويناقش الموضوعات بالاستناد إلى مبادئ نظرية وعقلية، ويعملون كل ما في وسعهم على فك ارتباط مريديهم عن العلماء والمفكرين سواء كان مباشراً أو غير مباشر، ويطرحون على مريديهم آراء غامضة ومبهمة حول بعض القضايا، ويفسّرون الآيات والأحاديث برأيهم، ويأوّلونها وكأنّهم عقل الكل، وأنّ مريديهم وبعض علماء الدين جهلة لا يفقهون شيئاً، لذلك نجدهم يستخدمون في خطبهم ومجالسهم الخطابية والتحريرية كلمات وعبارات عجيبة ما أنزل الله بها

من سلطان، بل ويصدرون بعض الفتاوى الشرعية أيضاً للمخاطب بما يرضي غروره، فيمنحهم ذلك إحساساً بأنّ مراجع الدين أدنى منهم مرتبة، ويبدأون بإصدار كراسات دينية وتوجيهات وإرشادات خاصة بهم، ويتظاهرون أمام المخاطبين أنّهم ملمّين بجميع حقائق الدين والسير والسلوك العرفاني والارتباط الموضوعي، وأنّهم أعلم من الجميع.

٤. استغلال أسماء مراجع الدين والعلماء

بعض الأشخاص ينسب نفسه إلى شخصية معروفة مدّعياً أنّه أستاذه، وذلك لإظهار أنّ له شأناً ومكانة رفيعة، ولا يهمّ إن كان المخاطب يعرف تلك الشخصية أو لا، فيخلعون عليه الألقاب مثل المتألّه والسماوي، في حين أنّ تلك الشخصية ليست بهذا المستوى الذي ذُكر، ولا حتى هو نفسه ادّعى مثل هذا الادّعاء، وحتى لو كان بعضهم مشهوراً، فإنّه يتفوّه ببعض الكلمات المغلقة وغير المعقولة، ومع ذلك لا يساور المخاطب شكّاً في صحّتها، لأنّه قد نسب نفسه سلفاً إلى تلك الشخصية المعروفة أو ذلك العلّامة، أو هناك من المدّعين من يقوم باستنساخ بعض الصور عن حضوره لبعض الندوات أو اللقاءات مع بعض المراجع وعلماء الدين ليبيّن من هذا الطريق أنّه موضع احترام وتأييد تلك الشخصيات.

فيثق الناس بهؤلاء الأفّاقين وينبهرون بهم لأنّهم بحسب زعمهم موضع دعم وتأييد المراجع والعلماء.

٥. عرض الحلول بشكل جذاب ظاهرياً وكلامياً

يستخدم المدّعي عنصر الجاذبية المعنوية وإلقاء الكلمات الساحرة للتظاهر بأنّه قد بلغ مراحل عليا، مثلاً الإيحاء برؤية النور واستشمام العطر وأنّ الإمام قد دخل إلى الاجتماع في هذه اللحظة، أو أنّه التقى به، ثم يقول للأشخاص والمريدين لا بدّ أنكم ارتكبتم معصية في هذا اليوم منعتكم من رؤية نور الإمام أو الإحساس بعطره. يسعى أغلب المدّعين إلى خداع الرأي العام من خلال الظهور بوجه ماكر وظاهر مريب، أو التلبّس بلباس رجال الدين وصنع ظاهر ديني وعرفاني مزيّف، وإلقاء كلمات وخطب عرفانية وروحانية، حتى أنّه يحاول من خلال إبراز أشياء مختلفة أن ينسب نفسه إلى المعصومين خاصة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. كأن يقول مثلاً إنّ هذا المصحف الشريف قد أهداني إيّاه الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، أو يقوم بضيافة المريدين بالخبز والتمر وغير ذلك والقول بأنّ هذه الأشياء قد نزلت عليه من عالم الغيب، وفي بعض الحالات يقوم باستخارة القرآن،

والتظاهر أنّه قد اطّلع على نوايا المريد عبر طرق سماوية، وبهذه الطريقة يلقي على المريد إرشادات وتوجيهات كثيرة، فيطيع المخاطب إرشاداته لأنّه قد كسب ثقته مسبقاً بطرق مختلفة.

٦. التظاهر بالقداسة والتظلّم

يعمل الشخص المحتال على الاعتناء بمظهره، ويرائي الناس بأنّه على درجة كبيرة من الورع والتقوى، وذلك لأنّه ذو منزلة معنوية عالية، وله اتصال بعلم الغيب والإمام، فيوصي المريد باعتزال الدنيا، فيشجّعه بنحوٍ أو بآخر على هجر الدنيا وتزكية نفسه عبر هذا الطريق، ويلقي على مريده توجيهات لا أساس علمي لها، هذا في حين أنّ المريد لا يتلقّى جواباً شافياً، فيقول له من خلال التظاهر بالقداسة والتظلّم أنّ هناك مصائب في الطريق، أو إنّك موضع اختبار. ولا يجرؤ على القول بأنّ ما يقوم به لا يستند إلى أيّ أساس علمي، وحتى بعد انكشاف جوهره المخادع يلجأ إلى التظلّم، كأن لم تكن هناك أيّ توجيهات، أو إذا كانت فلم تصدر عنه، وعادة ما يسيطر المدّعي على معتقدات مريده سيطرة تامة، وذلك لما يتمتّع به من ثقة عالية بالنفس.

٧. الاهتمام المفرط بالأحلام والمكاشفة

عادة ما يلجأ الدجّالون والمحتالون إلى تفسير الأحلام غير العادية لمجرّد إرضاء أصحابها فقط، وبما لا يمتّ للواقع بصلة، من خلال تنويم المريدين والمخاطبين وإبعادهم عن مصادر الوحي والبرهان، وإحالتهم على قضايا غير قابلة لا للبرهان ولا للإنكار، بل هي قضايا مزاجية وأوهام، والبعض يعقد بين الأفراد أو يفرّق بينهم بالاستناد إلى الأوامر التي تصدر في تلك الأحلام. وكم من الأحلام رُؤيتْ بسبب تغيّر الأمزجة أو انفجار سورة غضب في لحظة عابرة، فاتّخذها المدّعون ذريعة واستغلّوها لمقاصدهم الخاصة.

٨. عرض أساليب تربوية وأخلاقية

يعاني بعض الأشخاص من مشاكل تربوية وأخلاقية خاصة، فيبادر المدّعون بإعطائهم طلاسم لا تنسجم بتاتاً مع العلوم المعاصرة في محاولة لمعالجة تلك المشاكل، ويقولون لهم: باستطاعتنا حل مشاكلكم بإعطاء طلسم أو إبطال الطلسم وبمساعدة المختصين بالعلوم الغريبة.

بعض المدّعين يلجأ إلى أساليب مثل قراءة الأذهان، والادّعاء بأنّ لهم اتّصال بالملائكة، ومن خلال ذلك يقومون بمحاكمة الأشخاص وأخذ اعترافاتهم، ومن ثمّ ابتزازهم للحصول على مكاسب

مادية، فبعض المدّعين بزعمه الاتصال بالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف استطاع الاستحواذ على سهم الإمام، والذي يشمل أراضي ومداخيل عظيمة للناس، مبرّرين ذلك بأنّهم أولياء الله، ومساعدتهم للفقراء تقتضي امتلاكهم لثروات ضخمة، وبذلك يُظهرون للناس أنّ أعمالهم هذه مرضيّة من قبل الله تعالى.

٩. تحديد واجبات للمريدين وتكليفهم بمهمات خاصة

كل شخص إذا حُفّ بالمحبة والتقدير وقام باستغلال قدراته بنحو أفضل، فسيشكر من فسح له هذا المجال، ويعتبره متفضّلاً عليه، ولكي يحقّق المدّعي أهدافه بسرعة فإنّه يستهدف السذّج والبسطاء، ويتعرّف على إمكاناتهم فينيط بهم مسؤوليات قادرين على تنفيذها، فيلقي في روعهم أنّها مسؤولية إلهية، وإذا كانت مسؤولية شريرة فإنّه يؤكّد على ضرورة الحفاظ على سريّتها. وفي هذه الأثناء يخلع على المريد ألقاباً عجيبة وغريبة لتشجيعه على مواصلة العمل، كأن يقول له: أنت باب الباب وكاتب الوحي، أو أنت رئيس الجماعة، كما يمنحه مراتب ودرجات عرفانية، ويرفعه إلى مراحل أعلى في السير والسلوك، فيصنع منه شخصية مزيفة. وفي هذه الحالة يصبح انفكاك هؤلاء الأفراد عن أستاذهم أمر جدّ صعب.

١٠. نشر الإباحية والفرار من المسؤولية

بعض المدّعين الدجّالين يعفون بعض الأشخاص ضعيفي الإيمان من التكاليف الواجبة، لغرض استمالتهم وجذبهم، فيأمرونهم ببعض الأعمال السهلة والمريحة، ويشجّعونهم على القيام بأعمال لا تحمل بعداً شرعياً، ونلاحظ هذا الشيء بشكل خاص عند شريحة الشباب غير الملتزمين، فيعتبرون التشجيع أحياناً على الشطط والانحرافات الأخلاقية بل وعلى الأفعال غير الأخلاقية عاملاً مساعداً على ارتقاء المراحل العرفانية، فنجد أشخاصاً يساهمون في هذه المنافسة من خلال بذل مساعي غير أخلاقية وذلك لبلوغ تلك المراحل.

١١. استحداث مختلف الشبكات والعصابات لأهداف خاصة سياسية واقتصادية وثقافية

يزعم المدّعي بنحوٍ أو بآخر أنّ جماعته هي الأفضل، وأنّ البقية سائرون نحو الانحراف، فيخلق هذا شعوراً في أعضاء الجماعة بالتعصّب، فيحسبون زعيمهم إنسان متألّه، وأنّ معارضته حرام، لأنّ كل أفعاله وسلوكياته إنّما هي بإذن الإمام وتحت بصره.

١٢. استغلال المشاعر والأحاسيس

من بين المسائل التي يمكن أن تثير عواطف إيجابية أو سلبية من خلال التعاطي الاجتماعي، طريقة إبراز الحب والمشاعر الإيجابية، في الوهلة الأولى، يتعامل المدّعي مع الأشخاص والمريدين البسطاء ببشاشة وطلاقة وجه وابتسامة عريضة، طبعاً دون أن ننكر أنّ هذه الأمور هي ممّا أمرنا الله تعالى بها «اَلْبِشْرُ يُونِسُ اَلرِّفَاقَ»[1]. في البدء يحاول المدّعي تقديم هدايا صغيرة لاستمالة مشاعر المريد وكسب قلبه.

بعد ذلك يتعاطى معه بالمحبة وبإعلان الصداقة، وأحياناً يسأله بعض الأسئلة العادية لفتح باب الحوار مثل: من أيّ مدينة أنت؟ وما هي مهنة والدك؟ .. وغير ذلك من الأسئلة لجذبه إليه، ليبدأ رويداً رويدا بإلقاء أوامر غير عقلانية وغير شرعية عليه، ممّا يحتّم على من يجسّر علاقات الصداقة مع هؤلاء أن يكون يقظاً، وأن يبدي حساسية إذا لاحظ عليهم أيّ انحرافات أو تصرّفات غير منطقية أو غير عقلية أو حتى غير شرعية لا سامح الله.

١٣. تصوير أفعاله وسلوكه على أنّها إيجابية

لقد قطع المدّعون شوطا بعيداً في تقمّص الصفات التي تساهم بشكل أكبر في مسألة جذب الأشخاص مثل الإيمان، والأعمال الصالحة، والبشاشة، والتواضع، والوفاء، والصفح، والسخاء، والإنصاف، حيث يقومون بدهاء ومكر بتصوير أنفسهم كأشخاص مؤمنين ومتواضعين، فيحصلون بهذه الطريقة على أموال كثيرة عبر جذب هؤلاء الأشخاص، وبعضهم يقوم بإنفاق مقدار كبير من تلك الأموال على المحتاجين ليتظاهر بالكرم والسخاء. فيقدّم بعضهم نفسه كوفيّ ومنصف، والبعض الآخر يزعم الاتصال بأهل البيت عليهم السلام. يستغلّ هؤلاء المدّعون بساطة وجهل الأشخاص إلى أقصى حدّ، طبعاً بالإضافة إلى معرفتهم بأساليب جذب الأشخاص، فهم ملمّون أيضاً بالأساليب التي تعترض طريق إنشاء علاقات الصداقة، ويلقون في روع المخاطب بأنّ لهم شخصية زاهدة، وأنّهم قادرون على القيام بالخوارق والأمور غير العادية الصادرة عن البشر.

١٤. تأليف القصص وصنع الشخصيات المزيفة

أولئك الذين لا يحظون بمكانة مرموقة أو شخصية مناسبة، ويعانون بنحوٍ أو بآخر من هذه

---

١. *شرح جمال الدين خوانساری على غرر الحكم و درر الكلم*، ج ١، ص ١٩١.

العقدة، يعملون عبر الالتحاق ببعض الجماعات والتشكيلات على التعويض عن عقدة النقص هذه، وصنع وجه معروف ومعتبر لهم، طبعاً هذه المسائل المزيفة يتم تلقينها لهؤلاء الأشخاص بالتدريج، حتى تترسخ في نفوسهم وضمائرهم بعد فترة من الزمن مثل صنع شخصية مجدّد الدين أو الإسلام، شخصية المصلح وغير ذلك من الأدوار... والتي تجرّ إلى طرح مزاعم وادّعاءات كثيرة.

١٥. الابتكار والبدعة في الخطب سبب شهرة جلساته

إنّ استعانة البعض بالروايات والتفسير شبه العرفاني للقرآن كان السبب وراء جذبه لأفراد كثر، فمن خلال استعراضه لكرامات الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وكلماته في مختلف الأمور استطاع أن يجذب إلى حلقاته الكثير من العوام، كأن يقول مثلاً، قال لي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لقد كنت سبباً في تعجيل تاريخ ظهوري أربعين سنة، أو إنّ الآية الفلانية هي باسمي، وأنا أيضاً كبقية الأنبياء أُبرء المرضى، وبهذا الأسلوب يطرح بعض الموضوعات الخارجة عن السياقات ولا يعضدها أيّ سند روائي، بل على العكس، جاء في ذمّها الكثير من الروايات، كأن يقول مثلاً، إنّ الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يظهر في التاريخ الفلاني، في حين لدينا رواية «كذب الوقّاتون» حيث سأل الفضيل أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟ فقال عليه السلام: «كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون»[١]. ورواية أخرى عن أبي بصير: سَأَلْتُهُ عَنِ الْقَائِمِ عجل الله تعالى فرجه الشريف فَقَالَ عليه السلام: «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُخْلِفَ وَقْتَ الْمُوَقِّتِينَ»[٢]. حتى أنّ بعض الروايات ذكرت علّة عدم التوقيت للظهور على النحو الذي قاله الإمام محمد الجواد عليه السلام: «فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب و لرجع عامة الناس عن الإيمان إلى الإسلام[٣] و لكن قالوا ما أسرعه و ما أقربه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج»[٤].

١٦. النشاطات العرفانية المزيفة والديماغوجية

وهي من قبيل أن يُنسب الفرد إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكتابة الأدعية، وكتابة آيات القرآن بماء

---

١. *كتاب الغيبة*، الشيخ الطوسي، ص ٤٢٥.

٢. *المصدر نفسه*، ص ٢٩٣.

٣. كذا في *الكافي*، و في بعض النسخ «لو قيل لنا إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مائتي سنة وثلاثمائة سنة ليئست القلوب وقست ورجعت عامة الناس عن الإيمان الى الإسلام».

٤. *الكافي*، الكليني، ج ١، باب كراهة التوقيت، ص ٣٨٩؛ **الغيبة**، محمد بن إبراهيم النعماني، ص ٢٩٦.

الورد والزعفران بغية حل مشاكل المراجعين، وكذلك تلقين المخاطب أنّ هذه الكتابة صادرة عن العرش لأنّها ذات عطر فوّاح، وكذلك الاستشهاد ببعض الآيات لرفع بعض مشاكل المريد، وهي آيات لا تنسجم موضوعاتها مع تلك المشاكل ولا تمتّ إليها بصلة، لكنّه كتب هذه الوصفة استناداً إلى ظاهر الآية فقط، والأمر المؤسف هو أنّ هذه الأعمال تشكّل عوامل جذب أكبر في أوساط البسطاء والعوام في المجتمع.

١٧. الحؤول دون التفكّر وطرح الأسئلة والتحقيق في الموضوعات المطروحة

في بعض حلقات السير والسلوك والقضايا الأخلاقية والدينية نجد أنّ النقاء والإخلاص يملأ الأتباع للوهلة الأولى عند حضورهم تلك الحلقات، ولكن حين لا يشعرون بحدوث أيّ تغيير روحي في داخلهم، كانوا يعترضون على التوجيهات الصادرة، وكانوا يردّون عليهم: يجب عليكم أن تتحمّلوا، أو إنّ مشاركتكم في الحلقات السابقةلم تكن صحيحة ولا عن نيّة خالصة، وبسبب هذه الأعمال مُنعتم من السؤال والتشكيك منعاً شرعياً، ويعتبرون ذلك علامة على عدم تهذيب المشارك لنفسه وتزكيتها، ولم يكونوا على استعداد لمصارحة المشاركين بأنّ هذه التوجيهات لا تحمل بعداً إلهياً أو علمياً، وكان بعضهم يلقي في روع المريد أنّه بأسئلته العبثية يضيّع جهوده.